محمد علي حمزة سعيد

ابن الناظم النحوي

رسالة ماجستير بمرتبة جيد جداً من جامعة بغداد

ساعدت جامعة بغداد على نشره

تسلسل التعضيد ١١٧ لسنة ٧٤-٧٥

مطبعة أسعد - بغداد

محمد علي حمزة سعيد

ابن الناظم النحوي

رسالة ماجستير بمرتبة جيد جداً من جامعة بغداد

ساعدت جامعة بغداد على نشره

تسلسل التعضيد ١١٧ لسنة ٧٤ـ٧٥

مطبعة اسعد ـ بغداد

بسم الله الرحمن الرحيم

مقـــدمة

عرفت ابن الناظم نحويا ، في شرح ابن عقيل وغيره من شروح الألفية ، وعرفته نحويا مبرزا فيما كتبه عنه مترجمو سيرته ، حيث أجمعوا على تقدمه في صناعة النحو • وزادت معرفتي بمنزلته العلمية المتقدمة عند حصولي على شرحه المعروف بشرح ابن الناظم وقراءتي له • وعندئذ عزمت على أن أدرسه نحويا ، واستأنست لذلك ، برأي جمهرة من الباحثين العارفين فضله فشجعوني على ذلك •

وكنت قد ألزمت نفسي منذ بداية دراستي هـذه ، أن أدرس النحو في طائفة من مظانه الأصيلة ، المتقدمة منها والمتأخرة • لأوفي بحثي حقه • وقد كلفني هذا الالزام ، وقتـا طويلا غير آسف على انقضائه ، وجهدا كبيرا غير نادم على بذله ، لما جنيت منه من خير كثير ، كان من ثماره هذه الرسالة •

وحرصت على أن ألم بكل ما له صلة بابن الناظم ، ما استطعت الى ذلك سبيلا ، فكان من مصادر دراستي له :

اولا : طائفة من كتب التراجم والسير ، وكتب عصريّه ، وكتب قريبي العهـد به ، ممن أخذوا عن رفاقـه في الطلب خاصـة • فكانت عدتي في دراسة سيرته •

ثانيا : كتبه ، وكانت الأساس الذي اعتمدته في دراسة نحوه ، وفي معرفة معالم شخصيته العلمية •

ثالثا : طائفة من كتب النحاة المتقدمين منهم والمتأخرين ، ككتاب سيبويه ومقتضب المبرد وكامله ، وأصول ابن السـراج ، وغيرهـا مـن كتب متقدمي البصريين ، وكمعاني القـرآن للفراء ومجـالس ثعلب والصاحبي لابن فارس

وغيرها من كتب متقدمي الكوفيين ومن مال اليهم ، وكتب السكاكي وابن يعيش وابن مالك وأبي حيان وابن هشام وابن عقيل والمكودي والانصاري والازهري والسيوطي والاشموني وغيرها من الكتب التي كانت طائفة منهـا من مصادر دراسته النحوية ، والتي نقل طائفة من أصحابهـا عنه وذكروه فيهـا متابعين له أو مخالفين .

وحرصت كل الحرص على أن أنسب الآراء النحويـة الى أصحابهـا بالاحالة الى مظانها الأصلية ، التزاما مني بشروط البحث العلمي الجاد . ولم أذكر المصادر المتأخرة الا على سبيل الاستئناس على حين أفادتني هذه المصادر كثيرا في معرفة روافد دراسته النحوية ، وأسهمت في رسم صورة واضحة عن أثره فيمن جاء بعده .

رابعا : طائفة من التفاسير القرآنية التي كان النحو فيها من العلوم التي أولاها أصحابها فيها فضل عنـاية خاصة كمجمع البيان للطبرسي والكشاف للزمخشري والجـامع لأحكـام القـرآن للقرطبي والبحـر والمحيط لأبي حيان وغيرها .

وانتظمَ البحثَ ثلاثةُ أبواب . بعد تمهيد عرضت فيه لمحات عن الحيـاة الاجتماعية والاقتصادية والفكرية في القرنين السادس والسابع .

وكان الباب الأول في فصلين ، الأول منهما في سيرته ، والثاني في آثاره عامة والنحوية منها خاصة . وتكفل الباب الثاني معـرفة موقفه من الدراسة النحوية عند النحـاة المتقدمين عليه وابن الحاجب والناظم ، فكان في فصلين ، درست في الأول منهما موقف ابن الناظم من الدراسـة النحوية عند البصريين والكوفيين . وقد أوضحت فيه تطور الدراسة النحوية عنده من مرحلـة تأثره بأبيه حيث أخذ بكثير من الآراء الكوفية في شـرحه على كافية ابن الحاجب ، نتيجة لهذا التأثر ، الى مرحلة عدل فيها عن متابعته لهم في كثير منها في شرحه على الألفية ، عندما تمكن الاتجاه البصري من نحوه ، فتابع فيهـا البصريين . وذكرت فيه أيضا طائفة من المسائل النحوية التي تابع فيها كلا من البصريين

والكوفيين • ودرست في الثاني منهما موقفه من ابن الحاجب ومن أبيه (ابن مالك) لأن موقفه من الأخير ، متابعة له ومخالفة ، يشكل معلمة بارزة من معالم نحوه • وكان موقفه من ابن الحاجب قد أملاه عليه موقفه من أبيه ، وهو في مرحلته الأولى من دراسته النحوية • أما الباب الثالث ، فكان في فصلين تكلمت في الأول منهما على آرائه النحوية ، وموقف المتأخرين منها • وفي الثاني منهما على مذهبه النحوي •

وقد أوليت دراسة الجانب النحوي فضل عناية ، من نشاطه العلمي ، لأن عنوان الرسالة هـو : «ابن الناظم النحوي» ، ولأن النحو موضوع تخصصي الدراسي • وبهـذا تكون الدراسة - في تقديري - قد استقرت على أصول منهجية قوية ، آمل أن أكون قد وفقت فيهـا لأن أعطي صورة واضحة عن شخصية ابن الناظم النحـوية • وقد توسّلت من أجل ذلك بكل الوسـائل الضامنة لسلامة الدراسة من كل هوى يتحيف الحقيقة العلميـة ، ولم أدخر وسـعا في أن أمنح دراستي هـذه كل ما تطلبت مني من العمـل الجـاد والوقت المتطاول •

ولست بمدع ، أن دراستي هذه قد خلت من الهنات ، فخلو أية دراسة منها ، غاية لا تدرك ، مهما يسع صاحبها الى تجنب الوقوع فيها ، فالكمال لله وحده • وعذيري عما وقعت فيه منهـا ، أنها دراستي العلمية البكر ، واني لسعيد أن أنبه الى تلك الهنات لأصلحها ، لعلم الدارسين المطلعين « أن الخطأ بعد التحري موضوع عن المخطيء »(*) •

والله وليّ التوفيق •

محمدعلي حمزة سعيد

(*) الايضاح العضدي ٥ •

تمهيــد

لمحة عن عصر ابن الناظم من الناحية الاجتماعية والاقتصادية والفكرية

أ – الحياة الاجتماعية والاقتصادية :

كان المجتمـــع الشامي في عصـــر ابن الناظم – مثل غيره من المجتمعات الاسلامية آنذاك – منقسما الى طبقات[٢] ، منها السائدة المستغِلّة ، ومنهـــا المسودة المستغَلّة • واذا ما شبهنا المجتمع الشامي وقتئذ بالهرم ، فالسلطان كان قمته ، ثم يليه الامراء والوزراء وقواد الجيش وكبار التجـــار والمتنفذون من كبار العلماء بدرجات متفاوتة من حيث الجاه والثروة والسلطان ، وكانت عامة الشعب من صنّاع وفلاحين وغيرهم من فئات الشعب الدنيـا ، قاعدة ذلك الهرم العريض وقد استأثرت الطبقات السائدة بالقسم الاعظم مما كانت تُنتجه الطبقات المسودة من الخيرات ، على حين وقع على كاهل عامة الشعب ، العبء الاعظـم مما أورثته حياة الفوضى والاضطراب ، وما خلفته الحروب من مآس وخراب في جميع نواحي الحياة •

وقد انعكس كل ذلك على حيــاة الناس الاجتماعية ، فانتشر الفساد بين مختلف فئــات المجتمع ، وشـــاع القتل والسلب والعزل ومصادرة الاموال ، واستعداء ذوي السلطان على الخصوم • ولم تكن البيئـات العلمية بمنأى عمـا كان يصيب الناس من هذه الامراض الاجتماعية • وكانت الخلافات المذهبيـــة والتنافس على المناصب الدينية من الاسباب الرئيسة فيما شجر بين علمـــاء ذلك العصر • وقد وصل الينا من أخبارهم طرف ، يصور لنا جانبا من علاقاتهم •

---

(٢) ينظر فيما يتعلق بالتركيب الطبقي في مصر والشام آنذاك : الحركة الفكرية في مصر – الدكتور عبداللطيف حمزة ٦٦–٦٧ ، وابن تيمية – الدكتور محمد يوسف موسى ٢٥ وما بعدها •

من ذلك ما ذكره عبدالقادر النعيمي عن القاضي نجم‌الدين بن سني الدولة في ترجمته له . قال : « ولد سنة ست‌عشرة وستمئة ، .... واشتغل ، وناب عن والده في القضاء بدمشق ثم ولي قضاء القضاة عقب كسرة التتار على عين الجالوت في شهر رمضان سنة ثمان وخمسين ، فبقي سنة وعزل ، ثم أسكن مصر وصودر ثم ولي قضاء دمشق أياما عقب زوال سنقر الدمشقي في صفر سنة تسع وسبعين وست مئة ، وكان ولي قضاء حلب قبل ذلك ، وحينئذ انتزع منه تدريس الامينية ، قاضي القضاة شمس‌الدين احمد بن خلكان ، في محرم السنة المذكورة ، وباشرها أياما ، ثم لما قدم نجم‌الدين في صفر المذكور انتزعها منـــه »(٣) .

ولم تكن الحياة الاقتصادية آنذاك ، بأحسن حالا من الحياة الاجتماعيـة وخاصة في النصف الثاني من القرن السابع . فقد ساءت حياة الناس المعيشيّة بعد انتعاشها نسبيا أيام قوة وفتاء الدولة الايوبية(٤) ، لوقوع الغلاء وارتفـــاع الاسعار . وقد وصلت أخبار كثيرة عما أصاب المجتمع الشامي ، منها ، ما أورده المقريزي عند حديثه عن حوادث سنة ست وخمسين وست مئة . قال : « وفيها وقع الغلاء بسائر البلاد ، وارتفعت الاسعار بدمشق وحلب وأرض مصر ، وأبيع المكوك القمح بحلب بمئة درهم والشعير بستين درهمـــا والبطيخة الخضراء بثلاثين درهما ، وبقية الاسعار من هذه النسبة »(٥) .

وعلى الرغم من كل ذلك ، فان وضع الشام ومصر الاقتصادي والاجتماعي أحسن وأمتن مما كان عليه في البلدان الاسلامية الاخرى آنذاك . فقد كانت هذه البلدان في حال ، انهار فيها كثير من مقوّماتها الاقتصادية والاجتماعية .

وقد اختلف الوضع الاجتماعي والاقتصادي لعلماء ذلك العصر ، فقد احتل

---

(٣) الدارس في تاريخ المدارس ١/١٩١ .

(٤) صلاح‌الدين الادوبي ، جب ٢٠٤ .

(٥) السلوك ١/٤٠٩ . أبعته : عرضته للبيع (القاموس المحيط ـ مادة باع) ، وفي الحاشية (المكوك ـ جمعه مكاكيك ، مكيال للحبوب يســـع صاعا ونصفا) ، والصاع قدر نصف ويبة ، والويبة ثلاث كيلات (محيط المحيط) .

قسم منهم مكانا مرموقا في المجتمع معتمدين على ما كان للدين الاسلامي من سلطان على نفوس المسلمين ، بما فيهم السلاطين والامراء والموسرون . كان منهم محمد بن أحمد اليونيني (ت ٦٥٨هـ)[٦] ، وعزالدين بن عبدالسلام (ت ٦٦٠هـ) ، الملقب بسلطان العلماء ، الذي قال فيه الظاهر بيبرس عندما رأى جنازته وكثرة المشيعين له : «اليوم استقر امري في الملك[٧] ، وابن بنت الاعز (ت ٦٩٥هـ)[٨] وبدرالدين بن جماعة (ت ٧٣٣هـ)[٩] .

وعاشت طائفة من هؤلاء العلماء المتنفذين عيشة راضية ، لما كانت تدره عليهم الوظائف الدينية كالخطابة والقضاء والتدريس ومشيخة الشيوخ وغيرها من الوظائف التي كان السلاطين والامراء يُغدقونها عليهم ، إيمانا منهم بأثرهم في حياة المجتمع الاسلامي ، وكسبا لودهم ، وضمانا لرضاهم عنهم .

ولم يكن العلماء جميعا ، على هذه الشاكلة من النفوذ والسلطان والحياة الرغيدة . فقد عاش قسم منهم عيشة الاملاق ، ونزل كثير منهم الى درك الاستجداء وفيما ذكره السيوطي (ت ٩١١هـ) عن ابن مالك (ت ٦٧٢هـ) ، ما يلقي ضوءا على جانب من حياة كثير من الناس الاجتماعية والاقتصادية ، مع مايعطينا من صورة صادقة عن الحياة المعيشية لابن الناظم في صغره . قال السيوطي :

« نقلت من خط شيخنا الامام تقيالدين الشُّمُنِّي ، قال : نقلت من خط الشيخ كمالالدين الدميري ، نقل من خط الشيخ جمالالدين بن هشام قال : من غريب ما رأيت على كواريس من تسهيل الفوائد بخط الشيخ جمالالدين بن مالك ، في أواخرها صورة قصة رفعها الفقير الى رحمة ربه محمد بن مالك : يقبل الارض ، وينهي الى السلطان أيَّد الله جنوده ، وأبَّد سعوده ، أنه أعرف

---

(٦) ذيل مرآة الزمان ٢/٣٨ ــ لابنه قطبالدين اليونيني ، فقد ذكر فيه ان الملك الاشرف والملك الصالح اسماعيل كانا يخدمانه بأنفسهما .

(٧) أنظر : طبقات الشافعية الكبرى ٥/٨٤ .

(٨) ترجمته في طبقات الشافعية الكبرى ٥/٦٤ـ٦٥ .

(٩) ترجمته في البداية والنهاية ١٤/١٦٣ ، الوافي بالوفيات ٢/١٨ـ٢٠ .

أهل زمانه بعلوم القراءات والنحو واللغة وفنون الادب ، وأمله أن يعينه نقودا من سيد السلاطين ومبيد الشياطين ، خلد الله ملكه ، وجعل المشارق والمغارب ملكه على ماهو بصدد من افادة المستفيدين ، وافادة[١٠] المسترشدين ، بصدقة تكفيه هم عياله ، وتغنيه عن التسبب في صلاح حاله ، فقد كان في الدولة الناصرية عناية تتيسر بها الكفاية ، ... »[١١] .

ب ـ الحياة الفكرية :

كانت بلاد الشام ومصر[١٢] ، على الرغم من الحالة السياسية والاقتصادية والاجتماعية المضطربة ـ وقد ألممنا بطرف منها ـ أحسن حالا ، وأكثر نشاطا وأغزر إنتاجا في مجالات الدراسات الاسلامية وعلوم اللغة العربية ، من غيرها من البلدان الاسلامية كالعراق وفارس وما وراء النهر والهند والاندلس والشمال الافريقي في القرنين السادس والسابع . وقد تضافرت عدة عوامل جعلت الشام ومصر في وضع علمي يتميز بالتقدم عما كانت عليه غيرهما من ن البلدان المذكورة آنفا ، ومن أهم تلك العوامل :

اولا : الحالة الاقتصادية المتقدمة ، والمقترنة بالتقدم الثقافي إضافة الى ماكانت عليه البلدان الاسلامية الاخرى ، وفي عهد الدولة الايوبية خاصة . وقد أشار السير هاملتون. أ.ر.جب الى ذلك الوضع الاقتصادي المتقدم عند حديثه عن اسباب استمرار الدولة الايوبية فقال : « ويتبدّى استقرار الحكم الايوبي

---

(١٠) هكذا في النص ، وقد تنبه بركات ـ التسهيل ، التمهيد ١٦ ، الى ذلك وابدل كلمة (افادة) الثانية ب (هداية) وليس ماذهب اليه ببعيد .

(١١) حسن المحاضرة ٢/٩٦ـ٩٧ . وأنظر أيضا : ابن تيمية ـ لمحمد يوسف موسى ٢٧ـ٣٣ ففيه تفصيل عن حياة علماء ذلك العصر الاجتماعية والمعيشية .

(١٢) يذهب الدكتور عبداللطيف حمزة (الحركة الفكرية في مصر ٢٩٧) الى أنّ «في فترة كالتي نشير اليها الآن يكون من أصعب الامور على الباحث أن يفرق بين مصر والشام ، بل عليه في مثل هذه الحالة أن ينظر الى رجال كل قطر كل منهما على انهم رجال القطر الآخر» .

كذلك من خلال النمو السريع الذي شهده الازدهار المادي في بلاد الشام ومصر ، والاتساع البارز في مجالات الثقافة من أدبية وفنية وفكرية فالأول جاء الى حد كبير بفضل السياسة المستنيرة التي انتهجها الامراء في تشجيع التطور الزراعي والاقتصادي وفي رعايتهم للعلاقات التجارية مع دول المدن الايطالية »[١٣] .

ثانيا : هجرة كثير من العلماء والادباء من البلدان الاسلامية التي أصابها الدمار على أيدي الغزاة التتر ، ومسيحيي اسبانيا وغيرهم ، الى الشام ومصر ، طلبا للأمان المفتقد في أوطانهم . وكانت دمشق والقاهرة وغيرهما من مدن المصرين في القرن السادس والسابع ، في وضع يساعد على تقديم ما ينشده هؤلاء العلماءالنازحون عن أوطانهم من مأمن ومأكل وملبس ، ووجدوا أيضا المعاهد العلمية العامرة بكل ما تتطلبه دراساتهم من مساجد ومدارس ودور علم ومكتبات وغيرها من المؤسسات العلمية المعروفة آنذاك ، ووجدوا التشجيع والاسناد الكبيرين من لدن ذوي السلطان والجاه واليسار ، مما ساعدهم على اداء مهماتهم الثقافية[١٤] .

وكان من أبرز هؤلاء العلماء ، عالي بن ابراهيم الغزنوي (ت ٥٨٢هـ)[١٥] وابن خروف (ت ٦٠٩هـ)[١٦] وابن معط الزواوي المغربي (ت ٦٢٨هـ)[١٧]،

---

(١٣) صلاح‌الدين الايوبي ـ جب ـ ٣٠٤ .

(١٤) أنظر تاريخ آداب اللغة العربية ـ جرجي زيدان ١٢٢/٣ وما بعدها، ابن تيمية ـ محمد أبو زهرة ١٥٦ ، عصر سلاطين المماليك ـ محمد رزق سليم ١٨/٢ وما بعدها . خطط الشام ٤٣/٤ .

(١٥) أنظر ترجمته في البغية ١٤٠/٢ .

(١٦) هو أبو الحسن علي بن محمد بن علي المعروف بابن خروف . حضر من اشبيلية وأقام مدة بحلب . صنف شرح سيبويه ، وشرح الجمل . أنظر ترجمته في البغية ٢٠٣/٢ .

(١٧) هو : أبو الحسين زين‌الدين يحيى بن معط الزواوي ، صاحب الالفية المشهورة باسمه ، أنظر ترجمته في البغية ٣٤٤/٢ .

والمرسي السلمي (ت ٦٥٥هـ)[١٨] والقرطبي (ت ٦٧١هـ)[١٩] وابن مالك (ت ٦٧٢هـ) وابن خلكان الأربلي (ت ٦٨١هـ)[٢٠] وشمس الدين الايكي (ت ٦٩٧هـ)[٢١] وصفي الدين الهندي (ت ٧١٠هـ)[٢٢] وأبو حيان الاندلسي (ت ٧٤٥هـ) .

وكان للمغاربة والاندلسيين دور جليل في مجمل النشاط العلمي في ذلك العصر في الشام ومصر[٢٣] .

وقد تلاقحت قرائح العلماء المهاجرين مع علماء البلاد الاصليين كابن يعيش (ت ٦٤٣هـ)[٢٤] وابن عمرون (ت ٦٤٩هـ)[٢٥] ، وابن الحاجب

---

(١٨) هو : محمد بن عبدالله بن محمد ، خرج الى الحج (سنة ٦٠٧هـ) وقام برحلات كثيرة في المشرق ، أنظر ترجمته في البغية ١/١٤٤ـ١٤٦ .

(١٩) هو : محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرج ، ولد بقرطبة ، من مؤلفاته : تفسيره المعروف بـ «الجامع لاحكام القرآن» ، وتوفي بالمدينة ، أنظر ترجمته في مقدمة تفسيره ، جـ١/و ـ ز .

(٢٠) هو : أحمد بن محمد بن أبي بكر ، ولد بمدينة أربل ، من مؤلفاته : وفيات الاعيان ، أنظر ترجمته في الدرر الكامنة ٤/٣٧٢ ، فوات الوفيات ١/١٠٠ .

(٢١) هو : محمد بن أبي بكر بن محمد الفارسي المعروف بالايكي ، «أحد الفضلاء الحلالين للمشكلات ، الميسرين المعضلات ، لا سيما في علم الاصلين والمنطق وعلم الاوائل ..» من ترجمته في البداية والنهاية ١٣/٣٥٢ .

(٢٢) هو : أبو عبدالله محمد بن عبدالرحيم بن محمد الارموي الشافعي المتكلم ، ولد بالهندسة أربع وأربعين وستمئة ، ثم قدم الى دمشق في سنة خمس وثمانين فأقام فيها واستوطنها ، من ترجمته في البداية والنهاية ١٤/٧٤ـ٧٥ .

(٢٣) نشأة النحو ، محمد الطنطاوي ٢٢٧ـ٢٢٨ .

(٢٤) هو : ابن يعيش ، موفق الدين يعيش بن علي ، شارح المفصل ، ترجمته في البغية ٢/٣٥١ـ٣٥٢ .

(٢٥) هو : أبو عبدالله ، محمد بن محمد بن أبي علي بن عمرون ، شرح المفصل ، ترجمته في البغية ١/٢٣١ .

(ت ٦٤٩هـ)[٢٦] والعز بن عبدالسلام (ت ٦٦٠هـ)[٢٧] وابن تيمية (ت ٧٢٨هـ)[٢٨] وغيرهم ، فتكونت حركة علمية نشيطة ، كان من معالها تلك المصنفات الضخمة التي وصلت الينا في علوم القرآن والحديث والفقه واصوله وعلوم اللغة العربية وغيرها ، والتي تعد من أهم مصادر دراستنا لتراثنا العربي والاسلامي[٢٩] .

ثالثا : كان للحملات الصليبية ولغزو التتر وما حملت معها من أخطار الى المسلمين ودينهم ، أثر في احداث حركة علمية نشيطة ، ردا على تحدي أعداء الاسلام والمسلمين . وقد شملت هذه الحركة كثيرا من مجالات الثقافه الاسلامية والعربية ، ولا سيما علوم القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، وعلوم اللغة العربية . يضاف الى ذلك ان سقوط الدولة الفاطمية الشيعية[٣٠] ومجيء الدولة الايوبية السنية ، وما ترتب على ذلك من محاربة العقائد الشيعية الاسماعيلية ، ذات السمة العقلية والباطنية واستبدال العقائد السنية بتلك العقائد ، أثّر في بعث ومدارسة تراث السلف كعلوم القرآن الكريم والحديث الشريف وهو بلا ريب تراث ضخم .

---

(٢٦) هو : عثمان بن عمر ، جمال‌الدين ابن الحاجب ، صاحب الكافية والشافية المشهورتين . ترجمته في البغية ١/١٣٤ .

(٢٧) هو : عبدالعزيز بن عبدالسلام بن القاسم ، الملقب بسلطان العلماء . ولد سنة ٥٧٨هـ وتوفي سنة ٦٦٠هـ . أنظر ترجمته في طبقات الشافعية الكبرى ٥/٨٠ ، البداية والنهاية ١٣/٢٣٥ .

(٢٨) هو : تقي‌الدين ، أبو العباس أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام ابن تيمية ، ولد سنة ٦٦١هـ وتوفي سنة ٧٢٨هـ . أنظر ترجمته في الذيل على طبقات الحنابلة ٢/٣٨٧ وما بعدها .

(٢٩) أنظر : ابن تيمية ـ محمد يوسف موسى ٤٥ .

(٣٠) يرى الدكتور سعيد عبدالفتاح عاشور في كتابه : الناصر صلاح‌الدين ٧٢ ، ان من أسباب غزو شيركوه ، عم صلاح‌الدين مصر وقضائه على الدولة الفاطمية فيها ، هو سيادة المذهب السني الشام ومعظم العراق ، وسيادة المذهب الشيعي مصر .

ويمكن أن نسمي ، ونحن مطمئنون ، هذه المرحلة الزمنية من حياة المسلمين والعرب بأنها مرحلة إحياء العلوم السلفية .

وأرى ان العناية الفائقة بتراث السلف ، وعلوم القراءات القرآنية[٣١] ، والحديث الشريف[٣٢] منه خاصة ، وهي من العلوم التي تعتمد على الحفظ والرواية ، هي التي هيأت المناخ المناسب لأحد علماء ذلك العصر المتضلعين بها ، وهو ابن مالك أن يجتهد ، فيطلق الاستشهاد بهما في النحو . وكان من أبرز الجهود العظيمة التي قام بها وخدم الحديث الشريف فيها ، معاونته أبا الحسين اليونيني (ت ٧٠٠هـ)[٣٣] أحد أعلام ذلك العصر المبرزين في علوم الحديث ، في ضبط صحيح البخاري[٣٤] . وكان من نتاج عمله هذا كتابه « شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح » هذا الكتاب الذي صحح فيه ابن مالك كثيرا من الاحاديث التي ظن النحاة المتقدمون عليه انها رويت بالمعنى[٣٥] . وسنجد أثر ذلك واضحا عند الحديث عن نحو ابن الناظم.

المعاهد العلمية :

كانت في الشام في القرنين السادس والسابع ، معاهد علمية كثيرة ، ساعدت على نشر العلوم والمعارف ، وكانت خير منتجع لرادة العلم وشداته . ومن أهم تلك المعاهد :

اولا ـ الجوامع :

أدت الجوامع مهمتها العلمية في ذلك العصر كما أدته في مختلف العصور

---

(٣١) أنظر ابن الحاجب النحوي ١١ـ١٤ .
(٣٢) أنظر الحياة العقلية ـ بدوي ١٢٤ـ١٤٣ .
(٣٣) ترجمته في الذيل على طبقات الحنابلة ٢/٢٦٩ .
(٣٤) قال ابن رجب الحنبلي في المصدر السابق : «... واستنسخ صحيح البخاري واعتنى بأمره كثيرا» . وأنظر ايضا العربية ـ فك ٢٣٦ .
(٣٥) أنظر : الحديث الشريف في الدراسات اللغوية والنحوية ١٧٣ ـ ٣١٦ ففيه بحث مستفيض في هذه المسألة .

الإسلامية • ففيها يدرسون مختلف العلوم الاسـلامية ، وعلوم اللغة العربية • وكان لكثرتها في بلاد الشام عامة وفي دمشق حاضرة الشام ، وموطن ابن الناظم خاصة ، اهمية بالغة في نشاط الحركـة العلميـة انذاك • وقد ذكر عبدالقادر النعيمي (ت ٩٢٧هـ) (٤٧٤) مسجدا داخل دمشق وحدهـا ، عدا ما كان في ظاهرها ، وفي أرباضها[٣٦] • ولا شك ان كثيرا من تلك المساجد كان موجودا في القرنين السادس والسابع •

وكان الجامع الأموي ، أعظم تلك الجوامع اثرا في الحيـاة الفكريـة الشامية ، فقد شهدت أروقته وزواياه أكابر علمـاء ذلك العصر كابن عساكر (ت ٥٧١هـ) ، والمقدسي (ت ٦٠٠هـ) ، وهما ممن عنوا بالحديث وعلـومه ، وعلم الدين السخاوي (ت ٦٤٣هـ) وابن الحـاجب (ت ٦٤٦هـ) وابن مالك (ت ٦٧٢هـ) ، وهم ممن درسوا فيه علوم القراءات والفقه والنحو وغيرهـا من العلوم[٣٧] •

ثانيا ـ المدارس(٣٨) :

وكانت المدارس مركزا رئيسا آخر لنشر العلم • وكان عددها كثيرا ، ذكر النعيمي منهـا في دمشق وحدها (١٢٣) مدرسة ، كان منهـا (٦٣) مدرسـة للشافعية ، و(٥٢) مدرسة للحنفية ، و(٤) مدارس للمالكية ، و(١١) مدرسـة للحنابلة و(٣) مدارس للطب[٣٩] • ومما لاشك فيه أن كثيرا من تلك المدارس

---

(٣٦) أنظر فهرس الدارس في تاريخ المدارس •

(٣٧) أنظر : الحياة العقلية ـ أحمد أحمد بدوي ٢٣ـ٢٤ ، ابن تيمية ـ محمد يوسف موسى ٥٤ ، الحركة الفكرية في مصر ـ الدكتور عبداللطيف حمزة ٢٢١ •

(٣٨) أنظر مقدمة ابن خلدون ٤٣٤ـ٤٣٥ ففيها بحث نفيس عن المدارس وخاصة في الشام ، وأنظر أيضا الخطط المقريزية ٢/٣٦٣ ، وتاريخ آداب اللغة العربية ـ زيدان ٣/١٢٤ـ١٢٥ •

(٣٩) أنظر فهرس الدارس في تاريخ المدارس •

كان قائما في القرنين السادس والسابع • وقد أحصى بدوي ما بني منها في عصر الحروب الصليبية فقط ، فوجدها « زهاء تسعين مدرسة : منها اكثر من ثلاثين للحنفية ، ونحو ثلاثين للشافعية ، وثمان للحنابلة ، وثنتان للمالكية ، ومثلهما للشافعية والحنفية ، وثمان للحديث واربع للطب »[٤٠] •

وقد لقيت هذه المدارس عناية فائقة من طائفة من الملوك والامراء والموسرين والعلماء ، وكفلوا لها كل ما تحتاج اليه من أموال وغيرها • وما إعطاء الصالح أيوب أهل المدارس والربط وارباب البيوت عشرين ألف درهم الا مثل واحد من أمثلة تلك الرعاية[٤١] •

وقد امتازت تلك المدارس ودور العلم في ذلك العصر بميزتين رئيستين :

الاولى : ان كثيرا منها بُني على أساس مذهبي ، فقد قصد من إنشاء أكثرها ، نشر المذاهب الاربعة : الحنفية والشافعية والمالكية والحنبلية لمحاربة ما خالفها من المذاهب كالمذهب الشيعي الفاطمي الذي كان منتشراً في مصر والشام في عهد الدولة الفاطمية[٤٢] « ومن يرجع الى كتاب الدارس في تاريخ المدارس لعبدالقادر النعيمي (المتوفى سنة ٩٢٧هـ) يجد التصنيف المذهبي هو الذي ابتني عليه الكتاب ، وهو بلا ريب تقرير لواقع قائم »[٤٣] •

الثانية : اختصاص قسم من تلك المدارس ، بدراسة علوم بعينها • وقد ذكر النعيمي[٤٤] سبع دور منها لدراسة علوم القرآن ، وست عشرة دارا لدراسة علوم الحديث الشريف ، وثلاث دور لدراسة علوم القرآن والحديث معا ، وثلاث دور لدراسة الطب • وبلغ شغف الملك المعظم عيسى بالنحو مبلغا جعله يبني مكانا في القدس على آخر الصخرة من جهة القبلة « يسمى النحوية

---

(٤٠) الحياة العقلية ـ بدوي ٦٠ـ٦١ •
(٤١) السلوك ١/٣٢٦ •
(٤٢) أنظر الحركة الفكرية في مصر ٨٢ •
(٤٣) ابن الحاجب النحوي ٩ •
(٤٤) أنظر فهرس الدارس في تاريخ المدارس •

للاشتغال بعلم العربية ووقف على ذلك أوقافا حسنة »[٤٥] • وكان كتاب سيبويه هو الاصل في التدريس فيها[٤٦] •

وقد ألحقت بالجوامع ودور العلم والمدارس مكتبات ضخمة ، يؤمها الطلبة والشيوخ لتحصيل مختلف العلوم • وقد خدمت خدمة جليلة ، وتولى بعضها علماء مرموقون كالميدومي الذي ولي خزانة كتب الكاملية[٤٧] •

وكانت الكتب في ذلك العهد كثيرة ، ويدل على ذلك ما قاله السيوطي في ترجمته لأبي اليمن الكندي ان «له خزانة كتب بالجامع الأموي فيها كل نفيس»[٤٨] • ويدل على ذلك أيضا ما رواه المقريزي في أحداث سنة احدى وثمانين قال : « وقعت نار بدمشق أقامت أياما فاحترق منها شيء كثير ، منها سوق الكتبيين • واحترق لشمس الدين الجزري الكتبي خمسة عشر ألف مجلدة سوى الكراريس »[٤٩] •

العلوم المعروفة في عصر ابن الناظم :

كانت علوم الشريعة الاسلامية[٥٠] ، الاساس الذي بُنيت عليه الثقافة العربية والاسلامية • وكانت علوم القرآن الكريم ، والحديث النبوي الشريف والفقه وأصوله ، وأصول الدين[٥١] ، والفرائض ، وعلم الكلام ، والتصوُّف وغيرها من العلوم ، الشغل الشاغل للعلماء المسلمين ، ومحور نشاطهم في مختلف عصورهم ولا سيما في القرنين السادس والسابع •

---

(٤٥) الانس الجليل ١/٤٠٣ •
(٤٦) أنظر خطط الشام ٦/١١٩ ، الحياة العقلية ـ بدوي ٧٢ ، مأمون بني أيوب ـ بدوي ٧ •
(٤٧) أنظر البغية ١/١٢ •
(٤٨) نفسه ١/٥٧٠ـ٥٧١ و١/١٥٨ـ١٥٩ •
(٤٩) السلوك ١/٦٤١ و١/٢٣٢ ففيه معلومات قيمة عن خزانة القاضي الاشرف أحمد بن القاضي الفاضل •
(٥٠) أنظر مقدمة ابن خلدون ٤٣٥ وما بعدها •
(٥١) ذكر الدكتور محمد يوسف موسى في كتابه : ابن تيمية ٧١ : أن مؤرخي السيرة القدماء أطلقوا على أصول الدين وأصول الفقه لفظة (الاصلين) وهما يكونان علم الكلام عند المسلمين •

وكان لا بد للمعني بهذه العلوم من ان يلم بعلوم اللغة العربية لما لها من عظيم الصلة بها . فوشائج علوم الشريعة ، وعلوم اللغة العربية ، مترابطة العرى . يقول ابن خلدون في علوم اللسان العربي : « أركانه أربعة وهي اللغة والنحو والبيان والادب ، ومعرفتها ضرورية على أهل الشريعة اذ مأخذ الاحكام الشرعية كلها من الكتاب والسنة وهي بلغة العرب ، ونقلتها من الصحابة والتابعين عرب ، وشرح مشكلاتها من لغاتهم ، فلا بد من معرفة العلوم المتعلقة بهذا اللسان لمن أراد علم الشريعة ... »[٥٢] .

وكان للعلوم العقلية ، وهي علوم الفلسفة والحكمة والمنطق ، وكذلك للعلوم الطبيعية والرياضية كالفلك والحساب والطب وغيرها سوق رائجة في بعض البيئات العلمية[٥٣] .

أما النحو واللغة ، فقد اتسمت بحوثهما في القرنين السادس والسابع في مصر والشام ، بسمات من أهمها :

أ ـ النشاط الدائب في تأليف المصنفات اللغوية والنحوية ، اضافة الى ماكانت عليه في القرون السابقة عليهما . ففي هذين القرنين ، صنف النحويون واللغويون كثيرا من المصنفات المهمة ، منها شرح المفصل لابن يعيش ولسان العرب . وكان من أسباب هذا النشاط ، تشجيع طائفة من سلاطين الايوبيين وامرائهم للدراسات النحوية واللغوية ، والاسهام في دراستهما . فالملك المعظم عيسى (ت ٦٢٤هـ) « ... اشتغل في اللغة والنحو على التاج الكندي وكان محفوظه شرح مفصل الزمخشري ، وكان يجيز من حفظه ثلاثين دينارا ،وكان قد أمر أن يجمع له كتاب في اللغة يشمل صحاح الجوهري والجمهرة لابن

---

(٥٢) المقدمة ٥٤٣ . وأنظر أيضا مقدمة مجمع البيان ١/٥ ففيها نقل عن الزمخشري يبين فيه ما يحتاجه اليه المفسرون من علوم اللغة العربية وغيرها . وأنظر أيضا مقدمة المفصل ٤ .

(٥٣) أنظر مقدمة ابن خلدون ٤٧٨ ، ابن تيمية ـ د. محمد يوسف موسى ٦١ .

دريد والتهذيب وغير ذلك ... »[٥٤] . وأخوه الملك الكامل (ت ٦٣٥هـ) شجع الدارسين في النحو ، ودرسه حتى وصل الى درجة الافتاء فيه[٥٥] . ونظم ابن الحاجب مقدمته المعروفة بـ « الكافية » للملك الناصر داود (ت ٦٥٥هـ)[٥٦] ابن الملك المعظم .

ولم تكتف هذه الطائفة بتشجيع دراسة النحو ومدارسته ، بل اشترك في التأليف فيه . فقد ألف « الملك المعظم شرف الدين الايوبي (٥٧٦-٦٨٤هـ) ؛ رسالته (السهم المصيب في الرد على الخطيب) ، اجتهد في دفع جميع المغامز التي أثارها الخطيب في تاريخ بغداد ... »[٥٧] . وهذه المغامز تتعلق بقول أبي حنيفة (ولو ضرب رأسه بأبا قبيس) بمجيء (ابا) على لغة القصر[٥٨] . وألف أبو الفداء اسماعيل الأيوبي (المتوفى سنة ٧٣٢هـ) كتابا في النحو سماه « الكناش في النحو والصرف »[٥٩] ، وشرحا على كافية ابن الحاجب[٦٠] .

هذه الرعاية لدراسة النحو والاسهام في التأليف فيه من الايوبيين ، أثرت في كثرة دارسيه . وكانوا في عنايتهم بالعربية ، يحكون اسلافهم السلاجقة

---

(٥٤) البداية والنهاية ٣/١٢١ ،وأنظر أيضا: شذرات الذهب٥/١١٥ .
(٥٥) النجوم الزاهرة ٥/٣٨٥ ، القرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية ١٧٧ .
(٥٦) كشف الظنون ٢/١٣٧٤ .
(٥٧) العربية ـ فك ٦٥ـ٦٦ .
(٥٨) أثار هذا القول حمية قسم من الدارسين ، بين مصويين لقول أبي حنيفة ، ومخطئين له . وكان العامل المذهبي هو الفيصل في احكامهم . انظر : العربية ـ فك ٦٥ـ٦٦ .
(٥٩) في دار الكتب المصرية منه نسخة رقمها ٨٨٢ نحو ، كتبت سنة ٧٢٧هـ .
ويقول مفهرس المخطوطات في معهد المخطوطات العربية : يبدو انها بخط المؤلف . أنظر فهرس المخطوطات العربية ١/٣٩٤ .
(٦٠) كشف الظنون ٢/١٣٧٤ .

الذين أظهروا عناية فائقة في الحفاظ على العربية وعلومها • أما سلاطين المماليك الذين جاءوا بعد الايوبيين ، فلم تلق العربية من لدنهم ماكانت تلقاه من سابقيهم من عناية ومشاركة •

ب ـ ان الوافدين من دارسي النحو على الشام من المشرق بما فيه العراق، ومن الاندلس ومصر ، كانوا قطب الرحى في مدارسة النحو في الحوزات العلمية الشامية • ولكي نتبين طبيعة الدراسة النحوية في الشام ، نقف على أهم النحاة الشاميين والنحاة الوافدين على الشام ، وقد تتبعتهم في كتب التراجم والسير ، ولا سيما البغية فوجدت :

اولا : أنّ صلة النحاة العراقيين بالشام قديمة • فقد أقام أبو علي الفارسي في حلب ودمشق وأملى فيهما ، وسكن ابن خالويه[61] ، عصريّ الفارسيّ أيام سيف الدولة ، واختص به • وأملى أبو القاسم الزجاجي[62] في دمشق وسكن طبريّة ، وتوفي بها • فاذا تقدّمنا الى العصر الايوبي طالعتنا شخصية نحوية كبيرة ، هي شخصية أبي اليمن تاج‌الدين الكندي[63] • فقد كان لمنزلته الاجتماعية الكبيرة ، ولما تمتع به من امكانات علمية عالية ، أثر عظيم في أحداث حركة علمية ضخمة في البيئات العلمية الشامية • فقد تصدّر فيها للافادة والتدريس ، وتخرّج به جماعة من الذين عنوا بدراسة النحو في الشام ، منهم الملك المعظم عيسى الذي قرأ عليه « كتاب سيبويه والايضاح لأبي عليّ الفارسيّ وشرح سيبويه لابن درستويه »[64] • وصحبه فخرالدين

---

(٦١) ترجمته في البغية ٥٢٩/١ •

(٦٢) ترجمته في البغية ٧٧/٢ •

(٦٣) هو : تاج‌الدين ، زيد بن الحسن ، أبو اليمن الكندي • قرأ النحو على أبي السعادات هبةالله بن الشجري وابن الخشاب ، واللغة على أبي منصور موهوب الجواليقي • ولد ببغداد (سنة ٥٢٠هـ) وتوفي بدمشق (سنة ٥٩٧هـ) ، أنظر ترجمته في ارشاد الاريب ٢٢٢/٤ـ٢٢٣ ، البداية والنهاية ٧١/١٣ ، البغية ٥٧٠/١ ، الدارس في تاريخ المدارس ٤٨٣/١ •

(٦٤) ارشاد الاريب ٢٢٣/٤ •

التركي[٦٥] (ت ٦٢٦هـ) واجتمع به سعيد بن منصور الحلبي[٦٦] (ت ٦٢٨هـ) وجالسه ابن يعيش (ت ٦٤٣هـ) ، وقرأ عليه مهذَّب الدين الحلّي[٦٧] (ت ٦٤٢هـ) ، وعلم الدين السخاوي[٦٨] (ت ٦٤٣هـ) ، وأحمد ابن عليّ المهلَّبي الحمصي[٦٩] (ت ٦٤٤هـ)، والحسين بن ابراهيم الكوراني[٧٠] (ت ٦٥٦هـ) وعلم الدين اللورقي الاندلسي[٧١] (ت ٦٦١هـ) وعبدالعزيز بن محمد الانصاري الدمشقي[٧٢] (ت ٦٦٢هـ) .

ثانيا : وأنّ كثيرا من الوافدين من النحاة على الشام في ذلك العصر ، كانوا من الاندلس والمغرب والشمال الافريقي ومصر[٧٣] وكان من أشهرهم : أبو الحسن بن خروف الاندلسي (ت ٦٠٩هـ) ويحيى بن معط الزواوي المغربي (ت ٦٢٨هـ) والقاسم بن احمد اللورقي الاندلسي (ت ٦٦١هـ) وابن مالك الاندلسي (ت ٦٧٢هـ) وابن منظور الافريقي[٧٤] (ت ٧١٠هـ) .

---

(٦٥) ترجمته في البغية ٢/١٥١ .
(٦٦) ترجمته في البغية ١/٥٩١ . (٦٧) ترجمته في البغية ١/١٨٤ .
(٦٨) هو : أبو الحسن ، عليّ بن محمد بن عبدالصمد السخاوي . أخذ عن الشاطبي والتاج الكندي . ولد (سنة ٥٥٩هـ) ومات بدمشق (سنة ٦٤٣هـ) .. أنظر ترجمته في البغية ٢/١٩٢ .
(٦٩) ترجمته في البغية ١/٣٤٨ .
(٧٠) ترجمته في البغية ١/٥٢٨ .
(٧١) هو : القاسم بن أحمد ، علم الدين اللورقي ، شرح المفصل وغيره، ولد سنة ٥٧٥هـ وتوفي سنة ٦٦١هـ . أنظر ترجمته في البغية ١/٢٥٠ .
(٧٢) ترجمته في البغية ٢/١٠٢ .
(٧٣) أنظر تراجمهم في البغية ، وقد راعيت تاريخ الوفاة في الاشارة اليهم : ٢/٣٣٤ ، ١/١٤٤ ، ١٨٤ ، ١٢٠ ، ٢٤٣ ، ٤٤
، ٣٦٧ ، ٥٧٤ ،
٢٩٣ ، ٣٠٨ .
(٧٤) هو : أبو الفضل محمد بن مكرم ، المشهور بابن منظور . صاحب لسان العرب . ولد سنة ٦٣٠هـ ، ومات سنة ٧١٠هـ . أنظر ترجمته في نكت الهميان على نكت العميان ٢٧٦ ، والبغية ١/٢٤٨ .

ثالثا : وكان في بيئة الشام العلمية ، دارسون عنوا بدراسة النحو ، توحي تراجمهم أنَّهم من الشام ، لم ينجم منهم في الدراسة النحوية غير ابن يعيش (ت ٦٤٣هـ) الذي شرح مفصل الزمخشري ، ومن اولئك الدارسين : علي بن الحسن الكلابي الدمشقي[٧٥] (ت ٥٦٢هـ) وابن عمرون (ت ٦٤٩هـ) وعبدالواحد بن عبدالكريم الزملكاني[٧٦] (ت ٦٥١هـ) وأبو شامة عبدالرحمن ابن اسماعيل[٧٧] (ت ٦٦٥هـ) وشمس الدين محمد بن احمد الشافعي[٧٨] (ت ٦٩٣هـ) ومحمد بن سالم الحموي[٧٩] (ت ٦٩٧هـ) ومحمد بن يعقوب المعروف بابن النحوية[٨٠] (ت ٧١٨هـ) وزين الدين الحريري[٨١] (ت ٧١٦هـ) ويوسف بن محمد النحوي[٨٢] (ت ٧٣٦هـ) واحمد بن السرّاج الدمشقي[٨٣] (ت ٧٤٣هـ) ، وطه علم الدين النحوي[٨٤] (ت ٧٥٩هـ) ٠

ومما تقدم نرى أنَّ معظم دارسي النحو في الشام من النحاة الوافدين عليه من المشرق ومن الاندلس والمغرب ومصر ٠ وهم في الواقع عماد الحركة العلمية الشامية آنذاك ٠ وكان للكندي دور عظيم في شيوع الدراسات النحوية ذات الطابع البصري ٠ أما الدارسون الشاميون فلم يبرز منهم في تلك الدراسات غير ابن يعيش ٠

جـ ـ أنَّ من أهم مصادر الدراسة النحوية ، كتاب سيبويه (ت ١٨٠هـ) وكتب المبرد (ت ٢٨٥هـ) ، وكتب الزجاجي (ت ٣٣٩هـ) ككتاب الجمل

---

(٧٥) ترجمته في البغية ٢/١٥٥ (٧٦) ترجمته في البغية ٢/١١٩ ٠

(٧٧) ترجمته في البغية ٢/٧٧ ٠

(٧٨) ترجمته في البغية ١/٢٣ ٠ (٧٩) ترجمته في البغية ١/١٠٨ ٠

(٨٠) ترجمته في البغية ١/٢٧٢ ٠

(٨١) الدارس في تاريخ المدارس ٢/٢٦٩ ٠

(٨٢) ترجمته في البغية ١/٣٦١ ٠ (٨٣) ترجمته في البغية ١/٢٠ ٠

(٨٤) ترجمته في البغية ١/٢١ ٠

واللامات وكتب أبي علي الفارسي (ت ٣٧٧هـ) كالايضاح والحجة[٨٥] والاغفال ، وكتب أبي الفتح ابن جني (ت ٣٩٢هـ) كالخصائص وسر صناعة الاعراب والمحتسب ، وكتب الزمخشري (ت ٥٣٨هـ) كالكشاف ، وكالمفصل الذي عُني به عناية فائقة في الشام ، وشرحه نحاة كثيرون[٨٦] .

وأصحاب هذه الكتب ، بصريون في مذهبهم النحوي .

د ـ شيوع أنماط من التأليف في الدراسة النحوية ، في ذلك العصر لم تكن شائعة في ما قبله من العصور ، من هذه الانماط في التأليف وضع المقدمات والمتون النثرية والشعرية المختصرة ، بصورة واسعة[٨٧] ثم شرحها ، والتعليق عليها[٨٨] . صحيح إنّ وضع المقدمات في النحو كان قديما ، قدم التأليف في النحو[٨٩] ، من ذلك المقدمة المنسوبة الى خلف الاحمر (ت ١٨٠هـ) ،

---

(٨٥) قال محققو كتاب الحجة في مقدمتهم له ص٣٠ «وتتألف مادّته اللغوية في الدراسة والاحتجاج من القرآن الكريم والحديث الشريف والشعر القديم في الجاهلية والاسلام ، ولهجات القبائل وأقوال أئمة اللغة والنحو ، يستعين بها في الايضاح والشرح ، ويركن اليها في الاستشهاد والاحتجاج» . وقالوا أيضا في ص٣٢ «وعني به أهل الشام في القرن السابع الهجري حتى كانوا يحفظونه» .

(٨٦) الدراسات النحوية واللغوية عند الزمخشري ١٠٢ وما بعدها .

(٨٧) مقدّمة ابن خلدون ٥٤٧ .

(٨٨) أنظر : نشأة النحو ٢١٠ ، رأي في بعض الاصول اللغويةوالنحوية ـ عباس حسن ١٣ ، ابن الحاجب النحوي ـ طارق الجنابي ١٥ .

(٨٩) ينظر ما أورده حاجي خليفة في كشف الظنون من مقدمات في النحو (٢/١٧٩٥ـ١٨٠٤) وذهب طه الراوي ـ تاريخ علوم اللغة العربية ١٣٤ ، الى أنّ أول من فتح هذا الباب (أي نظم العلوم اللسانية) فيما نعلم يحيى بن معط الزواوي المغربي المتوفى سنة ٦٢٨هـ . والحقيقة ان ابن معط مسبوق بهذا النوع من التأليف . فقد عرفت المنظومات العلمية قديما . وقال الشيخ يحيى عبدالعاطي ـ مجلة كلية الشريعة ١٥٣ ، العدد الثاني ١٩٦٥ ـ ١٩٦٦ أما أقدم منظومة في النحو فهي لمحمد بن يحيى القلفاطي من نحاة القرن الثالث الهجري . ثم جاء الحريري (ت ٥١٦هـ) ونظم منظومته المعروفة ب (ملحة الاعراب) وشرحها ، ثم شاع هذا النمط من التأليف الى زمن متأخّر . وقد جمع كتاب « مجموع مهمات المتون » قسما من المتون في العلوم العقلية والنقلية .

ومقدمة أبي عمر الجرمي (ت ٢٢٥هـ) ، والتفـــاحة في النحو لأبي جعفـــر النحاس (ت ٣٣٨هـ) ، غير أن هذه المقدمات لم تنعقد عليها دراسات ، وشروح كما انعقد عـــلى مقدمتي الكافية[٩٠] والشـافية[٩١] في النحو والصـرف لابن الحاجب وتسهيل ابن مالك[٩٢] .

أما المتون الشعرية ، فهي الأخرى ، قـد احتلت مـكانا متميزا في تأليف هذا العصر . وحظيت أليفتا ابن معط (ت ٦٢٨ هـ) ، وابن مالك (ت٦٧٢هـ) بعناية فائقة من لدن الدارسين للنحو ، فشرحتا[٩٣] ، وكانتا وشرحهما ، من الاصول الرئيسة للدراسة النحوية آنذاك ، وعلى الأخص الاخيرة وشروحها منهمـا[٩٤] .

وكان لهذا النمط من التأليف ، أثر سيء وضرر بليغ في دراسة النحو ، وقد أشار الى هذا الضرر من الناحية التربوية والتعليمية ابن خلدون . قال : « وربما عمدوا الى الكتب الامهات المطولة في الفنون للتفسير والبيان،فاختصروها تقريبا للحفظ كما فعله ابن الحاجب في الفقه ، وابن مالك في العربية والخونجي في المنطق ، وأمثالهم وهو فساد في التعليم ، وفيه اخلال بالتحصيل ، وذلك لأن فيه تخليطـا على المبتديء بالقاء الغايات من العلم عليه وهو لم يستعد لقبولهـا بعد .. »[٩٥] .

هـ ـ ولم يكن معظم نتاج ذلك العصر ، متسما بطابع الأصالة والعمق[٩٦] فقد

---

(٩٠) الكشف ٢/١٣٧٠ ، ابن الحاجب النحوي ٦٠ .

(٩١) الكشف ٢/١٠٢٠ ، ابن الحاجب النحوي ٨٢ .

(٩٢) الكشف ١/٤٠٥ ، شرح التسهيل ـ ابن أم قاسم ـ المقدمة ٢٩ بقلم محققه حسين تورال .

(٩٣) الكشف ١/١٥١ .

(٩٤) نفسه ١/١٥١ـ١٥٧ .

(٩٥) مقدمة ابن خلدون ٥٣٢ـ٥٣٣ .

(٩٦) أنظر عن اسلوب تأليف ذلك العصر وعيوبه ، من ايجاز شديد ، والتواء في العرض ، وابهام ، وعدم اطالة مطلوبة لتوفية البحث حقه الى غير =

كان بعيدا عن أن يكون صادرا عن طبيعة البحث اللغوي الصحيح ، فالنحويون في ذلك العصر ، لم يظهر فيهم مبدعون ، متميزون بشخصياتهم العلمية ، كشخصية الخليل ، وسيبويه ، والفراء ، بحيث يضيفون إضافات جديدة ذات اصالة وغناء في الدراسات اللغوية والنحوية لأن « العبقرية بنت زمانها ولكنها دائما تعدوه ، وصغار الكتاب ، حبيسو عصرهم في كل شيء فحرارتهم من حرارته ، ومستواهم في مستوى الجمهور »[(٩٧)] .

ان الحياة الثقافية ، بما اكتنفها من عوامل ، أدت الى تحديد أطرها وطبيعتها لم تساعد على وجود تلك الشخصية العبقرية التي كان بامكانها أن تضيف من نفحاتها العبقرية ، كما أضاف الخليل وسيبويه والفراء للدراسات النحوية واللغوية .

وانا إذ أقرر ما أراه حقيقة ، نتيجة لتتبعي للحياة الثقافية ونتاجاتها أرجو ألا اكون ظالما لدارسي ذلك العصر .

إن ما أرجوه ، هو أن أسهم في وضعهم في موضعهم الحقيقي من الحياة الفكرية العربية .

لقد ذهب الدكتور حسن عون الى ان كتاب المفصل للزمخشري اعظم كتاب ظهر بعد كتاب سيبويه ، من حيث مادته ، وطريقة معالجته للقضايا النحوية[(٩٨)] . وذهب الدكتور يوسف خليف الى أن ابن مالك نظير سيبويه فيما قام به . قال : « ... إن أهمية ابن مالك ترجع الى أنه هو الذي قام بأكبر عملية تصفية تمت في تاريخ هذا النحو ، وكأنما ظن الزمن بعد سيبويه

ذلك من العيوب : نظرات في اللغة والنحو ـ طه الراوي ٣٨ ، اللغة والنحو بين القديم والحديث ـ عباس حسن ٢١٤ ، رأي في بعض الاصول اللغوية والنحوية ـ عباس حسن ١٣ـ١٤ ، من تاريخ النحو ـ سعيد الافغاني ١٨٠ ، علم اللغة ـ السعران ٣٥٤ـ٣٥٥ ،ابن الحاجب النحوي ـ طارق الجنابي ٥٧ .

(٩٧) منهج البحث في تاريخ الآداب ـ لانسون ٤١٤ .

(٩٨) تطور الدرس النحوي ـ الدكتور حسن عون ٨٩ .

بمقاليد خزائنه ليسلمها لابن مالك في القرن السابع حتى يفتح بها هذه الخزائن النفيسة ليستخرج مافيها من كنوز غالية وهي كنوز لم تتحها مقاليد سيبويه للناس كما أتاحتها مقاليد ابن مالك ... الخ »[٩٩] .

إنّ مثل هذه الاحكام غير المشفوعة بمسوغات علمية ، تجني على الحقيقة العلمية جناية كبيرة . فليس المفصل أعظم كتاب بعد كتاب سيبويه ، والا فأين نضع كتاب «المقتضب» للمبرد ، و «الاصول» لابن السراج ، و «الايضاح العضدي» للفارسي ، وشرح السيرافي ، الذي يقول فيه الأب هنري فليش اليسوعي بأن هنالك نقصا كبيرا في فقه اللغة العربي ، لعدم نشره حتى الآن[١٠٠] وغيرها من امهات كتب النحاة التي سبقته ؟ . وليس ابن مالك فاتح خزائن النحو العربي بعد سيبويه ، ولم يكن الا أحد الدارسين المجتهدين له . وعندي ان «الجمل» للزجاجي ، أجمل عرضا لمادة النحو ، وأقرب مأخذا لدارسيها من كتاب «التسهيل» .

لم يكن لنحاة ذلك العصر مندوحة من أن يقوموا بما قاموا به من أعمال علمية لأنهم وليدو عصرهم . هذا العصر الذي افتقد بعض المصادر الحية للدراسات النحوية واللغوية ، المتمثلة في البيئات اللغوية التي استقى منها النحاة واللغويون الأوائل طائفة من المادة اللغوية التي على أساسها انبنى صرح علم اللغة والنحو في العربية[١٠١] . ولأن الاجناس الوافدة على الشام كالمغول والخوارزمية والافرنج ، لم تكن عندهم المقومات الحضارية ، التي تفيد منها الحركة الفكرية العربية والاسلامية ، عند امتزاجها بالعرب والمسلمين، على حين عاد امتزاج الفرس واليونانيين والهنود بالعرب والمسلمين ، بالنفع الكبير على الحركة الفكرية العربية والاسلامية ، لأنهم من الاجناس التي

---

(٩٩) تسهيل الفوائد ـ التمهيد هـ .
(١٠٠) العربية الفصحى ١٩٨ .
(١٠١) أنظر محاضرات الدكتور المخزومي التي ألقاها على طلبة الدكتوراه في جامعة بغداد (عام ١٩٧٢ـ١٩٧٣) .

ضربت بقسط وافر من التقدم الحضاري وكان من مظاهرها نشــاط الحركة اللغوية العربية على أيدي روادها الأوائل الذين أغنوا الحركة الفكرية بفيض وافر من جهودهم العلمية الخالدة •

ومهما يكن رأينا في علماء ذلك العصر ، ونتاجهم العلمي ، فاننا نُجِلُّ موقفهم العظيم في محافظتهم على العربية الفصحى تجاه زحف اللهجات العـامية التي استفحل أمرها ، واصبحت لغة العامــة منذ أمد بعيد(١٠٢) • ونُجِلُّ صبرهم وجلدهم في جمع المادة اللغوية وتبويبها • وما لسان العرب لابن منظور (ت ٧١٠هـ) الا مثال لتلك الجهود البارعة في الميدان اللغوي •

ان عمل علماء ذلك العصر ، ليس بالهيِّن • فلولاهم لكان للعربية مصير غير مصيرها الذي هي عليه اليوم •

---

(١٠٢) أنظر : العربية ليوهان فك ٢١٢ـ٢٢٩ •

البــاب الأول

« سـيرته وكتبـه »

الفصل الأول

سيرته

اسمه وكنيته ولقبه :

هو : أبو عبدالله[1] ، محمد بن محمد بن عبدالله بن عبدالله بن مالك[2] بدرالدين الشافعي الطائي الكناني[3] الدمشقي[4] النحوي[5] ، المعروف بابن الناظم .

وقد أثبت محمد كامل بركات محقق كتاب التسهيل[6] ، اسم «محمد» بين اسمي «عبدالله» عند كلامه على نسب أبيه ابن مالك ، اعتمادا على سلسلة النسب المذكورة في أول شرح التسهيل للدماميني ، وعلى بروكلمن ، ودائرة المعارف الاسلامية . وعلل ذلك بأن « اسقاط اسم من سلسلة النسب لا يكفي دليلا على عدم وجوده ولا سيما اذا ورد ذكره في أكثر من مصدر يطمأن اليه »[7] . وتمحل في ذكر الادلة لاثبات مراده ، على الرغم من اعترافه أن « أكثر الروايات قد أسقطته »[8] . وليس ما ذهب اليه بسليم ، لأن نقله عن شرح التسهيل غير أمين . فهو لم ينقل النص كما جاء فيه ، بل أسقط لفظة «أيضا» المذكورة في الشرح نفسه عوضا عن اسم «عبدالله» اختصارا ، وزاد

---

(١) المصباح ٢ ، شرح التسهيل ـ لابن مالك وابنه ق٢١٦ ، ذيل مرآة الزمان ٤/٣٢٩ .

(٢) الوافي بالوفيات ١/٢٠٤ .

(٣) ذيل مرآة الزمان ٤/٣٢٩ .

(٤) معجم المؤلفين ١١/٢٣٩ .

(٥) روضات الجنات ٧١١ .

(٦) التسهيل ـ التمهيد ١ .

(٧) نفسه .

(٨) نفسه .

على الفقرة لفظة «محمد» . وهذا نص الدماميني منقولا من أول شرحه على التسهيل ، حين تحدث عن ابن مالك . قال : « هو العلامة ... جمال الدين أبو عبدالله محمد بن عبدالله « أيضا » ابن مالك الطائي الاندلسي الجياني ... »[٩] . وأما الاعتماد على بروكلمن ، ودائرة المعارف الاسلامية ، فأمر غير سليم ، لأن الاعتماد على المصادر الموثوقة المعاصرة له ، والقريبة العهد به ، أحجى من الاعتماد على مرجعين حديثين .

وقد كنّاه المقريزي[١٠] ، بأبي الفضل ، وسمّاه ابن كثير[١١] «عبدالله». والظاهر أن لفظة «أبو» سقطت من كُنيته . وعدّه اسماعيل باشا البغدادي[١٢] مالكي المذهب ، كما عدّ أباه[١٣] . وأظن أن هذا الوهم جاء من أن ابن مالك ، كان مالكيا في الاندلس ، غير أنه تشفّع في المشرق . فنظر الى مالكيته في الاندلس ، ولم يعتدّ بشافعيته في المشرق[١٤] ، ومن أجل ذلك عدّ ابنه مالكيا أيضا .

وعُرف بـ «اسم» ابن الناظم عند النحاة ، وعند شرّاح الالفية خاصة . ولعل عصريّه أبا حيان الاندلسي[١٥] أول من سمّاه به ، ثم جاء بعده ابن هشام[١٦] وغيره ، فسمّوه بهذا الاسم . أما سبب تسميته بهذا الاسم فلأنه ابن

---

(٩) انظر مقدمة شرح التسهيل للدماميني ـ مخطوط في مكتبة الاوقاف في بغداد . وقد أثبت ابن قاضي شهبة في طبقات النحاة واللغويين ١٣٣ ، كلمة (مرتين) بعد اسم عبدالله الثانية ، زيادة في التأكيد على أن كلمة عبدالله في نسب ابن مالك ، جاءت مرتين متتاليتين .

(١٠) السلوك ١/٧٣٨ .

(١١) البداية والنهاية ١٣/٣١٣ .

(١٢) هدية العارفين ٢/١٣٥ ، ايضاح المكنون ١/٢٢٦ .

(١٣) نفسه .

(١٤) نفح الطيب ٢/٤٢١ .

(١٥) منهج السالك ٣٣١ ، ٣٣٢ ، ٣٧٣ ، ٣٧٤ .

(١٦) اوضح المسالك ٢٢ ، ٤٢ ، ٦٤ ، ٨٧ وغيرها .

ناظم الالفية[17] ، وأول شارح لها ، فأضيفت لفظة «ابن» الى لفظة «الناظم» .

وعرف كذلك بـ «الشارح» عند طائفة من شرّاح الالفية كالمكودي[18] والأشموني[19] ، حتى صار علمـــا له بالغلبة ، اذا ما ذُكر في شـــروحهم للألفيـــة[20] .

ولادتـــه :

لا نجد فيما ذكر عن ابن النـــاظم في مصادر ترجمته ما يشير الى سـنة ولادته ، غير ما رجّحه محمد كامل بركات بقوله : « يرجّح أن يكون مولده حوالي سنة ٦٤٠هـ أو بعدها بقليل »[21] . اعتمادا على رواية من قال بوفاته كهلا سنة ست وثمانين وست مئة . وهي ـ عندي ـ رواية مرجوحة بروايـة من قال بوفاته شابا قبل الكهولة . وللتوصل الى معرفة سنة ولادته وعمره عند وفاته ، يجب علينا أن نعرض لمختلف الروايات التي تناولت خبر وفاته .

كاد اجماع المؤرخين له ، ينعقد على أن سنة ست وثمانين وسّت مئة ، هي سنة وفاته ، غير أنهم اختلفوا في أيّ طور من أطوار حياته تُوفّي ، أفي طور الشباب أم في طور الكهولة ؟ فالمقّري يحكي عن الذهبي عصريّ ابن الناظم قوله : « مات شابا قبل الكهولة »[22] . ويؤيد هذه الرواية ، روايـة الصفدي القائلة «مات قبل الكهولة»[23] . غير ان الأسنوي[24] والسبكي[25]

---

(١٧) اشتهر ابن مالك عند شراح الالفية بالناظم ، لانه ناظمها وعليـه فلا بد ان يلقبوه بالناظم عند شرح أبيات النظم . أنظر : منهج السـالك ٢٤ ، ٤٠ ، ٩٠ .

(١٨) شرح المكودي ١٠١ ، ١٦٠ ، ١٦٣ ، وغيرها .

(١٩) شرح الاشموني ٤٢/١ ، ١٢٢ ، ١٣٣ وغيرها .

(٢٠) نشأة النحو ٢٣١ .

(٢١) التسهيل ـ التمهيد ١٤ .

(٢٢) نفح الطيب ٤٣٣/٢ .

(٢٣) الوافي بالوفيات ٢٠٥/١ .

(٢٤) طبقات الشافعية ٤٥٥/٢ .

(٢٥) طبقات الشافعية الكبرى ٤١/٥ .

ينصّان على أنه تُوفي كهلا ، وتابعهما على ذلك كحالة[٢٦] . أمـا ابن العماد الحنبلي ، فانه ينقـل عدة روايات فيقول : « قال الشيخ تاج الدين ... تُوفي في المحرم من قولنج كان يعتريـه كثيرا ، قال الذهبي لـم يكتهل ، وقال غيره توفي كهـلا ، وقال ابن حبيب توفي عن نيف وأربعين سـنة ، ودفن بباب الصغير »[٢٧] . ويظهـر أن الزركلي[٢٨] اعتمد روايـة ابن حبيب حينمـا ترجم له .

إن انقسام المؤرخين الى فئتين : فئة تؤيد موته شـابا قبل الكهـولة ، والثانية تذكر موته كهـلا ، ناف على الاربعين ، يبيح لنـا ترجيح ما رواه الذهبي والصفدي ، لسكنهما دمشق ،وطن ابن الناظم ، ولمعاصرة الاول له ، وقرب عهد الثـاني منـه ولتلمذته لرفيقـه في الطلب ، الشـيخ شـهاب الدين محمود[٢٩] ، تلميذ ابن مالك[٣٠] .

واذا ترجَّح لدينا أنه تُوفي شابا لم يكتهل ، أمكن تخمين عام ولادته ، وعمره عند وفاته ، برجوعنا الى المعجمات اللغويـة ، لمعرفـة المدلول اللغوي لكلمتي الشباب والكهولة . يقول الجوهري : « الكهل مـن الرجال : الذي جاوز الثلاثين ووخطه الشيب »[٣١] . ويُفصِّلُ الفيروز آبادي في معنى الكهل فيقول : « الكهل من وخطه الشيب ، ورأيت له بجالة ، أو من جاوز الثلاثين أو أربعا وثلاثين الى احدى وخمسين »[٣٢] . أما الزَّبيدي فيقول : « وقيل

---

(٢٦) معجم المؤلفين ١١/٢٣٩ .
(٢٧) شذرات الذهب ٥/٣٩٨ ، وانظـر أيضـا طبقـات النحـاة واللغويين ٢٢٧ .
(٢٨) الاعلام ٧/٢٦٠ .
(٢٩) مقدمة الوافي بالوفيات ـز . وانظر أيضا ترجمته في الدرر الكامنة ٥/٩٢ـ٩٣ .
(٣٠) الوافي بالوفيات ٣/٣٦٢ ، دائرة المعارف للبستاني ٤/١٦ .
(٣١) الصحاح ٥/١٨١٣ .
(٣٢) القاموس ٤/٤٧ .

الشاب : البالغ الى أن يكمل الثلاثين ، وقيل : ابن ست عشرة الى اثنتين وثلاثين ثم هو كهل »[٣٣] .

مما تقدم ، يترجح عندنا ان ابن الناظم مات شابا لم يتجاوز الرابعة والثلاثين بأية حال ، وأن ولادته كانت حوالي سنة اثنتين وخمسين وست مئة أو بعدها بقليل ، لا كما ذكر بركات .

وذكر كحالة[٣٤] والزركلي[٣٥] ، أن ابن الناظم ، ولد بدمشق ، ولم يذكرا مصادرهما ، وما قالاه ، هو المُرجَّح ، حيث سكن ابن مالك دمشق ، بعد تطواف في طائفة من المدن الشاملة[٣٦] .

وفاته :

سبق أن أشرنا الى أن هناك خلافا في أنه مات كهلا أم مات شابا ، وقد رجَّحنا أنه تُوفي شابا وكان ذلك سنة ست وثمانين وست مئة[٣٧] ، حيث « كان كثيرا ما يعتريه قولنج فيجد منه ألما شديدا ، واعتراه قبل وفاته بأيام فكان سبب موته ، وتُوفي بدمشق يوم الاحد ثامن المحرَّم ، وكان دفنه يوم الاثنين ودفن بمقابر باب الصغير »[٣٨] ، وتأسَّف الناس عليه[٣٩] ، وعدَّه ابن كثير[٤٠] من بين مَن ماتوا سنة سبع وثمانين وست مئة . ولم أجد مَن تابعه على ذلك .

نشأته وأخلاقه :

لم تذكر لنا مصادر ترجمته أو ترجمة أبيه وأخيه تقي الدين الاسد[٤١] ،

---

(٣٣) تاج العروس ٣/٩٢ .
(٣٤) معجم المؤلفين ١١/٢٣٩ .
(٣٥) الاعلام ٧/٢٦٠ .
(٣٦) غاية النهاية ٢/١٨٠ .
(٣٧) النجوم الزاهرة ٧/٣٧٣ .
(٣٨) ذيل مرآة الزمان ٤/٣٣٠ .
(٣٩) مفتاح السعادة ١/١٥٦ .
(٤٠) البداية والنهاية ١٣/٣١٣ .

ما يُعيننا على رسم صورة واضحة عن حياته أو قريبة منها . فلا نعرف تاريخ ولادته او مكانها على وجه التحقيق ، ولا نعرف البلدان التي طوّف بهــــ ، أو سكنها ، أو من التقى به وتردد عليه ، غير ما ذُكِر من سكناه بعلبك مدة سنين[٤٢] بعد مغادرته دمشق ومفـــارقته أباه مغاضبا ، وكذلك لا نعرف عن أخلاقه غير ما ذكره عنه الذهبي والصفدي ، من أنه غلب عليه اللعب وعشرة مَن لا يصلح . فقد قال فيه الذهبي ، فيما نقله عنه اليافعي ، أنه « كان لعّـــابا معاشرا »[٤٣] . أما الصفدي فقد فصّل في أمر لعبـــه وعشرته فقال : « وكان اللعب يغلب عليه والعشرة ، حكى لي الشيخ الامام العلامة شهاب الدين محمود الكاتب رحمه الله تعالى حكاية جرت له مع الامير علم الدين سنجر الدواداري ، وهي غريبة ما أثر ذكرها ، وحكى لي غيره عنه ما يوافقها من اللعب »[٤٤] . ويغلب على الظن أن محمد الطنطاوي قد اعتمد على ما ذكره الذهبي والصفدي فقال : « ... غلبت عليه معاشرة الشذاذ فأقصاه أبوه فأقام في بعلبك.. »[٤٥] . والظاهر أن سلوكه الذي أشار اليـــه الذهبي والصفدي قد تجـــاوز الحدود التي يرتضيها المجتمع الدمشقي وخرج عن نطـــاق الدعابة الماجنة ، والعبث الكلاميّ المُستهجَن ، الى ما يُزرى به ، ويضر بسمعته . حيث أنّ في أخبار أبيه من الدعابات الماجنـــة ، والاحماض المستهجنة ، ما لا يليق ذكرها هنا ، الا أنه ـ على مجونه ـ كان مقبولا من لدن ذلك المجتمع ، وعُدّ ضربا مـــن ظرف المغاربة[٤٦] . ولكن ، هل نسلّم بكل ما قيل فيه ، ونقبله على علاته ،

---

(٤١) قال الصفدي في الوافي ١/٢٠٦ ، في ترجمته لتقي الدين الاسـد : « هو محمد بن محمد بن عبدالله بن عبدالله تقي الدين المعروف بالاسد . توفي في سنة تسع وسبع مئة ... » . في النص ست مئة ، والصحيح ما أثبته .

(٤٢) ذيل مرآة الزمان ٤/٣٣٠ .

(٤٣) مرآة الجنان ٤/٢٠٣ ، وانظر ايضا طبقات النحاة واللغويين ٢٤٧ .

(٤٤) الوافي بالوفيات ١/٢٠٤ .

(٤٥) نشأة النحو ٢٣٠ .

(٤٦) نفح الطيب ٢/٣٢١ .

من دون أن نقف منه موقف الناقد المبتغي الحقيقة ؟ ألا يمكن أن يكون قد تزيّد قادحوه فيما قالوا فيه لدوافع لعل من أهمها منافسة الأقران ، وما تجلبه من تزيُّد في الحوادث . ان سيرة ابن الناظم تدلّنا على أنه فاق أقرانه في علوم العربية مما أهله لأن يجلس مجلس أبيه ، في مدرسة كانت مشيختها الكبرى مطمح الطامحين[٤٧] . وفي أخبار علماء ذلك العصر كثير من أوجه الصراع والتنافس ، مبعثها الظفر بمناصب التدريس ، وقد المحنا الى قسم منها . ولعل من أسباب ذلك التزيُّد أيضا غلظته في اتصاله مع المشتغلين في الحوزة العلمية الدمشقية ، وهذا ما نتبيَّنه من قصته مع الشيخ شمس‌الدين الأيكي[٤٨] (ت ٦٩٧هـ) . قال الصفدي عن بدرالدين : « وقيل إنّه حضر مجلس الشيخ شمس‌الدين الأيكي ، وكان يعرف الكشاف معرفة مليحة ، فقعد لا يتكلم ، والأيكي يذكر درسه ، الى أن أطال فقال له يا شيخ بدرالدين لأي شيء ما تتكلم ؟ فقال ما أقول ، ومن وقت تكلمت فيه لحد الآن عددت عليك احدى وثلاثين لحنة »[٤٩] . فابن الناظم لم يرع حرمة لهذا الشيخ في مجلسه ، وبين طلابه ، ولم يحترم قواعد الضيافة ، وأصول الزمالة العلمية ، فكيف به مع سائر الناس ؟ . وعلى أية حال ، قد يكون لحياة العوز التي عرفها في طفولته ، ومرضه بعلة القولنج أثر في أخلاقه الفظة هذه ، فكان من أثرها هذا التقوُّل .

إنَّ ما قيل فيه ، وفي حكايته مع الامير علم‌الدين الدويداري ، مدفوع بطلبه الى دمشق بعد وفاة والده ، وتوليته وظيفته ، وهي وظيفة دينية لهما

---

(٤٧) سيأتي ذكر لقصة الشاغوري ، ومغادرته دمشق ، لعدم جلوسه مجلس ابن مالك ، وهو مشيخة النحو والاقراء في العادلية بعد وفاة ابن مالك . نظر (ص٣٩) من هذه الرسالة .

(٤٨) ترجمته في البداية والنهاية ٣٥٣/١٣ ، الدارس في تاريخ المدارس ٤٢٢/١ ، ١٦٠/٢ .

(٤٩) الوافي بالوفيات ٢٠٥/١ .

أهميتها ، وبما عُرِف به هذا الأمير من صلاح وتقوى وتدين[٥٠] .

وأكبر الظن ان وصف عصريّه اليونيني له بـ « لطافة الاخلاق ، وحسن العشرة »[٥١] ، ووصف ابن كثير له بأنه « كان لطيفا ظريفا فاضلا »[٥٢] ، هو أقرب الى حقيقة أخلاقه .

ثقافته ومكانته العلميّة :

أحاط ابن الناظم بكثير من علوم عصره العقلية منها والنقلية ، واستوعب دقائقها ، وتمثلها خير تمثـــل . يظهر ذلك من أقوال مؤرخي سيرته ، ومن عنوانات كتبه ، ومما وصل الينا منها .

أجمع الذين ترجموا له على براعته ، وتبريزه في النحو والمعاني والبديع والعروض والمنطق ، ومشاركته في الفقه والاصول[٥٣] ، والمامه بالقراءات[٥٤] والتفسير[٥٥] ، واطلاعه على اللطائف البلاغية في القــرآن الكريـــم[٥٦] ،

---

(٥٠) قال الذهبي في «العبر في خبر من غبر» ٣٩٩/٥ ، عند حديثه عمن تُوفي سنة ثمـــان وتسعين وست مئة : « والدويداري الامير الكبير علم الدين سنجر التركي الصالحي من نجباء الترك وشجعانهم وعلمائهم ، وله مشاركـة جيدة في الفقه والحديث ، وفيه ديانة وكرم ، وسمع الكثير من الزكي المنذري والرشيد العطّار ... » .

(٥١) ذيل مرآة الزمان ٣٣٠/٤ ، وانظر أيضاً طبقات النحاة واللغويين ٤٤٧ . وأغلب الظن ان اليونينـــي (٦٤٠هـ ــ ٦٨٦هـ) ، المولود في بعلبك ، عرف ابن الناظم في اثناء اقامة الاخير فيها ، وأغلب الظن أيضا أنه عرف من أخلاقه كثيرا . فاذا اخذنا تدين اليونيني وورعه وصدقه بعين الاعتبار ، تبين لنا رجاحة وصفه لابن الناظم .

انظر ترجمة اليونيني في : الذيل على طبقات الحنابلة ـ لابن رجب الحنبلي ٢٧٩/٢ ، وشذرات الذهب ــ لابن العماد الحنبلي ٧٣/٦ـ٧٤ .

(٥٢) البداية والنهاية ٣١٣/١٣ .

(٥٣) الوافي بالوفيات ٢٠٤/١ .

(٥٤) غاية النهاية ١٨١/١ ، وانظر أيضا لحظ الالحاظ بذيل طبقـات الحفاظ ٨٠ .

(٥٥) الوافي بالوفيات ٢٠٥/١ـ .

(٥٦) عروس الافراح ٣١٥/٤ .

وروايته الحديث الشريف[٥٧] • ولم يكتف بدراسته هذه العلوم وتدريس بعضها ، بل صنَّف في اكثرهـا • غير ان أفضل ما صنَّف كان في النحو ، وبه اشتهر •

كانت احاطة ابن الناظم بعلوم عصره ، وعلوم اللغة العربية خاصة ، احاطة الواعي المستوعب لما يتلقى • فلم يكتف بما أخذه عن ابيه ، بل تعداه الى مجالات رحبية ، وسعت من افاق ثقافته ، واكسبته طابعا متميزا بين دارسي النحو في عصره • وكانت دراسته مصنفات المشارقة ذات الطابع العقلي ، كمصنفات الزمخشري ، والسكاكي وغيرها • ووقوفه على ما شاع عند الدارسين آنذاك ، واعتمدوه في دراساتهم في ذلك العصر من الكتب المؤلفة في علوم العربية وعلوم القرآن ، وغيرها من العلوم الاسلامية ، خير زاد يتزود به ، ويستوعبه ، ويتمثله أحسن تمثيل • إنَّ دراسته لمفتاح العلوم واختصاره لقسم المعاني منه ، وانتفاعه به ، دليل على ذوق لغوي سليم • على حين اتجه كثير من الدارسين النحويين الى الاهتمام بكتب لم تفد منها اللغة العربية كثيرا ، ولا يمكن موازنتها بالمفتاح • وقد تجسَّد ذلك كله في أجلى صوره في شرحه على ألفية والده ، فقد درس النحو فيه دراسة المناطقة الذين أغرقوا النحو بفيض من أصول المنطق وقواعده حتى أرهقوه ، ولذا عد في غاية الاخلاق ، لما تحمَّل من أوضار المنطق وعلله ، وعلى الرغم من كل هذا ، أزعم أنَّ ابن الناظم كان من أكثر الدارسين تمكناً من مادّة النحو ، وأشملهم معرفة بدقائقها ومشكلاتها ، في عصره ، حتى عُدَّ شرحه على الألفية نظير شرح الرضي على الكافية[٥٨] ، وفي هذا التنظير ما يدل على مكانته العلمية •

إنَّ أهم ما امتازت به ثقافة ابن الناظم ، هي النزعة العقلية • وهي بلا شك أثر من آثار دراسته لكتب المناطقة ، ولكتاب مفتاح العلوم خاصة • ولمعرفة تأثير المنطق في ثقافته ، واصطباغها به ، يجمل بنا أن نورد شيئا مما

---

(٥٧) الوافي بالوفيات ٣/٣٦٢ ، نفح الطيب ٢/٤٢٤ •

(٥٨) نفح الطيب ـ المقري ٢/٤٣٣ •

ذكره السيوطي في الأشباه والنظائر . قال : « سـئل الشيخ بدرالدين ابن العلامة جمال‌الدين بن مالك رحمهم الله تعالى عن قوله تعالى « وَلَوْ عَلِمَ اللهُ فِيهِمْ خَيْراً » الآية[٥٩] ، والبحث عن تركيبها ، فأجاب : ان الآية على صورة الضرب الأول من الشكل الأول من القياس الأول المؤلَّف من متصلتين لأنها مشتملة على قضيتين متصلتين موجبتين كليتين وبينهما حد أوسط هو تال في الصغرى ، مقدم في الكبرى ، وذلك يستلزم قضية أخرى متصلة مركَّبة من مقدم الصغرى ، وتالي الكبرى ، وهو « وَلَوْ عَلِمَ اللهُ فِيهِمْ خَيْراً لَتَوَلَّوا وَهُمْ مُعْرِضُونَ »[٦٠] . ثم يستمر على هذا المنهج الى أن يُلمَّ بتفسيرها منطقيـا من جميع أطرافهـا بكلام طـويل لا مجال لذكره هنا .

وهذا نص آخر يظهر لنا كيف كان ابن الناظم يعالج القضايا البلاغية . قال : « وأما تقديمه (يقصد المسند اليه) على المسند ، فكونه أهم . أمـا لأن أصله التقديم .... أو دل على العموم كما تقول كل انسان لم يقم . فيقدم ليفيد نفي القيام عن كل واحد من الناس لأن الموجبة المعدولة في قوة السالبة الجزئية المستلزمة نفي الحكم عن جملة الافراد دون كل واحد منها ، فاذا سُوِّرت بكل ، وجب أن يكون لافادة العموم لا لتوكيد نفي الحكـم عن جملة الأفراد ... »[٦١] .

والظاهر أن ثقافته هذه بما اتسمت به ، وتميزت ، وبما أحاطت به من معارف ، كانت قد لاقت هوى في نفوس الدارسين في ذلك العصر ، ونالـت اعجابهم،فأحلوه المكان اللائق به على الرغم من حداثة سنه ، بآية أنه طُلب الى

---

(٥٩) الأنفال/٢٣ ، والآية بتمامها : (وَلَوْ عَلِمَ اللهُ فِيهِم خَيْراً لأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا وَهُمْ مُعْرِضُونَ) .

(٦٠) الاشباه والنظائر ٤/٢١٢ـ٢١٣ . وأغلب الظن أن ابن هشـام تأثر بابن الناظم ، عند تناوله هـذه الآية الكريمـة تناولا منطقيا ، في مغني اللبيب ١/٢٦٠ـ٢٦١ .

(٦١) المصباح ١٣ . وهذا النص غير موجود في المفتاح ، وهو من زيادات ابن الناظم عليه .

دمشق ، وتصدر مجلس أبيه[٦٢] ، مفضَّلاً على منافسه الشيخ شهاب الدين الشاغوري الـذي « ظن أنـّه يلي ابن مالـك اذا تُوفي ، فلما خرجت عنـه الوظيفة ، تألّم من ذلك ، وتوجـّه الى اليمن غضبا على أهل دمشق »[٦٣] . والشاغوري هذا ، هو الذي قال فيه ابن حجر : « كان ماهرا في العلوم حتى كان يلقي ثلاثين درسا في ثلاثين علما »[٦٤] .

إنْ استدعاءه بعد أبيه ، دليلٌ كبير على مكانته العلمية من جهة ، وعلى أهليته ، وجدارتـه لأن يتبوأ مكانـه من جهة أخرى . لأن اسـناد المناصب التدريسية الى الماهرين من الاساتذة ، كان أحد الأسس التربوية السـليمة عند العرب والمسلمين . قال ابن خلدون : « كان السند في التعلّم في كـل علم أو صناعة الى مشاهير المعلمين فيها معتبرا عند أهل كل أفق وجيل »[٦٥] .

لقد كان ابن الناظم ، في زمانه ، شخصية علمية كبيرة ، واضحة المعالم ، بيـّنة القسمات ، فرضت وجودها ، ودفعت بمؤرخين لها الى الاشـادة بها . وكان خير تقويم لابن الناظم ما ذكره عصريـّه اليونيني عنه بقوله : « الامام العلامة في علوم النحو والعربية والبيان مع الذكاء المفرط ، وجودة الذهن ... وسمعت جماعة من الفضلاء العارفين بهذا الفن (يعني علوم اللغة العربيـة) أن ولده (الضمير يعود على ابن مالك) بدرالدين ... التحق به وبرز عليه في بعض العلوم ، ثم قال عنه : « ولم يترك بعده في هذا العلم مثله في الشـام فيما علمنا »[٦٦] . وقال فيه ان قاضي شهبة : « لم يكن في وقته مثله »[٦٧] . وعدّه السيوطي من أئمة العربية ، وقرنه بفحولها[٦٨] . وقد بالغ بعض من

---

(٦٢) أنظر : الوافي بالوفيات ١/٢٠٤ .
(٦٣) بغية الوعاة ١/٤٧٣ .
(٦٤) الدرر الكامنة ١/٤٦٨ .
(٦٥) مقدمة ابن خلدون ٤٣٠ .
(٦٦) ذيل مرآة الزمان ٤/٣٣٠ .
(٦٧) طبقات النحاة واللغويين ٢٤٧ .
(٦٨) الحاوى للفتاوى ٢/٤٧٩ .

أرّخ له ، فنعته بشيخ العربيــة ، وامام أهل اللسن ، وقدوة أهــل المعــاني والبيان[٦٩] ، والمتفرد بالعربيــة[٧٠] ، والامــام في فنون العربية والأصــول والأحكام[٧١] ، والمحقق المدقق الفرد الوحيد[٧٢] ، الى غير ذلك من الصفات التي تلقي ضوءا على عظم منزلته العلمية بين علماء عصره .

نشاطه العلمي :

ان ما وصل الينا عن نشاط ابن الناظم العلمي ، هو تصدره للتدريس في بعلبك ، بعد أن سكن فيها عدّة سنوات[٧٣] ، وطلبــه الى دمشق بعد مــوت والده ليتولى وظيفته ، وكانت هذه الوظيفة ، المشيخة الكبرى في العادلية[٧٤] ، وتصدّيه للاشتغال والتدريس ، وولايته الاعادة في الأمينيّة[٧٥] .

واستكثر عليه بعض الباحثين أن يلي وظيفة التدريس في العادليّة ، بعد وفاة أبيه ، وهي بلا شك وظيفة مهمّة ، فشكّك في هذه الولاية عند تعليقه على قول الصفدي الصريح في نصّه على هذه التولية ، فقال : « لم يُذكر اســـمه (يقصد ابن الناظم) ضمن من ولي المشيخة الكبرى ، فلعلّه ولي مشــيخة العادليّة الصغرى أو الأمينيّة .... »[٧٦] .

وأرى أن هذا التشكّك واهٍ لا سند له ، لأنّ محقق التســهيل اعتمد تنبيه الطالب للنعيمي مصدراً نقل منه اسماء مَن ولي مشيخة العادلية الكبرى ،

---

(٦٩) مرآة الجنان ٤/٢٠٣ .
(٧٠) شذرات الذهب ٥/٣٩٨ .
(٧١) روضات الجنات ٧١٠ .
(٧٢) شرح شواهد ابن الناظم للعاملي ٢ .
وانظر ايضا الورقة الاخيرة من حاشية العبادى .
(٧٣) ذيل مرآة الجنان ٤/٣٣٠ .
(٧٤) الوافي بالوفيات ١/٢٠٤ .
(٧٥) الوافي بالوفيات ١/٢٠٤ .
(٧٦) التسهيل ـ التمهيد ١٤ .

وادّعى أن ابن مالك[٧٧] كان احدهم • وعند الرجوع الى هذا المصدر[٧٨] تبيّن لنا :

١ ـ أنّ المحقق لم يكن أميناً فيما نقل • فقد ذكر أشخاصاً ، لم يُذكروا في التنبيه ، وأغفل آخرين مذكورين فيه •

٢ ـ وأنه أورد اسم ابن مالك ، على أنّه أحد الذين تولوا التربة العادليّة ، على حين لم يذكره النعيمي ، فيمن وليها •

٣ ـ وأنّه بنى تشككه في تولية ابن الناظم هذه المدرسة ، على عدم ذكره في تنبيه الطالب ، وهذا الشك مدفوع ، بأنّ عدم ذكر اسم ابن الناظم في تنبيه الطالب ، من بين أسماء من ولي هذه المشيخة ، لا يعني بأيّة حال عدم ولايته إيّاها • لأننا لو سلمنا جدلاً ، بما ذهب إليه محقق التسهيل ، لكانت تولية ابن مالك إياها مشكوكا فيها أيضا ، وهذا مما لا يرضاه هو نفسه ، لأن تلك التولية ثابتة له[٧٩] •

شـــيوخه :

لم يذكر الذين ترجموا لابن الناظم شيوخا أخذ عنهم غير أبيه • وقد ذكر ابن الناظم نفسه ، في شرحه على الكافية شيخا له سماه « تقي‌الدين »[٨٠] ومن المرجح أن يكون ابن الناظم قد أخذ عن غير والده ، وان بخلت كتب التراجم في ذكر واحد منهم • ومع ذلك ، فان لوالده أثرا كبيرا على تكوين

---

(٧٧) نفسه ١٣ـ١٤ •

(٧٨) الدارس في تاريخ المدارس ٢/٢٦١ وما بعدها ، والكتاب نفسه هو (تنبيه الطالب) •

(٧٩) غاية النهاية ٢/١٨٠ •

(٨٠) شرح الكافية لابن الناظم ، ورقة ٨٦ • ولم أجد في تراجم من عنوا بالنحو في ذلك الزمن ، من يلقب ب «تقي‌الدين» يمكن أن يكون ابن الناظم قد أخذ عنه • نعم وجدت في الذيل على طبقات الحنابلة (٢/٢١٧) ترجمة ل تقي‌الدين بن طرخان الدمشقي (ت ٦٢٧هـ) وترجمة ل تقي‌الدين بن تيميّة المولود سنة ٦٦١هـ ، وهذا وحده يمنع من لقائه بهما ، وأخذه عنهما •

شخصيته العلمية وتحديد سماتها ، ومن هنا لابد أن نعرض لابن مالك ، لصلة ابنه به ، وأخذه عنه ، وتأثره به .

ابن مالك :

هو : جمال الدين ، أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن عبدالله بن مالك الطائي الجياني النحوي اللغوي[٨١] .

ولد بجيان (سنة ٦٠٠هـ) على أرجح الروايات[٨٢] ، ثم رحل الى المشرق ، وطوّف به حتى استقر بدمشق ، وجعلها دار سكن له[٨٣] ، ونزل بالتربة العادلية وولي مشيختها الكبرى[٨٤] ، وانصرف للاشتغال والتصنيف[٨٥] ، وتخرج به كثير من اعيان ذلك العصر[٨٦] ، وانصرف طيلة حياته للافادة والاشتغال والتصنيف حتى وافته منيته (سنة ٦٧٢هـ) بدمشق ، ودفن بسفح قاسيون[٨٧] .

ملامح من ثقافة ابن مالك ومنهجه النحوي :

كان ابن مالك طلعة ، طلب العلم ، وتحمّل من أجله الكثير من المشاق حتى دانت له قطوفه . وقد مرّ بنا طرف من أخبار سيرته ، وطرف من أقوال العلماء فيه ؛ فاذا أضفنا الى ذلك معرفة ما ترك من كتب[٨٨] ، تبيّن لنا سعة اطلاعه ، وكثرة حفظه ، فقد كانت ثقافته دينية ، تتمثل في القراءات والحديث ، وعربية تتمثل في النحو والصرف . وقد صوّر الصفدي شخصيته العلمية ، ومميزات ثقافته ، وملامح من منهجه في دراسة اللغة والنحو فقال : « وصرف

---

(٨١) العبر ٥/٣٠٠ .
(٨٢) فوات الوفيات ٢/٤٥٢ ، البداية والنهاية ١٣/٢٦٧ .
(٨٣) غاية النهاية ٢/١٨٠ .
(٨٤) غاية النهاية ٢/١٨٠ .
(٨٥) الوا في بالوفيات ٣/٣٥٩ .
(٨٦) نفسه ٣/٣٦٢ .
(٨٧) ذيل مرآة الزمان ٣/٧٦ .
(٨٨) ذكر محمد كامل بركات في تمهيد للتسهيل (٣٨) كتابا لابن مالك .

همّه الى إتقان لسان العرب حتى بلغ فيه الغاية ، وأربى على المتقدمين ، وكان إماما في القراءات وعللها ... آما اللغة فكان اليه المنتهى فيها . أخبرني الشيخ الامام شهابالدين أبو الثناء محمود رحمه الله من لفظه قال : جلس يوما ، وذكر ما انفرد به صاحب المحكم عن الأزهري في اللغة .... وأما النحو والتصريف ، فكان فيهما بحرا لا يشق لجّه ، وأمّا اطلاعه على أشعار العرب التي يُستشهد بها على النحو واللغة ، فكان أمرا عجيبا ، وكان الأئمة الأعلام يتحيرون في أمره ، وأما اطلاعه على الحديث ، فكان فيه آية لأنه أكثر ما يستشهد بالقران ، فان لم يكن فيه شاهد عدل الى الحديث فان لم يكن فيه شيء عدل الى أشعار العرب »(٨٩) .

وسنرى تأثير ثقافة ابن مالك ومنهجه في دراسة النحو ، في ثقافة ابنه ، ومنهجه .

تلاميذ ابن الناظم :

لم يُذكر لابن الناظم الا قليل من تلاميذه ، لا يتناسب عددهم مع ما ذكر عن تصديه للاشتغال والتدريس ، حينما سكن بعلبك ، ثم حينما طلب الى دمشق ليتولى وظيفة والده . ومر بنا أن مجلس والده كان زاخرا بطلبة العلم ، وأكبر الظن أن يكون كذلك حينما وليه .

وقد تتبعت الدارسين الذين أخذوا عن ابن الناظم في كثير من المصادر ، فلم أقف الا على نفر قليل منهم ، لم يشتهروا في الدرس النحوي واللغوي ، وهم :

١ ـ بدرالدين بن جماعة :

هو قاضي القضاة أبو عبدالله ، محمد بن ابراهيم بن سعد بن جماعة الحموي . ولد بحماة سنة تسع وثلاثين وست مئة . أخذ عن بدرالدين بن مالك ، وسمع بديار مصر من أصحاب البوصيري ، ومن ابن العسقلاني ،

---

(٨٩) الوافي بالوفيات ٣/٣٥٩ـ٣٦٠ ، البغية ١/١٣٤ .

وأجازه ابن سلمة وغيره . ولي قضاء القدس ودمشق ، وقضاء القضاة بالديار المصرية . توفي بمصر سنة ثلاث وثلاثين وسبع مئة ودفن بالقرافة[٩٠] .

٢ ـ شمس الدين الأذرعي :

هو قاضي القضاة شمس الدين محمد بن ابراهيم بن داود بن حازم الأذرعي . ولد سنة أربع وأربعين وست مئة ، بأذرعات ، وتفقّه على الشيخ رشيد الدين سعيد البصروي . وأخذ النحو عن بدر الدين بن مالك[٩١] .

٣ ـ أبو بكر بن الصوّاف :

هو : أبو بكر ، محمد بن عبدالله بن عبدالمنعم بن رضوان ، الكناني المصري المعروف بابن الصوّاف . « مقرىء متصدر مشهور ، تلا بالسبع على الكمال الضرير ، ومرتضى بن جماعة ، وروى الشاطبية عنهما ، وعن محمد بن الناظم ، وعيسى بن مكي بن حسين وابن الازرق ... وكان مصدرا بالجامع العتيق .... توفي سنة خمس عشرة وسبع مئة بمصر »[٩٢] .

٤ ـ كمال الدين بن الزملكاني :

هو : قاضي القضاة ، محمد بن علي بن عبدالواحد بن عبدالكريم ، كمال الدين بن الزملكاني . ولد سنة سبع وستين وست مئة ، سمع من يونس ابن المجاور وأبي الغنائم بن عدلان وعدة مشايخ ، وطلب الحديث بنفسه ،

---

(٩٠) طبقات الشافعية الكبرى ـ للسبكي ٥/٢٣٠ . الدرر الكامنة ٣/٢٨٠ .

(٩١) الدارس في تاريخ المدارس ج/٥٥٩ .

(٩٢) غاية النهاية ١/١٨١ . قال حاجي خليفة في الكشف (١/٦٤٦) عن الشاطبية : « حرز الاماني ووجه التهاني في القراءات السبع المثاني وهي القصيدة المشهورة بالشاطبية للشيخ أبي محمد القاسم بن فيره الشاطبي الضرير المتوفى سنة ٥٩٠ تسعين وخمسمئة . نظم فيه التيسير كما ذكر ابن الجزري في التخيير وأبياته الف ومئة وثلاثة وسبعون بيتا أبدع فيه كل الابداع فصار عمدة الفن » .

وقرأ الأصول على الشيخ صفي‌الدين الهندي والنحو على الشيخ بدرالدين بن مالك • توفي سنة سبع وعشرين وسبع مئة[٩٣] •

٥ ـ **صدرالدين بن الوكيل :**

هو : أبو عبدالله ، محمد بن أبي حفص عمر بن مكي بن عبدالصمد العثماني المعروف بابن المرجل ، وابن الوكيل • ولد بدمياط سنة خمس وستين وست مئة ، وسمع الحديث على جماعة من المشايخ ، وتفقه على والده ، وعلى الشيخ شرف‌الدين المقدسي ، والشيخ تاج‌الدين الفزاري وغيرهم • وأخذ الأصلين عن الصفي الهندي ، والنحو عن بدرالدين بن مالك • وقد أجاد معرفة المذهب والأصلين ، ولم يكن في النحو بذلك القوي ، فكان يقع فيه اللحن الكثير • توفي سنة ست عشرة وسبع مئة[٩٤] •

٦ ـ **نجم‌الدين العبادي :**

هو أبو يوسف ، يعقوب بن يوسف بن قاسم بن الحصين بن عوض المدلكي النحوي • قال السيوطي عنه إنّه : « قرأ على بدرالدين بن مالك التسهيل ، لأبيه ، وعلى ابن إياز ، والفخر بن مقلة الاربلي النحوي • ودرس بالمستنصرية • مولده في ذي الحجة سنة احدى وأربعين وست مئة »[٩٥] •

٧ ـ **بدرالدين بن زيد :**

ذكره الصفدي[٩٦] عند كلامه على ابن الناظم ، حين سكن بعلبك ، ولم أعثر على ترجمة له فيما تيسر لي من المصادر •

---

(٩٣) طبقات الشافعية الكبرى ٥/٢٥١ـ٢٥٢ ، البداية والنهاية ١٤/١٣١ ، الدرر الكامنة ٤/٧٤ •

(٩٤) الدارس في تاريخ المدارس ١/٢٧ ، وانظر أيضاً : الدرر الكامنة ٣/٤٧٣ ، شذرات الذهب ٦/١١٨ •

(٩٥) البغية ٢/٣٥١ •

(٩٦) الوافي بالوفيات ١/٢٠٤ •

الفصـل الثاني

كتبـه

ألّف ابن الناظم عدّة كتب في الأصول والمنطق والعروض والبلاغة والنحو • وكان أغلبها شروحا لمتون أو مختصرات لكتب ألفها من تقدمه من المؤلفين ، ووالده خصوصا • ولم يصل الينا منها الا القليل • وكان معظمها في علوم اللغة العربية • ولذا سأعرض لها ، وسأتناول كتبه النحوية بالدرس وخاصة شرحه على خلاصة والده المعروفة بالألفية ، الذي يُعدّ أهم كتبه •

١ ـ بغية الأريب ، وغنية الأديب :

ذكره حاجي خليفة ، وقال فيه : « مختصر في الأصول •••• مرتب على أربعة مطالع وخاتمة »[١] • وذكره أيضا عمر كحالة[٢] • وهو من كتبه المفقودة • فلم أعثر على ذكر له فيما تيسّر لي من فهارس المكتبات •

٢ ـ مقدّمة في المنطق :

ذكر الصفدي أنه رآه[٣] ، وذكره السيوطي[٤] ، وطاش كبرى زادة[٥] والخوانساري[٦] ، واسماعيل باشا البغدادي[٧] •

---

(١) كشف الظنون ١/٢٤٧ـ٢٤٨ •
(٢) معجم المؤلفين ١١/٢٣٩ •
(٣) الوافي بالوفيات ١/٢٠٥ •
(٤) البغية ١/٢٢٥ •
(٥) مفتاح السعادة ١/١٥٦ •
(٦) روضات الجنات ٧١١ •
(٧) هدية العارفين ٢/١٣٥ •

ويغلب على ظني أن الأصل الذي اعتمد عليه ابن الناظم في تأليفه مقدمته هذه ، هو القسم الخاص بعلم الاستدلال ، وما تعلق به من مبحث الحد من كتاب «مفتاح العلوم» للسكاكي[8] . وعلم الاستدلال ، وما تعلق به من مبحث الحد من أهم مباحث علم المنطق . وقد جعلهما السكاكي تكملة لعلم المعاني[9] .

ومما يعزز ما أذهب اليه ، هو أن ابن الناظم اختصر القسم الثالث من المفتاح ، وسمّاه «المصباح» من دون أن يُشير الى عمله في هذا الاختصار ، بل ادعى تأليفه ، كما سنتبينه عند الحديث عن المصباح .

٦ ـ مقدمة في العروض :

ذكره الصلاح الصفدي[10] ، والسيوطي[11] ، وطاش كبرى زادة[12] ، والخوانساري[13] ، وحاجي خليفة[14] ،والزركلي[15] ، وعمر كحالة[16] .

وعدّ اسماعيل باشا البغدادي[17] ، هذه المقدمة من كتب ابن مالك ، وهذا وهم منه بآية أن أحدا من المترجمين له لم ينسب اليه مصنفا في العروض . وقد وقع في الوهم نفسه ، بروكلمن[18] ، ومحمد رزق سليم[19] ،

---

(٨) هو ابو يعقوب ، يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي ، ولد عام (٥٥٥) للهجرة ، وتوفي سنة (٦٢٦) للهجرة . ترجمته في البغية ٢/٣٦٤ .

(٩) المفتاح ٢٠٧ .

(١٠) الوافي بالوفيات ١/٢٠٥ .

(١١) البغية ١/٢٢٥ .

(١٢) مفتاح السعادة ١/١٥٦ .

(١٣) روضات الجنات ٧١١ .

(١٤) الكشف ١١٣٤ .

(١٥) الأعلام ٧/٢٦٠ .

(١٦) معجم المؤلفين ١١/٢٣٩ .

(١٧) هدية العارفين ٢/١٣٥ .

(١٨) تاريخ الادب العربي ، الاصل ١/٣٦٣ .

(١٩) عصر سلاطين المماليك ٣/١٥٦ .

وطه الراوي[٢٠] ، ومحمد بن أبي شنب[٢١] .

وأغلب الظن أن الذي أوقع بروكلمن وغيره في وهمهم هذا ، هو ماجاء في مقدمة نسخة منها ، لعلها هي الوحيدة ، موجودة في الاسكوريال ، منسوبة الى ابن مالك خطأ ، وصفها ميخائيل الغزيري[٢٢] . ثم أشار الى موطن ذكرها في كشف الظنون ، ولم يشر الى الخطأ في عنوانها بنسبتها الى ابن مالك ، على حين أن صاحب الكشف ، قد نسبها الى ابنه بدرالدين .

في البلاغـة :

٤ ـ كراسة في البديع :

أشار اليها الصلاح الصفدي بقـــوله : « وقيل لي انـه أملى على قـول أبي جلنك :

وَالْبَـــانُ تَحْسَبُـهُ سَـــنَانِيراً رَأَتْ
قَاضِـــي الْقُضَـــاةِ فَنَفَّشَـتْ أَذْنَابَهَـا

كراسة ،و تكلم على ما في هذا البيت من علوم البلاغة سبحان الله العظيم »[٢٣].

أما ابن حجَّة الحموي فقد ذكر ان بدرالدين ، أملى هذه الكراسـة في البديع على بيتين قالهما ابن جلنك الحلبي وهما :

لِلهِ بُسْـــتَانٌ حَلَلْنَـــا دَوْحَـــهُ
في جَنَّـــةٍ قَـــدْ فَتَّحَتْ أَبْوَابَهَـــا
وَالْبَـــانُ تَحْسَبُهَا سَـــنَانِيراً رَأَتْ
قَاضِـــي الْقُضَـــاةِ فَنَفَّشَتْ أَذْنَابَهَا

---

(٢٠) تاريخ علوم اللغة العربية ١٣٤ .

(٢١) دائرة المعارف الاسلامية ١/٢٧٣ .

(٢٢) الغزيري : هو مفهرس مكتبة الاسكوريال . انظر مقدمـة كتـاب «الفتح على أبي الفتح» ص٨ ، بقلم محققه الاستاذ عبدالكريم الدجيلي . انظر فهرس الاسكوريال .

(٢٣) الوافي بالوفيات ١/٢٠٤ .

ثم قال : « وأنا بالأشواق الى رؤيتها »[٢٤] .

٥ ـ روض الأذهان في المعاني والبيان :

سمّاه الصلاح الصفدي[٢٥] «روضة الأذهان» وسمّاه القلقشندي[٢٦] « روض الأزهار » ونسبه خطأ الى ابن مالك . وذكره السبكي[٢٧] والسيوطي[٢٨] وطاش كبرى زادة[٢٩]، والخوانساري[٣٠]، وحاجي خليفة[٣١]، واسماعيل باشا البغدادي[٣٢] ، والزركلي[٣٣] ، وعمر كحالة[٣٤] .

وذكر الدكتور احمد مطلوب أن روض الأذهان : « أحد مصادر كتاب بهاءالدين السبكي ، وقد نقل عنه في مواضع كثيرة ، والكتاب لا يزال مخطوطا في مكتبة (ليدن) ولا يختلف كثيرا عن كتابه الأول (يعني المصباح الآتي ذكره) ومنهجه قريب منه »[٣٥] .

٦ ـ المصباح في علم المعاني والبيان والبديع(٣٦) :

أقف عند هذا الكتاب ، وقفة طويلة لأهميته الكبيرة في البلاغة وتاريخها ، ولادعاء ابن الناظم تأليفه ابتداعا ، ولصلة علم المعاني بالنحو ، ولصلة الكتاب

---

(٢٤) خزانة الادب ـ للحموي ٤٦ .
(٢٥) الوافي بالوفيات ١/٢٠٥ .
(٢٦) صبح الأعشى ١/٤٦٩ .
(٢٧) عروس الافراح ١/٣٧٦ . (٢٨) البغية ١/٢٢٥ .
(٢٩) مفتاح السعادة ١/١٥٦ . وقد سماه «روض الازهار» .
(٣٠) روضات الجنات ٧١١ . (٣١) الكشف ١/٩١٦ .
(٣٢) هدية العارفين ٢/١٣٥ . (٣٣) الاعلام ٧/٢٦٠ .
(٣٤) معجم المؤلفين ١١/٢٣٩ .
(٣٥) القزويني وشروح التلخيص ٩٢ . وقد ذكر الدكتور مطلوب انه حصل على نسخة مصورة ، ظهر ان فيها خرماً .
(٣٦) وسماه اسماعيل باشا البغدادي في (ايضاح المكنون ١/٢٢٦) «تتمة المصباح في اختصار المصباح» . ولم أجد في كتب المتقدمين مايؤيد مقالته .

بنحو ابن الناظم خاصة .

احتل المصباح مكانة بارزة عند الدارسين البلاغيين . فقد اختصره عصريُّه ابن النحوية[٣٧] ، بكتابه « ضوء المصباح » ثم وضع عليه شرحا سمّاه « اسفار الصباح عن ضوء المصباح »[٣٨] ، ونظمه رجزا محمد بن عبدالرحمن المراكشي[٣٩] ، وأفاد منه عصريُّه محمد بن عبدالرحمن القزويني[٤٠] في تأليفه كتابيه التلخيص والايضاح ، وان لم يشر اليه[٤١] ، واعتمده السبكي[٤٢] ضمن مصادره عند تأليفه كتابه « عروس الافراح »[٤٣] ، ونقل عنه في عدة مواضع[٤٤] . وانتفع به السيوطي عند تأليفه كتابيه « معترك الاقران في اعجاز القرآن »[٤٥] ، و « الاتقان في علوم القرآن »[٤٦] ، وعدّه « من الكتب المتعلقة بالاعجاز وفنون البلاغة »[٤٧] . وكان من أمهات الكتب المتداولة على عهد ابن

---

(٣٧) هو : محمد بن يعقوب بن الياس الدمشقي ، المعروف بابن النحوية . ولد (سنة ٦٥٩ هـ) ، ومات (سنة ٧١٨هـ) . ترجمته في «الدرر الكامنة» ٤/٢٨٥_٢٨٦ . طبقات النحاة واللغويين ٢٨٧ ، البغية ١/٢٧٢ .

(٣٨) الدرر الكامنة ٤/٢٨٥_٢٨٦ ، طبقات النحاة واللغويين ٢٧٢ .

(٣٩) الكشف ٢/١٧٠٧ .

(٤٠) هو : أبو المعالي ، محمد بن عبدالرحمن القزويني ، ولد (سنة ٦٦٦هـ) ومات (سنة ٧٣٩هـ) . ترجمته في طبقات الشافعية الكبرى ٥/٢٣٨ ، البغية ١/١٥٦_١٥٧ .

(٤١) القزويني وشروح التلخيص ١٩١_١٩٢ .

(٤٢) هو : محمد بن عبدالبر بن يحيى بن علي السبكي . ولد (سنة ٧٠٧هـ) ومات (سنة ٧٠٧هـ) . ترجمته في الدرر الكامنة ٣/٤٣٢ ، البغية ١/١٥٢ .

(٤٣) عروس الافراح ١/٢٨ ، ٣٠ .

(٤٤) نفسه ١/١٥٩ ، ٣٧٦ ، ٢/٢٤٧ ، ٤/٣١٥ وغيرها .

(٤٥) انظر : معترك الاقران ، القسم الثالث ٧٤١ .

(٤٦) الاتقان ٣/١٤٥ .

(٤٧) نفسه ١/١٩ . وذكر الدكتور احمد مطلوب في كتابه «القزويني وشروح التلخيص ٥١٠» ان «مصباح» بدرالدين ، كان أحد أربعة كتب ، اعتمد

خلدون[48] ، والقلقشندي[49] اللذين نسباه وهماً الى ابن مالك ، وتابعهما في هذه النسبة ، طه الراوي[50] ، وأسعد طلس[51] .

ويرى الدكتور احمد مطلوب أن « المصباح » أول تلخيص لمفتاح العلوم وصل الينا[52] .

وكنت أنوي أن أعتمد المصباح ، احد مصادر دراستي لنحو ابن الناظم ، لتواشج علمي المعاني والنحو وتداخل موضوعاتهما ، حتى كأن المعاني بعض من النحو[53] ، ولكن ما أن شرعت بقراءته وموازنته بكتاب « المفتاح » حتى تبيّن لي مصداق قول بروكلمن في وصفه له بأنه : « مقتبسات من جميع المفتاح »[54] وقصده على ما أظن بالمفتاح هو قسم البلاغة منه ، فآثرت أن لا اعتمده أصلا من أصول الدرس ، وان انتفعت منه في دراستي كما ستتبينه في موضعه . فالكتاب في أساسه للسكاكي ، فعباراته الا القليل منها ، عبارات المفتاح ، ولم يضف ابن

عليها العلوي عند تأليفه كتابه الطراز ، والحق ان المصباح الذي ذكره العلوي في مقدمة كتابه (١/٤) وفي صلبه (١/٣٦٧ ، ٣٦٩) هو لابن سراج المالكي لا لبدرالدين بن مالك . والعلوي هو : يحيى بن حمزة ، ولي امارة المؤمنين في اليمن (سنة ٧٢٩هـ) . ولد (سنة ٦٦٩هـ) ومات (سنة ٧٤٩هـ) ترجمته في البدر الطالع ٢/٣٣١ .

(٤٨) مقدمة ابن خلدون ٥٥٢ .

(٤٩) صبح الاعشى ١/٤٩٩ ، وسمّاه وهماً «الايضاح» .

(٥٠) تاريخ علوم اللغة العربية ١٣٤ .

(٥١) الكشاف ، رقمه فيه ٢٧٦٧ .

(٥٢) البلاغة عند السكاكي ١٨ .

(٥٣) قال الشيخ عبدالقاهر الجرجاني في دلائل الاعجاز (٦٤) ، وهو يشرح نظريته في النظم : « اعلم ان ليس النظم الا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو ، وتعمل على قوانينه واصوله وتعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيغ عنها ، وتحفظ الرسوم التي رسمت لك فلا تخل بشيء منها ... » . وانظر أيضا : في النحو العربي نقد وتوجيه ٢٢٥ـ٢٣٣ ، علم المعاني ـ للدكتور درويش الجندي ٥ـ٦ ، ١٩٤ .

(٥٤) بروكلمان ، الاصل ١/٣٥٣ .

الناظم من عنده شيئا له أهميته حتى يباح لنا أن نعد الكتاب له ، على حين نجد عصريه القزويني ، اكثر أصالة في تلخيصه لكتاب المفتاح ، وأظهر شخصية منه ، يظهر ذلك من موازنة المفتاح بالتلخيص المصباح • ثم انه ذكر عمله في خاتمة كتابه ، ونص على تسميته « تلخيص المفتاح »[٥٥] • ولا نجد مثل ذلك عند بدرالدين •

وليس من ضير في نظر دارسي ذلك العصر ، أن يختصر او يشرح عالم كتابا له او لغيره • ولكن الضير حقا ان يدعي بدرالدين تاليف المصباح ابتداعا في خاتمة كتابه : « وليكن هذا اخر الكتاب ، واعلم اني قد مهدت لك المناهج ، متى سلكتها اعترف لك بكمال الحذق والبلاغة ابناؤها ، ونصبت لك أعلاما متى انتهجتها ، أعثرتك على ضوال منشودة وحشدت لك الأمثلة ، ما ليست عند أحد بمحشودة • فمن لم يستضيء بهذا المصباح فليس ينفعه نور الصباح »[٥٦] •

وهذه الخاتمة نفسها مأخوذة من المفتاح ، بعد اضافة طائفة من العبارات وحذف أخرى بحيث لا تغير من واقع كلام السكاكي كثيرا • قال السكاكي : « واعلم أني مهدت لك في هذا العلم قواعد متى بنيت عليها اعجب كل شاهد بناؤها ، واعترف لك بكمال الحذق في صناعة البلاغة أبناؤها ••• ونصبت لك أعلاما متى انتهجتها أعثرتك على ضوال منشودة ، وحشدت منها ما ليست عند أحد بمحشودة ••• »[٥٧] •

واذا رجعنا الى القزويني[٥٨] لا نجد مثل هذا الأخذ والاختصار •

وهذه نصوص أخرى ، توخيت أن تكون من مواضع متفرقة ، وقصيرة ، فيها مصداق ما ذهبت اليه من أن المصباح ـ الا القليل منه ـ للسكاكي ، وليس لبدرالدين •

---

(٥٥) التلخيص ٢٣ •
(٥٦) المصباح ١٢٨ •
(٥٧) المفتاح ١٤٥ •
(٥٨) التلخيص ٤٠٨ •

قال بدرالدين في أول كتابه : « ... (فان علم الادب) وهو معرفة ما يحترز عن جميع وجوه الخطأ في العربية ، أنواع تتفاوت كثرة شعب وقلة ، وصعوبة فنون وسهولة . فمن نوع قريب المأخذ يكفي تحصيله بعض قوة ، وأدنى تمييز وهو علم اللغة ، ويحترز به عن الخطأ في أوضاع المفردات العربية . ومن نوع بعيد المرام ، نائي المطلب ، موقوف على مزيد ذكاء ، وفضل قوة طبع وهو علم التصريف ، ويحترز به عن الخطأ في التفريع من أصول وأوضاع المفردات ، ومن آخر كالملزوز في قرنه ، وهو علم النحو ، ويحترز به عن الخطأ في التركيب لتأدية أصل معنى الكلام ، ومن رابع لا يملك الا بعُد دِ جمّة مع فضل الهي في ضمن كثرة مراجعات ، وطول ممارسات ، وهو علم البلاغة والفصاحة .. »(٥٩) .

أخذ بدرالدين كلامه هذا من المفتاح . قال السكاكي : « وبعد فان نوع الأدب نوع يتفاوت كثرة شعب وقلة ، وصعوبة فنون وسهولة ... فمن نوع لين الشكيمة ، سلس المقاد ، يكفي في اقتياده بعض قوة ، وأدنى تمييز . ومن آخر هو بعيد المأخذ ، نائي المطلب ، رهين الارتياد بمزيد ذكاء ، وفضل قوة طبع ، ومن آخر كالملزوز في قرن ومن رابع لا يملك الا بعُدَدِ متكاثرة ، وأوهاق متضافرة ، مع فضل الهي في ضمن ممارسات كثيرة ، ومراجعات طويلة .. »(٦٠) .

وهذا نص آخر من صلب الكتاب يدلل على ما ذهبت اليه .

قال بدرالدين : « واعلم ان أرباب البلاغة مطبقون على أن الاستعارة أقوى من التصريح بالتشبيه . وان المجاز أبلغ من الحقيقة ، وان الكناية أوقع في النفس من التصريح ... الخ »(٦١) . وقوله هذا مأخوذ من قول السكاكي :

---

(٥٩) المصباح ٢ .

(٦٠) المفتاح ٢ . وانظر ايضا كلام الرضي على علوم العربية في شرحه على الكافية ١/٤ .

« واعلم أنّ أرباب البلاغة وأصحاب الصياغة للمعاني مطبقون على أن المجاز أبلغ من الحقيقة ، وأن الاستعارة أقوى من التصريح بالتشبيه . وأن الكناية أوقع من الافصاح بالذكر ... الخ »[٦٢] .

وسيأتي نصان آخران ، يعضدان ما أذهب اليه ، عند دراستي لمصادر ابن الناظم .

إنّ ادعاء بدرالدين تأليف المصباح ، ابتداءا ، يقوى ظننا بأن مفتاح العلوم ، كان الأصل الذي اعتمده في تأليف مقدمتيه في المنطق والعروض ، كما سبق أن ذكرنا .

وبعد ، فمن حق ابن الناظم علينا أن ننصفه في ميدان ، كان من المبرزين فيه ، وهو علم البديع . ويرى الدكتور احمد مطلوب ، أن بدرالدين أول من أطلق لفظة « البديع » بمعناها الاصطلاحي[٦٣] . وعنه أخذ القزويني هذا المصطلح لا كما ذكر الدكتور حفني محمد شرف ، فيما ذهب اليه من أن القزويني هو الذي أطلق مصطلح البديع على المحسنات اللفظية[٦٤] . ولم يكتف بدرالدين بهذا بل زاد أنواعا بديعية لم يذكرها السكاكي ، وأخذها عنه القزويني والمتأخرون من البلاغيين ، لا مجال لذكرها هنا .

طبع المصباح[٦٥] في القاهرة سنة ١٣٤١ للهجرة ، بالمطبعة الخيرية . ومنه نسخ مخطوطة . ففي الاوسكوريال ، نسخة منه رقمها (٢٥٠)[٦٦] ، وثانية في

(٦١) المصباح ٧٥ .
(٦٢) المفتاح ١٩٤ ، ١٩٥ .
(٦٣) السكاكي ١٢١ ، ٣٧٣ ، وانظر ايضا : طراز الحلة وشفاء الغلة ٧٥ .
(٦٤) التصوير البياني ٨١ـ٨٢ .
(٦٥) لم أجد من هذه النسخة غير واحدة أعارنيها مشكورا الدكتور احمد مطلوب .
(٦٦) فهرس الاوسكوريال ١٥٤ .

برلين ، رقمها (٧٢٤٩)[٦٧] • وذكر اسعد طلس[٦٨] أن نسخة منه في مكتبة الاوقاف في بغداد ، ورقمها (٢٧٦٧) •

في النحو والصرف :

مر بنا ان ابن الناظم غلب على مؤلفاته طابع الشرح والاختصار • غير ان طابع الشرح في مؤلفاته النحوية والصرفية أبين • والغالب على مؤلفاته أنها شروح لكتب والده • ولعل سبب سلوكه هذا المسلك في التأليف ، تصدُّره مجلس أبيه للتدريس • وكانت كتب ابن مالك قد شاعت في البيئات العلمية آنذاك[٦٩] ، ووجدت هوى عند الدارسين ، وعند تلامذته خاصة • وكان منهم من تلمذ له ، ولابنه كبدرالدين بن جماعة[٧٠] • ولذا وجب عليه شرحها ، وفاء لأبيه ، وعناية بميراثه العلمي أولا ، ولأنها المادة التعليمية الرئيسة المرغوب فيها ، في تلك البيئات ، وهي تحتاج الى ايضاح ما استبهم منها ، وتفسير غريبها[٧١] ، وحل مشكلاتها ، وفتح مقفلها[٧٢] ثانيا •

ومما تجدر الاشارة اليه أن طريقة الشرح في التأليف آنذاك ، لم تكن معيبة ، ولا تقدح بصاحبها ، فلم يعرف لابن يعيش ، وهو من أبرز نحاة القرنين السادس والسابع ، غير ثلاثة شروح هي : شرح المفصل ، وشرح الكافية وشرح تصريف ابن جني[٧٣] • ولم نجد من يقدح به لأنه قصر تأليفه على الشرح •

---

(٦٧) بروكلمن ، الاصل ١/٣٥٣ •
(٦٨) الكشاف عن مخطوطات خزائن كتب الاوقاف ١٩٩ •
وقد راجعت المكتبة المذكورة عدة مرات ، فلم أجدها •
(٦٩) انظر : طبقات الشافعية الكبرى ٥/٢٨ •
(٧٠) الوافي بالوفيات ١/٢٠٤ ، ٣/٣٥٩ •
(٧١) شرح لامية الافعال ٢ •
(٧٢) شرح الالفية ٢ •
(٧٣) لم يذكر السيوطي في البغية (٢/٣٥٢) غير شرحين لابن يعيش هما : شرح المفصل وشرح تصريف ابن جني ، وقد ذكر له البغدادي في خزانته (٣/٦٣٥) شرحا على كافية ابن الحاجب •

٧ ـ شرح شافية ابن الحاجب :

ذكره خالد الأزهري[٧٤] • ويرجَّح ان يكون هو الشرح الذي أشار اليه الأسنوي بقوله : « ووضع (يعني ابن الناظم) شرحا على غريب التصريف لابن الحاجب »[٧٥] • ولم أجد في ثبت شروح شافية ابن الحاجب ، التي أوردها حاجي خليفة[٧٦] ، وطارق الجنابي[٧٧] مايشير اليه •

وهو مفقود ، لم أعثر على اشارة الى مكان وجوده •

٨ ـ شرح الكافية لابن مالك :

نظم ابن مالك منظومته الكافية في حلب ، في أثناء اقامته فيها[٧٨] • وهي في سبعة وخمسين وسبع مئة وألفي بيت[٧٩] ، تنتظم فيها موضوعات النحو والصرف جميعا[٨٠] • وقد اختصرها في خلاصته المشهورة بالألفية كما سيأتي بيانه •

وقد شرح ابن مالك كافيته هذه بشرح سمَّاه الوافية[٨١] • منه عدة نسخ في دمشق والقاهرة ، يهمنا منها ، قطعة في دار الكتب المصرية ، رقمها

---

(٧٤) التصريح ٢/٣١٩ ، ٣٥٢ •

(٧٥) طبقات الشافعية ٢/٤٥٥ •

(٧٦) الكشف ٢/١٠٢١ •

(٧٧) ابن الحاجب النحوي ٨٢ •

(٧٨) غاية النهاية ٢/١٨١ •

(٧٩) تاريخ علوم اللغة العربية ١٣٤ • وذكر بركات ـ التسهيل ، التمهيد ـ ١٨ ، ان الكافية تقرب من ثلاثة آلاف بيت • أما الدكتور احمد علم‌الدين الجندي ، فقد قال في مجلة مجمع اللغة العربية (الجزء الخامس والعشرين ، ١١٦) أنها « تقع في ثلاثة وسبعين وسبع مئة والفي بيت من الرجز » •

(٨٠) التسهيل ـ التمهيد ١٨ •

(٨١) ذكر عبدالعزيز الميمني الراجكوتي في اقليد الخزانة (٨٥) ان شرح ابن مالك هذا طبع في المغرب الاقصى ، ومنه نسختان مخطوطتان قديمتان ببانكي بور وحبيب كنج •

٢٣٦/نحو وعنوانها « قطعة من شرح على كافية ابن مالك » ، نفى محمد كامل بركات كونها قطعة من شـــرح ابن مالك ، وحجّته فيما ذهب اليه قوله : « ويبدو من صيغة الشرح انه لغير ابن مالك ، لأن الشارح غير المصنف ... فلعله شرح ابنه بدرالدين »[٨٢] وفاته مانقله هو نفسه قبل كلامه هذا بقليل عندما قال : «وقد وجدت لها شرحين بدار الكتب أحدهما تحت رقم ٢٣٦/نحو بعنوان : قطعة من شرح على كافية ابن مالك ، وأوله : سألني بعض الألبـــاء المعتنين بحقائق الأنباء ، أن أتلو الكافية الشافية بشرح ... الخ »[٨٣] . فمن ذا الذي يتلو الكافية بشرح ان لم يكن ناظمها ابن مالك ، كمـــا يستفاد من كلامه ؟ إنّ أمر نسبة هذه القطعة من شرح الكافية الى ابن مالك واضحة . وكان ينبغي لبركات أن يدعم رأيه بنقل نص منه ، ونص من الشرح الآخر الذي وثّق نسبته الى ابن مالك ، حتى نستطيع أن نتبين صحة دعواه . وقد نقلت أسماء الحمصي النص الذي نقله بركات من مطلع مخطوطة «الوافية في شرح الكافية» ، ونصت على أن المخطوطة لابن مالك لا لابنه[٨٤] . وفيما نقلته أسماء الحمصي رد مقنع على بركات .

وقد شرح الكافية الشافية نحاة غير ابن مالك منهم ابنه بدرالدين[٨٥] .

٩ ـ شرح ملحة الاعراب :

أشار اليه كل من السيوطي[٨٦] ، وطاش كبرى زاده[٨٧] ، وحاجي

---

(٨٢) التسهيل ـ التمهيد ١٩ .

(٨٣) نفسه ١٨ .

(٨٤) فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية . علـوم اللغـة العربيـة ـ النحو ٥٥٨ .

(٨٥) البغية ١/٢٢٥ ، الكشف ٢/١٣٦٩ .

(٨٦) البغية ١/٢٢٥ .

(٨٧) مفتاح السعادة ١/١٥٦ .

خليفة[٨٨] واسماعيل باشا البغدادي[٨٩] • وهو شرح لمنظومة الحريري[٩٠]، المعروفة بـ «ملحة الاعراب» ، وهي في ثلاث مئة وخمسة وسبعين بيتا[٩١] ، كلها في النحو • وقد شرحها الحريري نفسه •

وشرح ابن الناظم لها ، مفقود ، لم أعثر على مايشير الى مكان وجوده •

١٠ ـ شرح لامية الأفعال لابن مالك :

وهو شرح مختصر لمنظومة والده الموسومة بـ «لامية الأفعال»[٩٢] • وعدد أبياتها أربعة عشر ومئة بيت من البحر الطويل ، وعلى روى واحد هو اللام • وهي في خمسة أبواب هي : باب أبنية الفعل المجرد وتصاريفه وباب أبنية الفعل المزيد فيه ، وباب أبنية أسماء الفاعلين والمفعولين وباب أبنية المصادر ، وباب المَفْعَل والمَفْعِل ومعانيهما ، وهذه كلها موضوعات صرفية في رأي جمهرة المتأخرين من النحاة •

وقد حظيت هذه المنظومة بقدر وافر من جهود كثير من الدارسين ، فشرحوها عدة شروح ، كان أولها شرح بدرالدين[٩٣] •

وقد وهم بركات بنسبة هذا الشرح الى ابن مالك[٩٤] أولا ، وبعده من

---

(٨٨) الكشف ٢/١٨١٧ ٠

(٨٩) هدية العارفين ٢/١٣٥ ٠

(٩٠) هو : أبو محمد القاسم بن علي بن محمد الحريري ٠ صاحب المقامات المعروفة باسمه ٠ ولد (سنة ٤٤٦هـ) ومات (سنة ٥١٦هـ) ٠ ترجمته في ارشاد الاريب ٦/١٦٧ ، البغية ٢/٢٥٧ ٠

(٩١) انظر : ملحة الاعراب ٢٢٢ طبعة باريس ٠

(٩٢) سماه بروكلمن في (تاريخ الادب العربي ، الاصل ١/٣٦٢) « المفتاح في أبنية الافعال » ، وتابعه على هذه التسمية جرجي زيدان ـ تاريخ آداب اللغة العربية ٣/١٥٢ ٠

(٩٣) بروكلمن ، الاصل ١/٣٦٢ ، وانظر ايضا : فهرس الاسكوريال ١/٨ رقم ٩ ٠

(٩٤) التسهيل ـ التمهيد ٣٠ ٠

بين كتبه اللغوية[٩٥] ثانيا . فالشرح الذي أشار اليه هو في الحقيقة شرح ابنه بدرالدين ، وموضوعاته موضوعات صرفية[٩٦] .

اهميتـه :

كان ابن الناظم أول من شرح لامية أبيه ، وبذلك مهد السبيل لشارحيها من بعده . ولم يحظ هذا الشرح بما حظي به شرحه على ألفيـة أبيه ، من مكانة عند الدارسين . فلم أجد الا نقولا قليلة نقلها (بحرق)[٩٧] والخضري في حاشيته على ابن عقيل[٩٨] وأغلب الظن أن لمادته الصرفية علاقـة في عدم انتشاره ، كما انتشر شرحه على الألفية ، لأن المادة النحوية أكثر تنـاولا عند النحاة من المادة الصرفية .

واذا ما وازنا بين الشرحين ، شـرح ابن الناظم ، وشـرح بحرق ، نجد ان شرح ابن الناظم ، أسهل عبارة ، وأرشق أسلوبا ، وأحسن سبكا من شرح بحرق[٩٩] .

وفي أثناء دراستي له تجمعت لدي ملاحظات منهجية منها :

١ ـ انه لم يشرح خطبة المنظومة[١٠٠] . وقد شرحها بحرق[١٠١] .

٢ ـ وأنه توعَّر في شرحه لقسم من الأبيات ، كشرحه للبيت الأول ،

---

(٩٥) نفسه ٢٤ ، ٣٠ .

(٩٦) أدرجت أسماء الحمصي هذا الشرح في قسم المخطوطات الصرفية في كتابها « فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية » ـ اللغـة ـ الصـرف ٥١١ ، ٥٥٠ .

(٩٧) حاشية الرفاعي على شرح بحرق ٤٢ ، ٤٧ .

(٩٨) حاشية الخضري على ابن عقيل ٢/٣٠ .

(٩٩) انظر على سبيل المثال ، باب اسماء الفاعلين والمفعولين في شـرح بدرالدين ١٩ ، وشرح بحرق ٣٦ ، مطبوع بحاشية الرفاعي عليه .

(١٠٠) شرح اللامية لبدرالدين ٢ .

(١٠١) حاشية الرفاعي على شرح بحرق ٦ وما بعدها .

وبذلك عارض ماذكره في مقدمته من أنه يوضح ما استبهم منها[١٠٢] • وعلى الرغم من ذلك فانه في عموم شرحه ، كان سهل العبارة ، قريب المأخذ •

٣ ـ وانه فسَّر ما رآه صعبا من المفردات ، الا انه ترك تفسير قسم منها ، وكان عليه تفسيرها مثل قسَّت تقُسُ[١٠٣] •

٤ ـ وانه استشهد بقراءة العطاردي (فَاتَّبِعُونِي يَحِبُّكُمُ اللهُ)[١٠٤] على شذوذ مجي مضارع (حب) مكسورا[١٠٥] •

٥ ـ وأنه استدرك على أبيه أوزانا لم يذكرها في النظم • قال : « •• وقد كثر الفعيل في السير ونحوه ولم ينبه على ذلك قالوا ذمل ذميلا ووجف وجيفا ••• »[١٠٦] •

٦ ـ وانه قليلا ماكان يذكر النحاة واللغويين • فقد ذكر سيبويه[١٠٧]، ونقل عنه في موضعين ، والكسائي[١٠٨] ، مرة واحدة وهو في صدد مخالفته •

نشراته :

نال شرح بدرالدين هذا ، عناية فائقة من المستشرقين والعرب فنشروه ، وكتبوا عنه • وقد ذكر بروكلمن[١٠٩] نشراته الأوربية الثلاث وهي :

---

(١٠٢) شرح اللامية لبدرالدين ٢ •

(١٠٣) شرح اللامية لبدرالدين ٣ • قال صاحب القاموس المحيط (٢/٢٤٠) •• (القس) مثلثة ، تتبع الشيء وطلبه ••• وقسهم آذاهم بكلام قبيح ••• والقسوس ، ناقة ترعى وحدها • وقد قست والتي ضجرت وساء خلقها أو ولى لبنها •

(١٠٤) النساء/٣١ •

(١٠٥) شرح اللامية لبدرالدين ٥ •

(١٠٦) نفسه ٢٨ •

(١٠٧) نفسه ٣ ، ٣٩ •

(١٠٨) نفسه ٨ •

(١٠٩) تاريخ الادب العربي ، الاصل ١/٣٦٢ •

اشكر للاستاذين الفاضلين الدكتور عبدالباقي الشواي والدكتور صبحي رشيد ما حبواني به من جميل مشكور ، بترجمتهما النصوص المنقولة عن بروكلمن ، ومقدمة لامية الافعال لفولك عن الالمانية •

اولا : نشرة المستشرق كلجرن ، في هلسنكفورس عام (١٨٥٤م) وقد وهم فؤاد أفرام البستاني[١١٠] في عده عام (١٨٥١م) تاريخا لهذه الطبعة . وشاركه يعقوب سركيس[١١١] في هذا الوهم أيضا . وخلط بينها وبين طبعة فولك .

ثانيا : نشرة كلجرن وفولك عام (١٨٦٤م) في بطرسبرج . وقد أشار اليها فولك في مقدمة نشرة لايبزك . والى دراسة المستشرق فيشر ، ونقده لها، في مجلة الجمعية الالمانية الشرقية (ج١٩/٦٧٣-٦٧٨)[١١٢] . وأشار اليها جرجي زيدان أيضا[١١٣] .

ثالثا : نشرة فولك عام (١٨٦٦م) في ليبزك[١١٤] ، وطبعت في مطبعة «برل» بعنوان : « شرح العلامة بدرالدين على قصيدة والده العلامة ابن مالك المشهورة بلامية الأفعال » ، في (٤١) صفحة ، مع مقدمة بالالمانية في (٧) صفحات ، بقلم ناشرها «فولك» ، تحدث فيها عن نقد فيشر لطبعته السابقة ، وهو نقد يتعلق بمنهج النشر . وشكر له ذلك ، ثم ذكر انه أخذ بها عند اعادة طبعها منقحة ، ووسم عنوانها ب «لامية الافعال مع تعليقات لبدرالدين» . ثم ذكر عمله في النشر[١١٥] . وفي العنوان الاخير اشكال لا بد من التنبيه عليه . فهو مخالف للعنوان المثبت على غلاف هذه الطبعة ، وان هذا الكتاب في حقيقة أمره شرح مختصر ، لا تعليقات كما ذكر فولك .

وأشار نجيب العقيقي[١١٦] الى هذه النشرة فقط .

---

(١١٠) دائرة معارف البستاني ٤/١٨ .

(١١١) معجم المطبوعات العربية والمعربة ٢٣٥ .

(١١٢) مقدمة شرح اللامية لبدرالدين ـ بالالمانية ـ .

(١١٣) تاريخ آداب اللغة العربية ٣/١٥٢ .

(١١٤) اصبحت طبعة لايبزك نادرة ، منها نسخة في مكتبة المتحف العراقي رقمها ٤١٥/م ٥٢٧ .

(١١٥) مقدمة شرح اللامية لبدرالدين ـ بالالمانية .

(١١٦) المستشرقون ٢/٧١٧ .

رابعا : ونشر حسام النعيمي هـذا الكتاب في مجلـة كليـة الدراسات الاسلامية (العدد الرابع ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م) عن طبعة لايبزك • ولم يفعل غير اعادة النشر باسلوب اكثر دقة ، كما أشـار هو نفسـه الى ذلك في المقدمة[١١٧] •

ذكر السيوطي[١١٨] وطاش كبرى زاده[١١٩] والخوانساري[١٢٠] في احدى روايتيه ، أن ابن الناظم لم يتمّ تكملة شرح التسهيل ، على حين ذكر حاجي خليفة[١٢١] والخوانساري[١٢٢] في روايته الاخرى انه اتمها •

والصحيح ما قاله السيوطي ومن وافقه • ففي دار الـكتب المصريـة ، مخطوطة[١٢٣] ، رقمها ١٠ش[١٢٤] في (٢٣٢) ورقة ، وقد صورت مصورة

---

(١١٧) المجلة ٢٢٦ •

(١١٨) البغية ١٣٤١ ، ٢٢٥ •

(١١٩) مفتاح السعادة ١/١٥٦ •

(١٢٠) روضات الجنات ٧١٠ •

(١٢١) الكشف ١/٤٠٥ •

(١٢٢) روضات الجنات ٧١٠ •

(١٢٣) وصف بركات هذه المخطوطة في (التسهل - التمهيد ٢٣-٧٥) • وقد ذكر حسين تورال محقق الجزء الاول من كتاب « شرح التسهيل » لابن أم قاسم المرادي (٢٩) ان نسخة مخطوطة من شرح ابن مالك للتسهيل في « مكتبة عاطف افندي باستانبول ، ورقمها (٢٤٩٣) ، وعدد اوراقها ٣١٨ ورقة » •

(١٢٤) قال الاستاذ عبدالرحيم محمود ، محقق كتاب « اعـراب ثلاثـين سورة •• » وهو يصف مخطوطـة دار الكتـب المصـرية من الكتـاب المحـقق (المقدمة - ز) : « هي من مكتبة امام اللغة والادب محمـد محمود بن التلاميـد التركزي الشنقيطي مسجلة في الدار برقم (٧) تفسير (ش) ، والشين اشارة الى مكتبة الشنقيطي » ، وفي الورقة الاولى من شرح التسهيل المتكلم عنه هنا اشارة الى انه من اوقاف الشنقيطي بالجامع الازهر اوقفه على عصبته •

(مكروفلم) لي منها[١٢٥] .

وما يهمنا من هذه المخطوطة هنا هو ما شرحه ابن الناظم من التسهيل فهو لم يتعد ست عشرة ورقة (١٢٦-٢٣٢) .

وقد جاء في بداية الورقة (٢١٦) :

بسم الله الرحمن الرحيم ، صلى الله على سيدنا ومولانا محمد .

قال الامام العالم الفاضل المحقق العلامة بدرالدين أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن مالك الطائي رحمه الله :

باب اعراب الفعل وعوامله : قوله : يرفع المضارع لتعرّيه من الناصب والجازم ..

وجاء في نهاية الورقة (٢٣٢) : مطلب : وكثر (ألا) قبل النداء و (أما) قبل القسم ، وتبدل همزتهما هاء أو عينا ، وقد تحذف في الاحوال الثلاث ..

هذا آخر ما ألفي من كلام ابن المصنف رحمه الله من تكميل شرح التسهيل والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد ... الخ .

وقد لخص أبو حيان هذا الشرح بكتابه « التنخيل الملخص عن شرح التسهيل للمصنف وابنه بدرالدين »[١٢٦] . وشرحه بمعلمته النحوية الضخمة «التذييل والتكميل في شرح التسهيل» في عشر مجلدات . وقال السيوطي في التذييل والتكميل أنه : « مطول الارتشاف ومختصره ـ مجلدان ـ ولم يؤلف في العربية أعظم من هذين الكتابين ، ولا أجمع ولا أحصى للخلاف والاحوال وعليهما اعتمدت في كتابي جمع الجوامع نفع الله به »[١٢٧] .

ونهج بدرالدين في شرحه ، لما شرحه من التسهيل ، منهج أبيه في تصدير الأصل بالحرف (ص) والشرح (ش) .

---

(١٢٥) اشكر للزميل الفاضل حمود عبدالامير حمادي ما تفضل به عليّ بتصويره هذه المخطوطة من دار الكتب المصرية وارسالها لي بعد جهود كثيرة غير مجدية للحصول عليها .

(١٢٦) البغية ١/٢٨٢ .

(١٢٧) نفسه . وانظر ايضا : أبو حيان النحوي ١٢٨ .

١٢ ـ شرح كافية ابن الحاجب :

ذكر السيوطي[١٢٨] ، وطاش كبرى زادة[١٢٩] ، وسمّاه « شرح الحاجبية » • وسمّاه خالد الازهري « نكت الحاجبية » ، ونقل منه في موضعين من شرحه على أوضح المسالك[١٣٠] • وذكره بروكلمن[١٣١] بين شروح الكافية ، وأشار الى نسخة ، في مكتبة الاسكوريال (رقمها ٢٠٠) ، لعلها نسخة فريدة ، اذ لم أجد ما يشير الى وجود غيرها • وقد حصلت على نسخة مصورة (مكروفلم) منها •

وبعد دراستي لها ظهر لي :

١ ـ أنّ نسبة الشرح الى ابن الناظم صحيحة ، وذلك أني وجدت ما نقله خالد الازهري[١٣٢] منه مطابقا للاصل •

٢ ـ وأنّ تسمية الكتاب بالشرح فيه تسمّح كثير • وكان الازهري أقرب الى حقيقته عندما سمّاه « نكت الحاجبية » • فهو أقرب الى النكت منه الى الشرح[١٣٣] •ولا يمكن وضعه نظير شروح الرضي أو ركن الدين الاستراباذي ،

---

(١٢٨) البغية ١/٢٢٥ •

(١٢٩) مفتاح السعادة ١/١٥٦ •

(١٣٠) التصريح ١/٢٨ ، ٣٧ •

(١٣١) تاريخ الادب العربي ، الاصل ١/٣٦٧ •

(١٣٢) انظر كلا من شرح ابن الناظم على الكافية ق٣ ، ٨٨ والتصريح ١/٢٨ ، ٣٧ •

(١٣٣) قال السيد الشريف الجرجاني في كتابه التعريفات ١٠٨ : « (النكتة) هي مسألة لطيفة اخرجت بدقة نظر وامعان فكر ، من نكت رمحه بارض اذا أثر فيها • وسميت المسألة الدقيقة نكتة لتأثير الخواطر في استنباطها » • هذه هي اهم مميزات النكتة ، فالواضع لها ، مدفوع بوضعها بدافع التأكيد على جوانب معينة ، فهي قدحات فكر لها طابعها الخاص ، غير الشرح الذي يلتزم فيه الشارح في اغلب الاحيان ان يشرح كل ما هو بصدد شرحه ، مهما تكن طبيعة المشروح ، على حين لا يلتزم من يضع النكت ذلك كما هو عند ابن الناظم في كتابه هذا •

وستأتي نماذج كثيرة من أقوال ابن الناظم تبين اسلوب عرض هذا الكتاب •

أو شرح الجامي على الكافية بأيَّة حال .

٣ ـ وأن المخطوطة تقع في (٩١) ورقة ، وليس في (٨٨) ورقة كما هو مذكور في فهرس الاسكوريال[١٣٤] . وقد وقع المفهرس في اضطراب كبير في ترقيم الاوراق . وكان في كل صفحة سبعة عشر سطرا ، ومتوسط عدد الكلمات في كل سطر ثماني كلمات . وقد كتبت بخط مغربي رديء . لقيت عنتا شديدا في قراءتها . وقليل من كلماتها مضبوط . وقد وقع الناسخ بطائفة من الغلطات في الرسم والنحو . وأوراقها قديمة ، وفيها خروق ، وطمس وأثر رطوبة ، وقد عبثت الارضة في قسم منها . وسقط جزء من الورقة الاولى والورقة الاخيرة .

وليس في المخطوطة أية تملكات ، أو تعليقات . ولم يذكر اسم ناسخها ، ولا تاريخ نسخها . وذكر المفهرس « الغزيري » انها كتبت في القرن العاشر[١٣٥] .

منهجه :

قلنا ان اطلاق كلمة « شرح » فيه تسمّح كثير ، فهو نكت وتعليقات على الكافية . وكانت هذه النكت ذكية ، تنم على تمكُّن مبكر من الدرس النحوي . وفيما ذكره ابن الناظم في مقدمته له ، ما يُبيِّن منهجه في الشرح . قال : بسم الله الرحمن الرحيم ... هذا مختصر مشتمل على فوائد غزير نفعها ، وفرائد عزيز جمعها ، ومنبه على مآخذ ، فيه اختصار المقدمة الحاجبية ، مما تدعو الحاجة اليه في علم العربية من الضوابط والحدود .... مما قيدته معنى عن شيخنا ... جمال الدين أبي عبدالله محمد بن مالك رحمه

---

(١٣٤) انظر فهارس الاسكوريال ١/١١٨ .

(١٣٥) اشكر للدكتور الفاضل محسن جمال الدين تكرّمه علي بترجمة ما تعلق بالمخطوطة عن الفرنسية ، من فهارس الاسكوريال .

الله ... »[١٣٦] .

وقد التزم ابن الناظم بمنهجه هذا في الشرح .

قيمته العلمية في دراسة نحو ابن الناظم :

يغلب على الظن ، أن ابن الناظم قد ألفه ، في حياة أبيه وهو شاب ، فهو يذكره من دون ان يترحّم عليه ، عندما ينقل عنه أقوالا ، أو يذكر له آراء ، خلافا لما عهدناه عندما كان يذكره في بعض المواضع من شرحه على الألفية[١٣٧]، وشرحه على قسم من التسهيل[١٣٨] .

ومر بنا نص مقدمته لشرحه على الكافية هذا ، وفيها ذكر أباه من دون أن يترحّم عليه ، وفي النص الآتي ما يُقوّي ما أذهب اليه . قال : « قلت وهذا ضابط حسن عرضته على شيخنا فارتضاه ... »[١٣٩] . فاذا كان الأمر كذلك ، فان هذا الشرح من أوائل مؤلفات ابن الناظم النحوية ، وفيه نلمس باكورة جهوده ، واتجاهاته النحوية . ونجد أيضا أثر أبيه فيه . على حين نرى تأثير أبيه فيه في شرحه على الألفية أضعف ، لأن الدراسة النحوية قد نضجت عند تأليفه الشرح االأخير .

وفي شرحه على الكافية ، يتضح جانب من أهمّ ما امتاز به ابن الناظم في دراسته النحوية ، وهو عنايته الفائقة بالضوابط النحوية ، التي هي من نتاج تأثير المنطق في الدراسات النحوية .

١٣ ــ شرح ألفية ابن مالك ، المشهور ب « شرح ابن الناظم » :

وهو شرح متوسط ، لخلاصة والده المعروفة بالالفية ، أودعه عصارة

---

(١٣٦) شرح ابن الناظم على الكافية ق١ . يلاحظ اضطراب عبارة ابن الناظم .
ا

(١٣٧) الشرح ١٠١ ، ١٠٤ ، ١٢٨ .

(١٣٨) شرح التسهيل ق٢١٦ ، ٢١٧ .

(١٣٩) ابن الناظم على الكافية ق٧٤ ، وانظر ايضا ق٤٣ .

جهوده الدراسية في عدد من العلوم التي ألمَّ بها . فهو بحق أهم مؤلفاته ، ولولاه لما عُرف نحويا بارعا عند الدارسين . وقبل أن نفصِّل القول في هذا الشرح ، علينا أن نلم قليلا بالالفية ، وأن نعرف أهم شروحها ، لنعرف موضع شرح ابن الناظم بينها .

الالفيـــة :

ألف ابن مالك خلاصته المعروفة بـ « الالفية » بحماه للشيخ شرف الدين البارزي(١٤٠) ، في ثمـــانية وسبعين بابا وفصلا(١٤١) ، احتوت أهمَّ أبواب النحو والصرف . والالفية في الحقيقة مختصـر الكافيـة ، وكثـير من أبياتها بلفظها(١٤٢) . والى ذلك أشار في مقدمته لها بقوله :

وَأَسْتَعِينُ اللهَ فِي أَلْفِيَّه مَقَاصِدُ النَّحْوِ بِهَا مَحْوِيَّه

وبقوله في خاتمتها :

أَحْصَى مِنَ الكافِيَةِ الخُلاَصَه كَمَا اقْتَضَى غِنىً بِلاَ خَصَاصَه

أهميتهـــا :

وقد كتب لالفية ابن مالك أن تشيع ، وتشتهر في حلقات الدرس النحوي ،

---

(١٤٠) قال ابن الوردي في تاريخه (٢/٢٢٢) : « ... وأخبرني قاضي القضاة شرف الدين هبة الله بن البارزي قال : نظم الشيخ جمال الدين الخلاصة الالفية بحماه عندنا برسم اشتغالي فيها » . وانظر ايضا : غاية النهاية ٢/١٨١، نفح الطيب ٢/٤٣١ . والبارزي هذا هو : قاضي القضاة شرف الدين بن البارزي ، ولد (سنة ٦٤٥هـ) وتوفي (سنة ٧٣٨هـ) . انظر ترجمته في : طبقات الشافعية الكبرى ، للسبكي ٦/٢٤٨ـ٢٤٩ ، شروح سقط الزند ـ المقدمة هـ .

(١٤١) انظر أبواب الالفية وفصولها ، في طبعة دار الكتب المصرية ـ تحقيق عبدالفتاح الصعيدي وحسين يوسف موسى .

(١٤٢) أنظر : نفح الطيب ٢/٤٣١ . وللمقَّري فيه موازنة جيدة بين ألفية ابن معط والفية ابن مالك . وقد قرأت الفية ابن معط ، وشرحها لابن الخباز ، فوجدت فيهما من المميزات ما لا نجده في الفية ابن مالك ، ولا في كثير من شروحها لا مجال لذكرها هنا .

وأصبحت أهم منظومة ، استقطبت جهود الدارسين ، وصارت محور نشاطهم ، وكانت ، هي ، وما أُلّف عليها من شروح ، وما وضع على شروحها من حواشٍ وتقريرات ، من أهمّ أعمدة الدرس النحوي الرئيسة ، منذ تأليفها الى زماننا هذا ، وقد هجر معظم الدارسين الكتب النحوية الأصيلة ككتاب سيبويه ، ومقتضب المبرد ، وأصول ابن السراج ، وايضاح الفارسي ، وغيرها .

وكان من أسباب اشتهارها ، « إقبال دارسي النحو على مدارسة المنظوم لأنه أسهل حفظا من المنثور »[١٤٣] ، ولما تمتّعت به من حيث النظم من موسيقى داخلية عالية وبساطة وسلاسة في لغتها بوجه عام .

شروحهـا :

شروحها : شرحت الالفية ، شروحا كثيرة ، فقد شرحها ابنه بدرالدين ، وتلميذه محمد ابن أبي الفتح البعلي[١٤٤] (ت سنة ٧٠٩هـ) ، ومحمد بن يوسف الجزري[١٤٥] (ت ٧١١هـ) . ثم جاء الشراح من بعدهم ، فشرحوها لدواعٍ ذكروها في مقدمات شروحهم[١٤٦] .

وعد حاجي خليفة[١٤٧] حوالي أربعين شرحا من شروحها ، وذكر أيضا عددا من المختصرين والناثرين والمعربين لها ، وعددا من أصحاب الحواشي على تلك الشروح . وكذلك ذكر عددا من شارحي شواهد طائفة من شروحها . وقد ذكر أغا بزرك الطهراني[١٤٨] أحد عشر شرحا للألفية في اللغتين العربية والفارسية .

---

(١٤٣) تاريخ علوم اللغة العربية ١٣٤ .
(١٤٤) ترجمته في البغية ١/٢٠٧ـ٢٠٨ .
(١٤٥) ترجمته في الدر الكامنة ٤/٢٩٩ـ٣٠٠ ، البغية ١/٢٧٨ .
(١٤٦) انظر مثلا : مقدمة كل من ابي حيان لكتابه منهج السالك ١ ، وابن هشام لـ « اوضح المسالك » ٣ ، والاشموني لشرحه ١/٦ـ٧ .
(١٤٧) انظر : الكشف ١/١٥١ .
(١٤٨) انظر : الذريعة الى تصانيف الشيعة ١٣/١٠٥ .

ومن أهم شروحها المطبوعة :

١ ـ شرح ابن الناظم • وسنتناوله بالحديث مفصلا •

٢ ـ « منهج السالك في الكلام على ألفية ابن مالك »[١٤٩] : تصنيف أبي حيان الاندلسي[١٥٠] (ت ٧٤٥هـ) لم يتمَّه • فقد وصل في شرحه الى باب « افعل التفضيل » • ويلاحظ الدارس لهــذا المصنَّف ، نقدات أبي حيـان الشديدة لآراء ابن مالك وابنه[١٥١] •

٣ ـ أوضح المسالك الى ألفية ابن مالـك ، تصنيـف ، جمـالالدين بن هشام[١٥٢] (ت ٧٦١هـ) وهو نثر للالفية ، امتـاز ببساطة العرض ، ووضوحه وبكثرة الاستشهاد بالآيات القرآنية ، وبموافقته لابن مالك في معظم ما ذهـب اليه •

٤ ـ شـرح ابن عقيـل ، تصنيــف بهاءالديـن عبدالله بن عقيـل[١٥٣] (ت ٧٦٩هـ) ، وهو شـرح ســهل العبـارة ، مناسـب لمتوســطي الثقافـة النحوية[١٥٤] •

٥ ـ شرح المكودي ، تصنيف أبي زيد عبدالرحمن بن علي المكودي[١٥٥] (ت ٨٠٧هـ) وللمكودي على الألفية شرحان[١٥٦] ، اخال أن المطبـوع منهما أصغرهما • ولم يشتهر شهرة غيره من الشروح المطبوعة في البيئات العلمية •

---

(١٤٩) نشره المستشرق الامريكي « سدني كلازر » سنة ١٩٤٧م •
(١٥٠) انظر ترجمته في طبقات النحاة واللغويين ٢٨٩ ، البغية ١/٢٨٠ •
(١٥١) منهج السالك ١٦٤ ، ١٧٢ ، ١٧٣ ، ٣٨١ •
(١٥٢) ترجمته في البغية ٢/٦٨ •
(١٥٣) ترجمته في البغية ٢/٤٧ـ٤٨ •
(١٥٤) انظر : المدارس النحوية ٣٥٥ وقد ذكر الدكتور شوقي ضيف انه قريب من اذهان الناشئة •
(١٥٥) ترجمته في البغية ٢/٨٣ •
(١٥٦) الكشف ١/١٥١ •

٦ - البهجة[١٥٧] المرضية في شرح الالفية ، تصنيف جلال الدين عبدالرحمن السيوطي[١٥٨] (ت ٩١١هـ) وهو شرح موجز ، لا يرقى بفائدته الى بقية الشروح المطبوعة ٠

٧ - منهج السالك الى الفية ابن مالك ، المشهور بشرح الاشموني ، تصنيف ، نورالدين علي بن محمد الاشموني[١٥٩] (ت ٩٢٩هـ) ٠ وهو من الشروح النافعة الجامعة لكثير من الفوائد النحوية ، الا أنه كثيرا ما يسطو على مصنفات غيره ، فيأخذ منها مسائل ونقولا ، ويودعها شرحه من دون أن يشير الى مصدر أخذه ، فيخال الدارس غير المتثبِّت ، أنها له ، يظهر ذلك من أخذه كثيرا من النصوص من ابن الناظم[١٦٠] وابن هشام[١٦١] ، على حين أنه أخذ كثيرا من كتب ابن مالك ، كشرح التسهيل،وشرح الكافية ونصَّ على أخذه منها[١٦٢] ٠

---

(١٥٧) هذا هو عنوان الشرح المطبوع ، وتُسَمّى ايضا «النهجة المرضية»٠
(١٥٨) ترجمته في حسن المحاضرة ١/٨٨ ، الضوء اللامع ٤/٢٠٣ ٠
(١٥٩) ترجمته في الضوء اللامع ٦/٥ ، شذرات الذهب ٨/١٦٥ ٠
(١٦٠) سأعرض الى أخذ الأشموني ، وتأثره بابن الناظم في مكانه المناسب ٠
(١٦١) من أمثلة أخذ الأشموني عن ابن هشام حرفيا ، ما أخذه في باب الفاعل ، قال ابن هشام في اوضح المسالك ٨٢ « ٠٠٠ واحتجوا بنحو (الا الذين آمنت به بنو اسرائيل) ٠ (اذا جاءك المؤمنات) وقوله : فبكى بناتي شجوهن وزوجتي ٠ وأجيب بأن البنين والبنات لم يسلم فيهما لفظ الواحد ، وبأن التذكير في (جاءك) للفصل ، أو لأن الاصل النساء المؤمنات ، أو لأن (أل) مقدرة باللاتي وهو اسم جمع » ٠ أخذ الاشموني كلام ابن هشام هذا حرفيا وأودعه شرحه (٢/٥١) ٠
وقال ابن هشام في اوضح المسالك ٢٤١ : « هذا باب الأخبار بالذي وفروعه وبالالف واللام ، ويسميه بعضهم (باب السبك) وهو باب وضعه النحويون للتدريب في الاحكام النحوية ، كما وضع التصريفيون مسائل في القواعد التصريفية » أخذ الاشموني كلام ابن هشام هذا حرفياً ايضا وأودعه شرحه (٤/٥٠) ٠ وهناك نقول اخرى لا يتسع المقام لذكرها ٠
(١٦٢) الاشموني ١/٣٤ ، ٤٥ ، ٦٢ ، ٨٣ ، ٩٩ ٠

نقل السيوطي[١٦٣] ، وحاجي خليفة[١٦٤] ، عن الذهبي في تاريخ الاسلام ، أن لابن مالك شرحا على ألفيته . وقال السيوطي أيضا : ومن أغرب ما رأيته في شرح الشواهد لقاضي القضاة العلامة بدرالدين محمود العيني ، قال في شواهد المبتدأ : « وَلَوْلاَ بَنُوهَا حَوْلَهَا لَخَطَبْتُها » كذا وقع في كتاب ابن الناظم ، وكذا في شرح الكافية ، والخلاصة لأبيه . وهو تصحيف ، وما ذكره من أن والده شرح الخلاصة ليس بمعروف ، والظاهر انه سهو»[١٦٥] .

وعند رجوعي الى مَن ترجم لابن مالك من القدماء كاليونيني[١٦٦] والسبكي[١٦٧] والصفدي[١٦٨] ، وابن كثير[١٦٩] ، وابن الوردي[١٧٠] ، وابن شاكر الكتبي[١٧١] وابن الجزري[١٧٢] ، وهؤلاء ممن عاصروه أو ممن أخذوا عن تلاميذه ، لم أجد أحدا منهم يذكر لابن مالك شرحا على ألفيته . على حين ذكروا شرحه لكافيته وتسهيله . وعلى كثرة مراجعتي لمصنفات النحاة ، الناقلين عنه ، كالاشموني ، والازهري ، لم أجد عندهم نقلا واحدا من شرحه المزعوم هذا .

---

(١٦٣) البغية ١/١٣٣ .

(١٦٤) الكشف ١/١٥١ .

(١٦٥) البغية ١/١٣٣ ، وانظر ايضا شرح الشواهد للعيني ، مطبوع على هامش الخزانة ١/٥٧١ ، شرح شواهد العاملي ٧٠ .

(١٦٦) ذيل مرآة الزمان ٣/٧٦ .

(١٦٧) طبقات الشافعية الكبرى ٥/٢٨ .

(١٦٨) الوافي بالوفيات ٣/٣٦٠ .

(١٦٩) البداية والنهاية ١٣/٢٦٧ .

(١٧٠) تاريخ ابن الوردي ٢/٢٢٢ ومن الجدير بالذكر ان ابن الوردي كان احد شرّاح الالفية . انظر الكشف ١/١٥١ .

(١٧١) فوات الوفيات ٢/٤٥٢_٤٥٣ .

(١٧٢) غاية النهاية ٢/١٨٠_١٨١ .

ولهذا كله ، أشارك محمد الطنطاوي في عدّه ابن الناظم أول شـــارح للألفية[١٧٣] • وبشرحه لها مهّد السبيل للشراح الذين جاءوا بعده •

شرح ابن الناظم وقيمته العلمية :

كان ابن الناظم يرى في الألفية خير مصنف لأبيه في النحو • يظهر ذلـك من قوله : « ما زال أبي يتخبّط حتى نظم الألفية »[١٧٤] ولعل هذا هو الدافع الى شرحها •

وقد نال شرحه هذا اعجاب المؤرخين ودارسي النحــو ، واحتــل مكانة مرموقة بين شروح الالفية • فقد قال الصفدي فيه : « وهو شرح فاضل منقّى منقح ••• ولم تشرح الخلاصة بأحســنَ ولا أســدَّ ولا أَجــزلَ على كثرة شروحها ، وأراها في الشروح كالشرح الذي لابن يونس على التنبيه »[١٧٥] • وقال المقري فيه : « ومن أجلِّ تصانيفه شرحه على ألفية والده ، وهو كتاب في غاية الاغلاق ، ويقال أنه نظير الرضي في شرح الكافية ، وللناس عليه حواش كثيرة »[١٧٦] • وجعله أبو حيان أحد مصادره في الارتشاف[١٧٧] • ونقل منه في كتابه « منهج السالك »[١٧٨] • وألّف عمادالدين الاقفهسي كتابه « الشرح النبيل الحاوي لكلام ابن المصنف وابن عقيل »[١٧٩] جمع فيه بين الشرحــين كما يظهر من عنوانه •

---

(١٧٣) نشأة النحو ٢٣١ •

(١٧٤) تاريخ ابن الوردي ٢/٢٢٢ •

(١٧٥) الوافي بالوفيات ١/٢٠٥ •

(١٧٦) نفح الطيب ٢/٤٣٣ ، وقريب من اقوال هؤلاء المؤرخين ، قال في شرح ابن الناظم ، ابن كثير في البداية والنهاية ١٣/٢٦٧ ، ابن قاضي شهبة في طبقات النحاة واللغويين ٢٤٧ ، ابن العماد في شذرات الذهب ٥/٣٩٩ •

(١٧٧) ابو حيان النحوي ١٣٨ •

(١٧٨) منهج السالك ١٧٤ ، ١٧٦ •

(١٧٩) الكشف ١/١٥١ •

تسميته وزمن تاليفه :

لم يضع ابن الناظم عنوانا محددا لكتابه ، ولم يشر الى ذلك في مقدمة شرحه ، ولا في غيرها ، على حين كان كثير من النحاة ، ممن سبقوه[١٨٠] ، أو ممن جاءوا بعده[١٨١] ، يضعون عنوانات لكتبهم في مقدمتها أو انهم يشيرون اليها في كتبهم الاخرى .

ولم أر أحدا من المترجمين لابن الناظم القدماء ، ولا من النحاة الناقلين من شرحه[١٨٢] ، ولا ممن وضعوا الحواشي عليه قد وضع اسما له . كما سمّاه بروكلمن «الدّرة المضيّة»[١٨٣] وقد تابعه كل من أسعد طلس[١٨٤] وعبدالله الجبوري[١٨٥] واسماء الحمصي[١٨٦] في هذه التسمية . ولعلها جاءت عنوانا لقسم من النسخ المتأخرة .

ولقد نصَّ حاجي خليفة على تاريخ تأليف ابن الناظم شرحه على الألفية ، فقال : « ... فرغ من تأليفه في محرَّم سنة ست وسبعين وست مئة »[١٨٧] .

---

(١٨٠) انظر الاصول ١/٣٨ . وقد ورد ذكر المقتضب للمبرد في كتابه الكامل في اكثر من موضع ، منها ١/٨٣ ، ١٧٦ .

(١٨١) انظر مقدمة ابي حيان لمنهج السالك ١ ، ومقدمة ابن هشام لـ « اوضح المسالك ٣ » .

(١٨٢) فقد ذكر البغدادي في خزانته مثلا اسم شرح ابن الناظم أو ما هو قريب منه ، من دون اقترانه بأي اسم آخر ، في خزانته في اكثر من (٤٠) موضعا . انظر : اقليد الخزانة ١٣ .

(١٨٣) تاريخ الادب العربي ، الاصل ١/٣٦٠ .

(١٨٤) الكشاف ١٧٨ .

(١٨٥) المستدرك على الكشاف ٢٥٨ .

(١٨٦) فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية ـ علوم اللغة العربية ـ النحو ١٩٢ ، ١٩٣ . وقد ذكرت المفهرسة في الصفحة ٢٦٨ ، خمس نسخ من شرح ابن الناظم ، من دون ان تسميه بهذا الاسم .

(١٨٧) الكشف ١/١٥١ .

منهجــه :

لخَّص ابن الناظـم منهجه في شرحــه على الألفيــة في فاتحته ، فقـال : « ... فاني ذاكر في هذا الكتاب أرجوزة والدي ... ومرصِّعها بشرح يحل منها كل مشكل ، ويفتح من أبوابها كل مقفل ، جانبت فيها الايجاز المخـل ، والاطناب الممل ، حرصا على التقريب لفهم مقاصدها ، والحصــول على جملـة فوائدها .. »[(١٨٨)] .

وقد تجمَّعت لدى ملاحظات منهجية ، بعد دراسة الشرح ، منها :

١ ـ أن ابن الناظم لم يشرح البيتين الأولين وهما فاتحة النظم ، ولم يشرح الأبيات الأربعة وهي خاتمة الخلاصة ، خلافا للأشموني[(١٨٩)] ، وهذا سليم ، لأن المقدمة والخاتمة ليستا من مسائل النحو فتشرح . وما عدا ذلك فقد أتـم الشرح ، ولم يهمل أي بيت من دون أن يشرحه ، خلافا لأبي حيان الذي لم يتم شرحه[(١٩٠)] .

٢ ـ أسلوب شرحه تعليمي ، ولذلك نجده يكثر من كلمات فان قلت : قلت[(١٩١)] ، ونحوها ، ولم يكن ابن الناظم بدعا في ذلك ، فقد غلب الطـابع التعليمي على المصنفات النحوية منذ بدأ التأليف في النحو .

٣ ـ كتب لبعض الابواب مقدمات لضرورة رآها ، كما فعل عند شرحه

---

(١٨٨) الشــرح ٢ .

(١٨٩) لم يرد بيت النظم :

وصل ذي الهاء أجز بكـل ما … حـرك تحريـك بنـاء لزمـا

في شرح الاشموني ، ولذا لم يشرحه ، وقد نبه على ذلك الصـبان . انظر : شرح الاشموني ٤/٢٢٣ . وقد شرحه ابن الناظم . انظر الشرح ٣٢٣ .

(١٩٠) وصل ابو حيان في شرحه للالفية في « منهج السالك » الى بـاب « افعل التفضيل » كما سبق ان اشرت اليه . .

(١٩١) الشرح ١١ ، ١٢٣ ، ٢٦٤ .

لأبيات باب جمع المذكر السالم[١٩٢] ، فقد تكلم على اسم الجمع ، واسم الجنس ، بما يوافق ما قاله سيبويه[١٩٣] . ولم أجد مثل هذا التقديم في أوضح المسالك[١٩٤] وشرح ابن عقيل[١٩٥] ، وشرح الاشموني[١٩٦] ، والبهجة المرضية[١٩٧] .

٤ ـ أطال في شرحه لبعض المباحث النحوية ، كبابي الاستثناء ، وأوجز في شرح قسم منها ، كشرحه باب المفعول معه . فاذا وازنا بين شرحه هذه الأبواب وبين شرح ابن هشام وابن عقيل والمكودي لها ، رأينا ان ابن الناظم قد أطنب في شرحه المبحثين الأولين ، على حين اعتدل الآخرون ، وأوجز في شرح مبحث المفعول معه ، على حين بسط الآخرون القول فيه اكثر . هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى نجده مقتصدا في شرحه على كثير من أبواب الصرف .

٥ ـ لم يستقص جميع الأوجه المعتبرة عند النحاة في طائفة من المسائل النحوية . فلم يذكر ـ مثلا ـ «لولا» على أنها حرف جر عندما ذكر استعمالاتها وفاقا لأبيه في النظم[١٩٨] . وهي حرف جر عند سيبويه[١٩٩] ، وقد ذكرها ابن عقيل[٢٠٠] ، والأشموني[٢٠١] . ولم يذكر أيضاً أوجه الشبه بين الفعل المضارع والاسم جميعها ، فقد ذكر ثلاثة منها ، وأسقط اثنين ، على حين ذكر الانباري الاوجه

---

(١٩٢) الشرح ١٤ .
(١٩٣) الكتاب ٢/٢٠٣ ، ١٨٣ .
(١٩٤) اوضح المسالك ١٢ .
(١٩٥) ابن عقيل ١/٥٦ .
(١٩٦) الاشموني ١/٨٩ .
(١٩٧) البهجة المرضيّة (طبعت على هامش ابن عقيل) ١٠ـ١١ .
(١٩٨) الشرح ١٣٩ .
(١٩٩) الكتاب ١/٣٨٨ .
(٢٠٠) ابن عقيل ٢/٨ـ٩ .
(٢٠١) الاشموني ٢/٢١٣ .

الخمسة[٢٠٢] .

٦ ـ تابع ابن الناظم أباه في اغفاله طائفة من المسائل النحوية ، مما كانت مدار خلاف بين البصريين والكوفيين ، كالخلاف في أصل اشتقاق الاسم[٢٠٣] ، والخلاف في السين وسوف[٢٠٤] .

٧ ـ استدرك على أبيه بعض المسائل النحوية التي لم تُذكر في النظم ، كذكره الموصولات الحرفية ، وقد اقتصر ابن مالك في النظم على ذكر الموصولات الاسمية[٢٠٥] ، وكذكره المعرف بالنداء من بين المعارف ، وقد أغفله أبوه ولم يعدَّه منها[٢٠٦] ، ولكنه التزم في شرحه بما ذكره أبوه في النظم بوجه عام . فمثلا أهمل ذكر مواضع حذف المبتدأ وجوبا ، وأهمل ذكر لا سيما ، تبعا للنظم . على حين أن ابن هشام في أوضح المسالك[٢٠٧] وابن عقيل[٢٠٨] ، والاشموني[٢٠٩] في شرحهما ، استدركوا على ابن مالك في النظم ، وأوردوا مواضع حذف المبتدأ وجوبا ، وأن الاشموني[٢١٠] استدرك على ابن مالك وذكر لاسيما .

---

(٢٠٢) اسرار العربية ٢٥ـ٢٧ .

(٢٠٣) الانصاف ، المسألة ١ .

وذكر ابن معط هذه المسألة الخلاقية في ألفيته ، ورقة ٩ قال :

واشتق الاسم من سما البصريون   واشتقَّهُ من وسم الكوفيون

والمذهب المقدم الجلي   دليله الاسماء والسمي

وقد شرح ابن الخباز هذين البيتين . ويرى ابن هشام ان هذه المسألة لا تتعلق بالاعراب ، ولذلك لم يتناولها في المغني ، أنظر مقدمة المغني ١/١١ .

(٢٠٤) الانصاف ، المسألة ٩٢ .

(٢٠٥) الشرح ٣١ .

(٢٠٦) نفسه ٢٠ .

(٢٠٧) اوضح المسالك ٤٠ .

(٢٠٨) ابن عقيل ١/٢٢٠ .

(٢٠٩) الاشموني ١/٣٢١ .

(٢١٠) نفسه ٢/١٧٢ .

٨ ـ ونقوله عن الكتاب ، نقول أمينة بصورة عامة[٢١١] ٠

حواشيه :

عرفت ، بعد بحث طويل ، عشر حواشٍ ، قسم منها موجود ، لم يطبع منه شيء ٠ وقسم منها مفقود لم أهتدِ إلى مكان وجوده ٠ ولعلّه مما ذهب من تراثنا الضخم ٠ وهذا ثبت بها :

١ ـ حاشية لجمال الدين بن هشام (ت ٧٦١هـ) نقل عنها كثيرا الشيخ ياسين العليمي (ت ١٠٦١هـ)[٢١٢] ٠

٢ ـ حاشية لعزّ الدين محمد بن أبي بكر بن جماعة الكناني[٢١٣] (ت ٨١٩هـ) ٠

٣ ـ حاشية لبدر الدين محمود بن أحمد العيني (ت ٨٥٥هـ)[٢١٤] ٠

٤ ـ حاشية لأبي بكر محمد سيف الدين خضر السيوطي ، والد جلال الدين السيوطي ، (ت ٨٥٥هـ)[٢١٥] ٠

٥ ـ حاشية لمحي الدين عبدالقادر بن أبي القاسم الملكي (ت ٨٨٠هـ)[٢١٦] ،

---

(٢١١) سوف اثبت نصوصا نقلها ابن الناظم عن الكتاب عند الحديث عن مصادره ٠

(٢١٢) حاشية العليمي على التصريح ١٦٧/١ ، ٣٢٨ ، ٣٣٠ ، ٣٤١ ، ٣٧٠ ٠٠٠ الخ ٠

(٢١٣) انظر البغية ٦٥/١ ، الكشف ١٥١/١ ، وذكرت اسماء الحمصي ان من هذه الحاشية خمس نسخ في دار الكتب الظاهرية ٠ انظر فهرسها ١٣٠ ٠

(٢١٤) الكشف ١٥١/١ ، ترجمته في البغية ٢٧٥/٢ـ٢٧٦ ٠

(٢١٥) البغية ٤٧٢/١ ، الهمع ١٠٢/١ ، البهجة المرضية ٣٥ ، مطبوع بهامش ابن عقيل ٠

(٢١٦) الكشف ١٥١/١ ، الصبان ٢٤٥/٣ ، ٨٩/٤ ٠ ترجمته في البغية ١٠٤/٢ـ١٠٥ ٠

عنوانها « الموضح المعرّف لما اشكل في ابن المصنف »[٢١٧] .

٦ ـ حاشية لجلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ) وصل فيها إلى الاضافة سمّاها « المشنّف على ابن المصنّف »[٢١٨] .

٧ ـ حاشية لأبي يحيى زكريا بن محمد الانصاري (ت ٩١٩هـ) ، عنوانها « الدرة السنية في شرح الالفية » . منها نسخ مخطوطة كثيرة[٢١٩] .

٨ ـ حاشية لتقي الدين بن عبدالقادر التميمي (ت ١٠٠٥هـ)[٢٢٠] .

٩ ـ حاشية لشهاب الدين احمد بن القاسم العبادي (ت ٩٩٤هـ) ، وجرّدها محمد الشوبري[٢٢١] .

١٠ ـ حاشية لمحمد جواد الجزائري النجفي[٢٢٢] (ت ١٩٥٩م)[٢٢٣] .

شـرح شـواهده :

المقصود بالشواهد النحوية ، عند الاطلاق ، الشواهد الشـعرية . وقد يشرح غيرها من الشواهد ندورا .

واهتمام بشرح الشواهد ، قديم ، وأول كتاب عني النحاة بشواهده ، هو كتاب سيبويه[٢٢٤] . وكان مفصل الزمخشـري[٢٢٥] ، وشـرح الرضي على

---

(٢١٧) فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية ـ علوم اللغة العربية ـ النحو ٥١٨ .

(٢١٨) الكشف ١/١٥١ .

(٢١٩) في مكتبة المتحف ببغداد نسختان منها رقماهما (١٤٢٣ ، ٣٤٤٨) . وفي مكتبة الاوقاف ببغداد أربع نسـخ منهـا أرقامها : (٢٣٤٥ ، ٢٣٨٥ ، ٢٣٨٦ ، ٢٣٨٧) .

(٢٢٠) الكشف ١/١٥١ .

(٢٢١) الكشاف ١/١٥١ ، ومنها نسخة في مكتبة الاوقاف ببغـداد ، رقمها (٢٣٤٤) .

(٢٢٢) الذريعة الى تصانيف الشيعة ٦/١١٢ .

(٢٢٣) افادني بتاريخ وفاة الشيخ الجزائري ، الاخ طارق الخالصي ، وأكد ذلك الشيخ علي الخاقاني .

(٢٢٤) انظر مقدمة الكتاب (١/٣٩ـ٤٠) بقلم محققه عبدالسلام هارون .

(٢٢٥) انظر : الدراسات النحوية واللغوية عند الزمخشري ١٠٦ـ١٠٧ .

الكافية[٢٢٦] ، وشروح الالفية ، من أهم الكتب التي عني الدارسون النحويون بشرح شواهدها .

وقد صنّفت مصنفات عديدة في شرح شواهد ابن الناظم ، عرفت منها :

١ ـ تخليص الشواهد وتلخيص الفوائد . صنّفه جمال الدين بن هشام (ت ٧٦١هـ) لم يتمّه ، فقد وصل في شرحه للشواهد إلى باب الفاعل . ونقل عنه الشيخ ياسين العليمي في حاشيته على شرح التصريح[٢٢٧] والبغدادي في خزانته[٢٢٨] . ولم يطبع[٢٢٩] .

٢ ـ المقاصد النحويّة في شرح شواهد الألفيّة ، المشهور بشرح الشواهد الكبرى[٢٣٠] صنَّفه العيني بدرالدين محمود بن أحمد (ت ٨٥٥هـ) . وهو شرح لشواهد ابن الناظم وابن أم قاسم وابن هشام وابن عقيل ، التي وردت في شروحهم على الألفيّة . ورمز بحرف الظاء لشرح ابن الناظم والقاف لشرح ابن أم قاسم والهاء لشرح ابن هشام ، والعين لشرح ابن عقيل[٢٣١] ، وله أيضا

---

(٢٢٦) تعد خزانة الادب للبغدادي ـ وهي شرح لشواهد شرح الرضي على الكافية ـ معلمة ضخمة من معالم الدراسات اللغوية والنحوية والادبية في العربية .

(٢٢٧) انظر العليمي على التصريح ١/٦٣ .

(٢٢٨) انظر الخزانة ١/٩ ، ٢٩ ، ٣٨ ، .... وعدّ الميمني في اقليد الخزانة ١٤ ، سبعة وستين موضعا ، وورد ذكر هذا الشرح في الخزانة .

(٢٢٩) منه نسخة في مكتبة المتحف رقمها (٣٨٣٩) فرغ من كتابتها (سنة ٧٦٤هـ) وأخرى في المدينة المنوّرة في مكتبة عارف حكمة ، ذكرها عمر كحالة في كتابه «المنتخب من مخطوطات المدينة المنوّرة» ٥٣ ، بـ «تلخيص الشواهد وتلخيص الفوائد» . وفي هذا العنوان تصحيف لايخفى على الدارس المدقق واعطى لها وصفا مفيدا ، تاريخ نسخها ٧٥٧هـ .

(٢٣٠) الكشف ١/١٥١ .

(٢٣١) شرح شواهد العيني ، بهامش الخزانة ١/٣ . وانظر ايضا : الكشف ١/١٥١ ، مقدمة هارون للخزانة (١/٢١ طبعته) ، مقدمة معجم شواهد العربية لهارون نفسه ١/١٠ـ١١ .

« فوائد القلائد في مختصر الشواهد » وهو المعروف بـ « شرح الشواهد الصغرى »[٢٣٢] .

وقد تعقّب العاملي[٢٣٣] ، والبغدادي[٢٣٤] ، العينيّ فيما وقع فيه من أوهام ، في شرحه للشواهد .

طبع هذا المصنّف ، بحاشية خزانة الأدب للبغدادي ، بالمطبعة الأميريّة ببولاق سنة ١٢٩٩هـ[٢٣٥] .

٣ ـ شرح ، صنّفه محمد آل السيد علي العاملي ، لم يضع له عنوانا[٢٣٦] . أمّا المطبوع ، فعنوانه « الشواهد على شرح ألفيّة ابن مالك » .

وذكر العاملي أنّه صنّفه باشارة من مخدومه السيد بدرالدين الحسيني العاملي الانصاري .

طبع هذا الشرح (سنة ١٣٤٣هـ) ، بالمطبعة العلويّة في النجف الاشرف .

طبعتاه :

طبع شرح ابن الناظم ، طبعتين ، الأولى في بيروت[٢٣٧] (سنة ١٣١٢هـ)

---

(٢٣٢) الكشف ١/١٥١ ، فهرس المخطوطات الظاهرية ـ علوم اللغة العربية ـ النحو ٣٠٠ ، ٣٨٦ .

(٢٣٤) شرح الشواهد للعاملي ٣ .

(٢٣٣) انظر : اقليد الخزانة ١٥ .

(٢٣٥) انظر : الخزانة ٤/٥٩٩ .

وبهامش حاشية الصبان على الاشموني (ط/البابي الحلبي ، بدون تاريخ) كل ماتعرّض العيني لشرحه من شواهد الاشموني فقط (انظر الحاشية نفسها ١/٢٨) .

(٢٣٦) شرح شواهد العاملي ٢ ، ٣ .

انظر : الكتاب ١/٣ (ط/بولاق) .

(٢٣٧) طبعت في مطبعة القديس جارجيوس في بيروت ، بتصحيح وتنقيح محمد بن سليم اللبابيدي .

وقد وقع في هذه الطبعة قسم من الاخطاء المطبعية من أهمها :

والثانية في النجف الاشرف[٢٣٨] (سنة ١٣٤٣ هـ) • وظهر لي من موازنـــة الطبعتين ، ان ناشر طبعة النجف اعتمد الطبعـة البيروتية في نشـــره ، فالاخطـاء المطبعية التي في الطبعة الاول هي نفسها في الطبعة الثانية • وقد صوّرت[٢٣٩] الطبعة الاولى في ايران ، وهي التي اعتمدتها في بحثي هذا •

أ ـ وردت كلمة «التنوين» في الصفحة ٥ ، السطر ١٥ والصحيح «التوفيق»•
انظر : مخطوطات شرح ابن الناظم في المتحف :
ـ رقم ٣١٤ مبحث الكلام وما يتألف منه •
ـ رقم ٤٢٧ مبحث الكلام وما يتألف منه •
ـ رقم ٤٥٤ مبحث الكلام وما يتألف منه •
وانظر : ايضا : شرح الاشـــموني ١/٤٢ ، وحاشية الخضري علي ابن عقيل ١/٢٢ •

ب ـ وردت (أن) الثانية في قوله : « قال سيبويه : تقول عسيت أن تفعل كذا فانّ ههنا بمنزلتها في قاربت أن تفعل ••• » مشددة النون ، في الصفحة ٥٩ السطر ٢٢ • والصحيح بدون تشديد ، كما في الكتاب (١/٤٧٧) •

جـ ـ وقال في الصفحة ٩٣ ، السطر ٢٢ ، قال الشجري ، والصحيح ابن الشجري باثبات ابن • وقد رجعت الى الامالي الشجرية ، فوجدت ابن الشجري يذكر البيت : فارسا ما غادروه معلمـــا غير زميـل ولا نكس وكل
في الجزء الاول ١٨٧ ، ٣٣٣ •

د ـ ورت كلمة «أم» في قوله : وحكي يونس عن بعض العـــرب يا أمُ لا تفعلي مضمومة، على حين وردت لفظة «أم» بالفتح فيالكتاب (١/٣٠٧/بولاق)، (٢/٢١٣ ط/هارون) •

هـ ـ وردت جملة : «وقد ذكر أبو الحسن في كتابه المقرّب : أن في ذو الموصولة لغتين احداهما اجراؤها مجرى من والاخرى اجراؤها مجرى الذي في اختلاف حاله في الافراد والتذكير وفروعهما» ولم ترد هذه الجملة في مخطوطات الشرح الموجودة في المتحف المذكور ســــلفا • انظر المخطوطة الاولى ص١٠ ، والثانية ٢٣ ، والثالثة ١٩ • وقد رجعت الى كتـــاب المقرب لابي الحسن بن عصفور فلم اجد هذه الجملة •

(٢٣٨) طبعت في المطبعة العلوية في النجف سنة ١٣٤٣هـ •

(٢٣٩) يفهم من كلام عبدالسلام هارون في ص٥٤ من مقدمـة طبعتـــه للكتاب ، أن مايصور بالطباعة التصويرية (الاوفست) يعد طبعة بذاتها ، ولا أرى رأيه لانها صورة لغيرها ، وليس فيها مايميزها عن الاصل الا فيما ندر •

البـاب الثـاني

ابن الناظم والدراسة النحوية عند النحاة المتقـدمين وعند ابن الحـاجب والنـاظم

الفصــل الاول

ابن الناظم والدراســة النحوية

عند النحاة المتقدمين

« البصريين والكوفيين »

أ ـ تطور الدراسة النحوية عند ابن الناظم[١] :

كان ابن مالك بصري المذهــب في دراسته النحوية بوجـه عام[٢] • وعلى الرغم من ذلك ، فقد تسمَّح وأخذ بكثير من الآراء الكوفية وأودعها كتبه • وقد ألف ابنه شرحه على كافية ابن الحاجب ، وهو متأثر بأبيه ، وتابع له في جملـة من الآراء النحوية ، وكان من مظاهر تأثره بأبيه ، وتبعيته له ، أن أخذ بطائفة من الآراء الكوفية • ولكنه عدل عن متابعته الكوفيين في كثير من تلك الآراء في شرحه على الألفية ، حينما تأَصَّل الاتجاه البصري في دراسته النحوية •

وقد تتبعت الآراء التي أخذ بها في شرح الكافية ، وعدل عنها في شرحــه على الألفية ، فتجمعت لدى مجموعة من المسائل النحوية ، وكونت معلمة بارزة من معالم نحوه • وهذه طائفة من تلك المسائل :

تنوينا الترنم والغالي :

ذهب ابن مالك الى « أن تسمية اللواحق للقوافي المطلقة والقوافي المقيـدة تنوينا مجاز ، وانما هو نون أخرى زائدة ، ولهذا لا يختص بالاسم ، ويجامع الألف واللام ويثبت في الوقف »[٣] • وتبعه ابنه فيما ذهب اليه في شرحه على

---

(١) أقصد بتطور الدراسة النحوية عند ابن الناظم ، انتقالها من طور أخذ فيه بكثير من آراء الكوفيين ، الى طور عدل فيه عن متابعتهم في كثير منها •

(٢) انظر ١٨ـ٢٢ •

(٣) المغني ٢/٣٤٣ •

الكافية[٤] • أمّا في شـــرحه على الألفيّة ، فظـــاهر كلامـــه أنهما تنوينانِ حقيقة[٥] • فقد ذهب إلى أنّ تنوين الترنّم ، مبدل من حرف الاطلاقِ نحو قول العجاج :

يا صَاحِ مَا هَاجَ الْعُيُونَ الذُّرَّفَنْ
مِنْ طَلَلٍ كالأَحْتَمِيِّ أَنْهَجَنْ[٦]

وأن التنوين الغالي ، لاحق للروي المقيَّد كقول الشاعر :

وقَاتِمِ الأَعْماقِ خَاوِي الْمُخْتَرَقْنْ
مُشْتَبَه الأَعْلاَمِ لَمَّاعِ الْخَفَقْنْ

على ماحكاه الاخفش[*] • فابن الناظم في تنوين الترنـم ، موافق لظـاهر كلام سيبويه[٧] ، أما في التنوين الغالي ، فهو عنده تنوين ، وليس بنون أُخرى زائدة • وما قاله موافق لمذهب جمهور النحاة[٨] •

---

(٤) ق ٨٨ ، وانظر ايضا : التصريح ١/٣٧ •

(٥) حاشية الانصاري ق ٦ •

(٦) هكذا ورد في شرحه على الألفية • والصحيح كما ورد في الديوان ٣٤٨:
مَا هَاجَ أحْزَاناً وَشَجْواً قَدْ شَجَا   مِنْ طَلَلٍ كالأَحْتَمِيِّ أنْهَجا
وقد آخذه قسم من النحاة المتأخرين على روايته ، كما سيأتي بيانه •

(*) الشرح ٤ـ٥ وانظر : كتاب القوافي للاخفش ٣٥ـ٣٦ ، فقد ورد البيت فيه مرويّاً هكذا :

مَا هَاجَ أحْزَاناً وَشَجْواً قَدْ شَجَنْ
مِنْ طَلَلٍ كَالأَحْتَمِيِّ أَنْهَجَنْ

(٧) الكتاب ٢/٢٩٩ ، وانظر ايضا : الخصائص ١/١٧١ • ولم أجد في الكتاب (٢/٣٠١) نصّاً لسيبويه في التنوين الغالي • فقد روى قول الشاعر هكـــذا :
« وَقَاتِمِ الأَعْماقِ خَاوِي المُخْتَرَقْ » من دون التنوين الغالي •

(٨) يُستفاد من قول الرضي ١/١٢ـ١٣ أن النحاة يقولون بأنه تنوين •

« إنْ » المخففة من الثقيلة :

وذهب ابن الحاجب إلى أنّ « إِنْ » المخففة من الثقيلة : « يجوز دخولها على فعل من افعال المبتدأ خلافاً للكوفيين في التعميم[٦] وردّ عليه ابن الناظم ، بقوله : « للكوفيين في ذلك شواهد منها قول أسماء رضي الله عنها :

ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ إِنْ قَتَلْتَ لَمُسْلِماً
حَلَّتْ عَلَيْكَ عُقُوبَةُ الْمُتَعَمِّدِ

ومنه قولهم : إِنْ يَزِينُكَ لَنَفْسُكَ وإِنْ يَشِينُكَ لَهِيَهْ »[١٠] .

أما في شرحه على الألفية فقال : إنّ ما حكاه الكوفيون : « إِنْ يَزِينُكَ لَنَفْسُكَ .. الخ أقل من القليل »[١١] .

إِنَّ وهما كبيرا وقع فيه ابن الحاجب وابن مالك وابنه وكثير غيرهم من النحاة المتأخرين[١٢] في هذه المسألة الخلافية التي شجر بسببها خلاف منذ زمن مبكر بين البصريين والكوفيين . وأغلب الظن أن أبا البركات الانباري[١٣] ، هو الذي أوقعهم فيه . فأصل الخلاف بين الفريقين هو أنّ البصريين[١٤] ، يذهبون الى أن « إِنْ » في هذه الامثلة ونحوها ، مخففة من الثقيلة ، وان اللام دخلت الجملة توكيدا ، وفرقا بين « إِنْ » هذه و « إِنْ » النافية ، على حين ذهب الكوفيون الى أنّ معنى إِنْ واللام في هذه الامثلة ونحوها هو ما والا[١٥] .

---

(٩) مجموع مهمات المنون ٤٢٥ .

(١٠) ابن الناظم على الكافية ق ٩٠ .

(١١) الشرح ٦٨ .

(١٢) المغني ١/٢٤ـ٢٥ ، أوضح المسالك ٦٣ ، ابن عقيل ١/٣٢٦ ، التصريح ١/٢٣٢ ، الاشموني ١/٢٩٨ ، الهمع ١/١٤٢ .

(١٣) الانصاف المسالة ٩٠ .

(١٤) الكتاب ١/٤٧٥ ، المقتضب ١/٥٠ ، الاصول ١/٣١٦ .

(١٥) معاني القرآن ٢/٣٩٥ . وفيه أن «ان» بمعنى «ما» النافية . وذكر ابن السراج في الاصول (١/٣١٦) ، وابن الانباري في الاضداد (١٨٩ـ١٩٠) أن «ان» عند الفراء بمعنى قد . وذكر ابن السراج أيضا والرضي (٢/٣٣٤) أن الكسائي هو صاحب الرأي القائل بأن «ان» اذا دخلت على الافعال فهي واللام بمعنى ما والا .

ورد السيرافي مذهب الكوفيين هذا بقوله : « انا لا نعلم اللام تستعمل بمعنى الا • والا[١٦] لجاز أن تقول : جاءني القوم لزيدا بمعنى الا زيداً »[١٧].

وما أحسب رد السيرافي سديدا ، لأن ما استشهد به الكوفيون ينهض بتصحيح مذهبهم • أما تخريجات البصريين ، لما استشهد به لهذه المسألة ، فهي تخريجات غير مقبولة لغويا لأنها صدرت عن نظر عقلي تحكمت فيه نظرية العامل •

الظرف (إذْ) :

« إِذْ » ظرف لما مضى من الزمان عند ابن الحاجب[١٨] ، وفاقا للبصريين[١٩] • واستدرك عليه ابن الناظم بقوله : « هذا في الاكثر ، وقد تجيء للمستقبل كقوله تعالى : « فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ إِذِ الأَغلالُ فِي أَعْنَاقِهِم والسَّلاسِلُ »[٢٠] فان « إِذْ » مفعول[٢١] لفعل دخل عليه سوف وهي تخلص الفعل للاستقبال ، ويقع بعدها الجملتان لأنها بمعنى زمان مجرد عن الشرط فصح تفسيرها بهما »[٢٢] •

وأغلب الظن ، أن ابن الناظم تأثر أباه في هذه المسألة • ففي شواهد التوضيح والتصحيح ، قال ابن مالك عند حديثه عن الحديث الشريف « إذْ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ » ، : « استعمل فيه (اذ) موافقة ل (اذا) في افادة الاستقبال • وهو استعمال صحيح غفل عن التنبيه اليه اكثر النحويين »[٢٣] • ثم أورد ثلاث آيات من القرآن الكريم ، احداها الآية التي استشهد بها ابنه • وكلها شواهد قوية

---

(١٦) لا تدخل اللام هنا ولعله وهم •

(١٧) هامش الكتاب للسيرافي (١/٤٧٥) • ويظهر أن ابا البركات الانباري (الانصاف) المسألة ٩٠ حكم بفساد مذهب الكوفيين ، بحجة السيرافي السالفة الذكر •

(١٨) الرضي ٢/١٠٨ ، وظاهر كلام الرضي ، أنه يؤيد المصنف •

(١٩) المقتضب ٢/٥٤ •

(٢٠) المؤمن ٦٩ـ٧٠ •

(٢١) في النص (مفعولة) والصحيح ما أثبته •

(٢٢) ابن الناظم على الكافية ق ٥٣ •

(٢٣) شواهد التوضيح ٩ •

تصحح مذهب ابن مالك ، لأن ما جوز استعمال « إذْ » وهي لما مضى في أصل استعمالها مكان « إذا » وهي لما استقبل من الزمان ، هو أن الافعال الآتية بعدها متيقّنة الوقوع ، ومقطوع بها . قال الزمخشري : « ... الأمور المستقبلة لما كانت في أخبار الله تعالى متيقنة مقطوعا بها عبّر عنها بلفظ ما كان ووجد والمعنى على الاستقبال »[٢٤] ، يقال في الامور المستقبلة بأخبار رسوله (ص) أيضا .

ولم يذكر ابن الناظم استعمال « إذْ » مكان « إذا » ، في شرحه على الألفية ، بل ذكرها على أنه للماضي فقط ، وفاقا للبصريين[٢٥] .

حروف الاضافة (من) :

قال ابن الحاجب : إنَّ مِنْ « تأتي زائدة في غير الموجب خلافا للكوفيين والأخفش وقد كان من مطر وشبهه متأول »[٢٦] . ونقض عليه ابن الناظم ماذهب اليه بقوله : « التأويل تكلف فحمله على الجواز بقلة أولى . قال الله تعالى ... (يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُم)[٢٧] . والمراد أن أسلموا فلا يرد احتمال غفران بعض ذنوبكم كما قال بعضهم في قصة قوم نوح . ولا يجوز أن يكون الجار والمجرور مقامه اذا كان صفة له . نص عليه أبو علي »[٢٨] .

وقد عدل عن رأيه في شرحه على الألفية ، وفاقا لسيبويه[٢٩] ، ومن تابعه من البصريين[٣٠] ، وخلافا لأبيه في متابعته الكسائي وهشاما[٣١] من الكوفيين ،

---

(٢٤) أنظر : الكشاف ١٧٨/٤ ، وانظر أيضا : البحر المحيط ٤٧٤/٧ .
(٢٥) الشرح ١٥٢ .
(٢٦) مجموع مهمات المتون ٤٢٣ ، الرضي ٢٩٨/٢ .
(٢٧) ابراهيم/١٠ .
(٢٨) ابن الناظم على الكافية ق ٨٣ .
(٢٩) الكتاب ٢٠٧/٢ .
(٣٠) المقتضب ١٣٦/٤ ، وللمبرد رأي آخر ذكره في المقتضب أيضا (٤٥/١) وهو أن (من) لا تكون زائدة «وذلك أن كل كلمة اذا وقعت ، وقع معها معنى ، فانما حدثت لذلك المعنى وليست زائدة ... » . ونسب ابن الخباز في شرحه على الفية ابن معط (ق ٣٥) هذا الرأي الى الزجاج . وأنظر أيضا : الاصول ٧٦/١ ، الايضاح العضدي ٢٥١ .
(٣١) الازهية ٢٣٦ـ٢٣٧ .

وأبا عبيدة[٣٢] والأخفش[٣٣] من البصريين . فقد اشترط سيبويه ومن تابعه ، ومنهم ابن الناظم ، في زيادتها شرطين ، أولهما : أن يكون مجرورها نكرة ، وثانيهما : أن تكون مسبوقة بنفي أو نهي أو استفهام . ولم يشترط مخالفوهم ذلك، لثبوت زيادتها دون الشرطين نثرا ونظما[٣٤]. وقد أورد ابن مالك في تأييد كلامه نصوصا من القرآن الكريم ومن الحديث الشريف ، ومن أشعار العرب[٣٥] منها قول الشاعر :

وكُنْتُ أَرَى كَالْمَوْتِ مِنْ بَيْنِ سَاعَةٍ
فَكَيْفَ بِبَيْنٍ كَانَ مَوْعِدَهُ الحَشْرُ

وقول الآخر :

يَظَلُّ بِهِ الحَرْبَاءُ يَمْثُلُ قَائِمَا
وَيَكْثُرُ فِيهِ مِنْ حَنِينِ الأَبَاعِرِ[٣٦]

وقد علق ابن الناظم على استشهاد أبيه بهذين البيتين فقال : « ولا حجة فيهما لامكان كون (من) في البيت الاول لابتداء الغاية ، والكاف قبلها اسم . والمعنى ، وكنت أرى من بين ساعة حالا مثل الموت على حد قولهم : رأيت منك أسدا ، وفي البيت الثاني لبيان الجنس وهي متعلقة بالاستقرار في موضع نصب على الحال من فاعل يكثر ، وهو ضمير ما دلّ عليه العطف على (يظل به الحرباء يمثل قائما) كأنه قيل ، ويكثر فيه شيء من حنين الأباعر »[٣٧] .

والواقع ان البصريين ابن الناظم ومن تابعهم،لم يوفقوا في تأويلاتهم للنصوص الفصيحة التي لم يكن بامكانهم ردها أو وصمها بالشذوذ فعمدوا الى تأويلها ،

---

(٣٢) الصاحبي ١٧٣ .
(٣٣) التسهيل ١٤٤ ، شرحه ق ١٦١ .
(٣٤) شواهد التوضيح ١٢٥ .
(٣٥) شواهد التوضيح ١٢٥ ، شرح التسهيل ق ١٦١ .
(٣٦) الشرح ١٤١-١٤٢ .
(٣٧) الشرح ١٤١-١٤٢ .

عملا بالقاعدة التي قعدوها وهي : « اذا دخل الدليل الاحتمال سقط الاستدلال »[٣٨] .

وعندي أنّ (مِنْ) في الجملة المثبتة ، تضفي عليها توكيدا سواء كان مجرورها معرفة أم نكرة ، كما أنها في الجملة المنفية تقوى النفي فيها .

معنى الاضافة :

وافق ابن الناظم أباه في شرح الكافية ، في اختياره مذهب الجرجاني وابن الحاجب[٣٩] ، وهو أن الاضافة كما تكون بمعنى (مِنْ) ، واللام تكون بمعنى (في)[٤٠] . قال : « قوله (يعني ابن الحاجب) وبمعنى في ظرفه ، أي الزمان والمكان ، ومنه قوله تعالى (بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ)[٤١] أي في الليل ، و(يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ)[٤٢] أي في السجن ، (وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ)[٤٣] أي فيه ، ومنه : يَا سَارِقَ اللَّيْلَةَ أَهْلَ الدَّارِ »[٤٤] .

وقد عدل عن متابعته الجرجاني وابن الحاجب وأباه ، في شرحه على الألفية ، وفاقا لسيبويه والجمهور[٤٥] ، ورد عليهم بقوله : « والذي عليه سيبويه وأكثر المحققين أن الاضافة لا تعدو أن تكون بمعنى (اللام) أو بمعنى (من) . وموهم الاضافة بمعنى (في) محمول على أنها فيه بمعنى اللام على المجاز . ويدل على ذلك أمور ، أحدها : أن دعوى كون الاضافة بمعنى (في) يستلزم دعوى كثرة الاشتراك في معناها ، وهو على خلاف الأصل فيجب اجتنابها . الثاني : أن كل

---

(٣٨) الاقتراح ٢٩ ، وأنظر ايضا : منهج السالك ١٦٥ .
(٣٩) مجموع مهمات المتون ٣٩٨ ، الهمع ٤٦/٢ .
(٤٠) التسهيل ١٥٥ ، شرحه ق ١٧٢ـ١٧٣ . وانظر أيضاً : ابن عقيل ٣٨/٢ ، الهمع ٤٦/٢ .
(٤١) سبأ/٣٣ .
(٤٢) يوسف/٣٩ .
(٤٣) البقرة/٢٠٤ .
(٤٤) ابن الناظم على الكافية ق ٣٦ .
(٤٥) الاصول ٣/٢ ، التصريح ٢٦/٢ ، الاشموني ٢٤٥/٢ .

ما ادُّعِيَ فيه أن اضافته بمعنى (في) حقيقة يصح فيه أن يكون بمعنى اللام مجازا فيجب حمله عليه لوجهين : أحدهما : أن المصير الى المجاز خير من المصير الى الاشتراك . والثاني : أن الاضافة لمجاز الملك والاختصاص ثابتة بالاتفاق كما في قولـه :

إذَا كَوْكَبُ الخَرْقَاءِ لاَحَ بِسَحْرَةٍ
سُهَيْلٍ أَذَاعَتْ غَزْلَهَا فِي القَرائِبِ

وقـول الآخـر :

إذَا قَالَ قُدْنِي قَالَ بِاللهِ حِلْفَةً
لِتُغْنِيَ عَنِّي ذا إِنائِكَ أَجْمَعَا

والاضافة بمعنى (في) مختلف فيها ، والحمل على المتفق عليه أولى من الحمل على المختلف فيه . الثالث : أن الاضافة في نحو (بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ) اما بمعنى اللام على جعل الظرف مفعولا به على سعة الكلام واما بمعنى (في) على بقاء الظرفية ، لكن الاتفاق على جواز جعل الظرف مفعولا به على السعة كما في صيد عليه يومان ، وولد له ستون عاما . والاختلاف في جواز جعل الاضافة بمعنى في يرجِّحُ الحمل على الأول دون الثاني »[٤٦] .

وكان للرضي[٤٧] رد على ابن الحاجب قريب من رد ابن الناظم هـذا ، وان كان أوجز ، ووافقهما الخضري . فبعد أن ذكر الخضري ملخصا لقولهما قال : « ولا حاجة للتوسع لأن معنى لام الاختصاص ظاهر في الظرف »[٤٨] .

أقول : أية فائدة جنى الدرس النحوي من هذا الخلاف ، ومن هذا الجدل والحجاج ، الذي أقل ما يقال فيه ، انه ليس من النحو في شيء ، وانه أُقحم في الدرس النحوي إقحاما ، فجنى عليه وأبعده عن وظيفته الأصلية ، وظيفة وصف

---

(٤٦) الشرح ١٤٧ـ١٤٨ .
(٤٧) الرضي ١/٢٥٢ـ٢٥٣ .
(٤٨) الخضري على ابن عقيل ٢/٣ .

ما في لغة العرب من صيغ وأساليب ، ثم بناء قواعد كلية شاملة على هديها .

إنّ الاضافة ، نسبة شيء الى شيء ، وعلمها الكسرة ، كما هو متفق عليه عند جميع النحاة وهو المؤيد باستقراء كلام العرب ، فاذا كان الأمر كذلك فما أغنانا عن جدل النحاة في معنى الاضافة .

البـــدل :

ورد ابن الناظم ابن الحاجب[٤٩] في ذهابه الى أنّ النكرة اذا أبدلت من معرفة وجب نعتها ، مثل : « لَنَسْفَعاً بِالنَّاصِيَةِ نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ »[٥٠] . ورد عليه ابن الناظم بأن ما قاله « هو الأكثر . وقد قيل في قوله تعالى : (وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَٰهٌ)[٥١] إنّ إلهاً ، بدل من الضمير الذي في الموصول »[٥٢] . واذا رجعنا الى شرحه على الألفية ، وجدناه يرى أن الضمير العائد على الاسم الموصول في الآية التي استشهد بها ، قد حسن حذفه لأن الصلة طالت ، وعليه فان الها عنده خبر لمبتدأ محذوف[٥٣] كما ذهب اليه المفسرون[٥٤] . وفي باب البدل نصّ على ابدال النكرة من المعرفة[٥٥] . واستشهد بالآية التي استشهد بها ابن الحاجب ، وفاقا لسيبويه[٥٦] .

عطف النسـق :

١ ـ لم يرتض ابن الناظم قول ابن الحاجب : « واذا عطف على الضمير

---

(٤٩) مجموع مهمات المتون ٤٠٢ .
(٥٠) العلق/١٥ .
(٥١) الزخرف/٨٤ .
(٥٢) ابن الناظم على الكافية ق ٤١ .
(٥٣) الشرح ٣٦ ، وانظر ايضا : شواهد التوضيح ١٢٤ .
(٥٤) مجمع البيان ٥٧/٩ ، الكشاف ٢٦٧/٤ ، القرطبي ١٢١/١٦ البحر المحيط ٢٩/٨ .
(٥٥) الشرح ٢١٧ .
(٥٦) الكتاب ٢٢١/١ـ٢٢٢ .

المرفوع المتصل ، أكد بمنفصل ... »(٥٧) وفاقا لسيبويه(٥٨) ومن تابعه من البصريين(٥٩) . فرد عليه بقوله : « ليس التوكيد والفصل لازما ولابد . قال الله تعالى : (مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا)(٦٠) ولا يقال حصل فصل بلا لأنها بعد حرف العطف فلم يفصل . وفي حديث علي رضي الله عنه (رَحِمَكَ اللهُ أَبا بكْرٍ ، فَلَقَدْ كُنْتُ كثيراً ما أَسمعُ كَلامَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : كُنْتُ وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ ، وَانْطَلَقْتُ وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ) . قال الشاعر :

قَالَ الأُخَيْطِلُ مَعْ سَفَاهَةِ رَأْيِه
مَا لَمْ يَقُلْ وَأَبٌ لَهُ لِيَنَالا

وقال آخر :

قُلْتُ إِذْ أَقْبَلَتْ وَزُهْرٌ تَهَادَى
كَنِعَاجِ الْمَلَا تَعَسَّفْنَ رَمْلا

ولا يقال هذا للضرورة لأن نصبهما على المفعول معه كان ممكنا فعلم أن رفعهما اختيار »(٦١) .

---

(٥٧) مجموع مهمات المتون ٤٠٠ .

(٥٨) الكتاب ١/١٤٠ ، ٣٨٩-٣٩٠ .

(٥٩) المقتضب ٣/٢١٢ ، الكامل ١/٣٢١ ، الاصول ٢/٧٩ ، الخصائص ٢/٣٨٦ .

(٦٠) الانعام/١٤٨ .

(٦١) ابن الناظم على الكافية ق ٣٩ . وفي شرحه على الالفية ٢١٢ روى البيت الاول وهو لجرير هكذا :

ورجا الاخيطل من سفاهة رأيه   ما لم يكن وأب له لينالا

وهذه الرواية هي الصحيحة التي عليها ديوان جرير ٤٥١ .

لقد تأثر ابن الناظم أباه، وفاقا للكوفيين[٦٢] . فبعد أن أورد ابن مالك قول علي (رض) المار ذكره، وقول عمر (رض): « كنتُ وَجارٌ لِي مِنَ الأَنْصارِ » . قال: « وتضمن الحديث الثاني والثالث (يعني حديثي علي وعمر ـ رضي الله عنهما ـ) صحة العطف على ضمير الرفع المتصل غير المفصول بتوكيد او غيره، وهو مما لا يجيزه النحويون في النثر الا على ضعف، ويزعمون أن بابه الشعر . والصحيح جوازه نثرا ونظما . فمن النثر ما تقدم من قول علي وعمر رضي الله عنهما . ومنهما قوله تعالى: (لَوْ شاءَ اللهُ مَا اشْرَكْنَا و لا آباؤُنا) »[٦٣] .

وقد عدل ابن الناظم عما قرّره في هذه المسألة، وتابع البصريين، والمبرد منهم خاصة[٦٤] . فقد استحسن العطف على الضمير المرفوع مع الفصل، ونص على أن « الغالب كونه بضمير منفصل مؤكد للمعطوف عليه » . وأورد البيتين اللذين استشهد بهما، وقد مر ذكرهما، ثم عقب بقوله: « وليس بمقصور على الشعر .. ومع ذلك فهو قليل في الكلام ضعيف في القياس لما فيه من إيهام عطف الاسم على الفعل »[٦٥] .

ان البصريين في منعهم العطف على الضمير المرفوع الا مع الفصل بضمير منفصل مؤكد للمعطوف عليه في الغالب، ولا يبيحونه الا في ضرورة الشعر[٦٦]، أو في النثر على قبح أو ضعف[٦٧]، انما يضيقون على اللغة، ويوصدون في وجه

---

(٦٢) معاني القرآن ١/٣٠٤، وانظر أيضا: هامش الكتاب ١/٣٩ للسيرافي، المفصل ١٢٤، وشرح شواهده للنعساني، الانصاف المسألة ٦٦، الرضي ١/٢٩٥، الصبان ٣/١١٦ .

(٦٣) شواهد التوضيح ١١٢ .

(٦٤) الكامل ١/٣٢١ .

(٦٥) الشرح ٢١١ـ٢١٢ .

(٦٦) لم يجوز سيبويه مثل هذا العطف الا في ضرورة الشعر . أنظر الكتاب ١/٣٨٩ـ٣٩٠، وانظر أيضا هامشه للسيرافي ١/٣٩٠ .

(٦٧) جوز المبرد مثل هذا العطف على قبح، أنظر: المقتضب ٣/٢١٢، الكامل ٣/٣٩ .

متكلميها أبوابا رحبة من الطرائق الكلامية الفصيحة • ولم يكن ذلك الا بتأثير من النظر المنطقي في هذه اللغة السمحة •

٢ - لم يرتض ابن الناظم قول ابن الحاجب : « وإذا عطف على الضمير المجرور أعيد الخافض نحو : مررت بك وبزيد والمعطوف في حكم المعطوف عليه »[٦٨] وفاقاً للبصريين[٦٩] • فردّ عليه وفاقاً ليونس والاخفش وقطرب من البصريين[٧٠] ، وللكوفيين[٧١] غير الفرّاء[٧٢] في معاني القرآن ، ولأبيه[٧٣] • قال : « ليس إعادة الخافض بلازم ولابدّ ، بل هو أولى • قال الله تعالى : (يَسْأَلُونَكَ عن الشَّهْرِ الْحَرَامِ) الآية حتى قال : (وكُفْرٌ بِهِ والْمَسْجِدِ الْحَرَامِ)[٧٤] • لا يقال هو معطوف على سبيل • إذ لو كان من تتمته ، ويلزم أن يكون عطفاً على الاسم قبل تمامه ، وهو غير جائز • قال الشاعر :

فَالْيَومَ قَرَّبْتَ تَهْجُونَا وتَشْتِمُنَا
فَاذْهَبْ فَما بِكَ والأَيَّامِ مِنْ عَجَبِ

والقسم بالأيام بعيد لم يعهد فتعيّن العطف • ومنه :

---

(٦٨) مجموع مهمّات المتون ٤٠٠-٤٠١ •
(٦٩) الكتاب ١/٣٩١ ، المقتضب ٤/١٥٢ ، الكامل ٣/٣٨ ، الجمل ٣١ •
(٧٠) شواهد التوضيح ٥٣ ، شرح التسهيل ١٩٧ •
(٧١) نفسهما ، وانظر أيضا : الانصاف المسألة ٦٥ ، ابن يعيش ٣/٧٨ ، شرح ابن الخباز على ألفيّة ابن معط ق ٦٠ •
(٧٢) نسب ابن الناظم الى الفرّاء القول بعطف الظاهر على المضمر ، غير أن الفرّاء قد وافق البصريين في هذه المسألة في معاني القرآن (١/٢٥٢-٢٥٣) • قال عند حديثه على الآية الكريمة (واتقوا الله الذي تساءلون به والارحام)/ النساء ١١٤ ، بخفض الارحام : « هو كقولهم بالله والرحم • وفيه قبح لان العرب لا ترد مخفوضا على مخفوض وقد كني عنه ، •••• وانما يجوز هذا في الشعر لضيقه » •
(٧٤) البقرة/٢١٧ •

رواه الأئمة بالجر ولم يعيبوه • ورُوِي على الابتداء • أي والضحاك كذلك »[٧٥] •

ولم يلتزم ابن الناظم بمذهب أبيه ومن وافقهم في شرحه على الألفيـة • ففي مبحث المفعول معه قال : «وأما مايجب نصبه مفعولا معه فما لا يمكن عطفه على ما قبله من جهة اللفظ أو من جهة المعنى • فالأول : كقولهم مالك وزيداً ، بنصب زيد على المفعول معه بما في ذلك من معنى الاستقرار • ولا يجوز جره بالعطف على الكاف لأنه لا يعطف على الضمير المجرور بدون اعادة الجار كما سنبينه في موضعه »[٧٦] • وقد بَيَّنَ ذلك في باب العطف • فقد شرح قول الناظم :

وَعَوْدُ خَافِضٍ لَدَى عَطْفٍ عَلَى
ضَمِيرِ خَفَضٍ لازِماً قَدْ جُعِلا
وَلَيْسَ عِنْدِي لازِماً إذْ قَدْ أتَى
فِي النَّظْمِ والنَّثْرِ الصَّحِيحِ مُثْبَتَا

وذكر رأي أبيه بقوله : « فجعل الدليل على عدم لزوم اعادة الخافض مع المعطوف على الضمير المجرور وروده في السماع نظما ونثرا كقـراءة حمـزة (وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأرْحَامِ)[٧٧] بخفض الارحام وهي قراءة ابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة والنخعي وغيرهم ••• »[٧٨] • وأورد أيضا شواهد من القرآن الكريم ومن أقوال العرب وأشعارهم • وما أن انتهى من عرض وجهة نظر أبيه حتى ألزمه نزوعه البصري الى نقض ما ذهب

---

(٧٥) ابن الناظم على الكافيـة ق ٣٩ وانظر أيضـاً : شـرح العمدة ق١٠٧ ، ١٨٧ـ١٨٨ •
(٧٦) الشرح ١١٢ •
(٧٧) النساء/١ •
(٧٨) الشرح ٢١٢ •

اليه أبوه ومن تابعهم بكلام طويل أثبت قسما منه ، لما امتاز به من وجهة نظر عقلية عمادها القياس والتاويل والعرض العقلي • قال : « ولا يبعد أن يقال في هذه المسألة ان العطف على الضمير المجرور بدون إعادة الجار غير جائز في القياس • وما ورد منه في السماع ، محمول على شذوذ واضمار الجار كما اضمر في مواضع اخر نحو ما كل بيضاء شحمة ولا سوداء تمرة ••• والدليل على أن المعطوف المذكور لا يجوز في القياس من جهتين ، أحدهما : أن الضمير المجرور شبيه بالتنوين لمعاقبته له وكونه على حرف واحد فلا يجوز العطف عليه كما لم يجز العطف على التنوين • الثاني : أن الضمير المتصل ، متصل كاسمه ، والجار والمجرور كشيء واحد • فاذا اجتمع على الضمير الاتصالان أشبه العطف عليه العطف على بعض الكلمة فلم يجز ووجب اما تكرير الجار واما النصب باضمار فعل ••• »(٧٩) • وواصل كلامه في تناول هذه المسألة ، واستخدم للبرهنة على صحة ما ذهب اليه كثيرا من أصول المنطق والجدل • وكان عليه الا يركب هذا المركب الصعب الذي الجأته اليه الأصول العقلية • والا فأية أصول لغوية سليمة ألزمت البصريين ومنهم ابن الناظم رد قراءة سبعية ، كان عليهم أن يأخذوا بها ل « أن القراءة لا تخالف لأنها السنة »(٨٠) على حد قول سيبويه ، وأية نظرية علمية للغة تدفع بالمبرد الى القول بعدم حلّيّة القراءة بقراءة حمزة(٨١) مع أنه قرأ بها جماعة من الصحابة ومتقدمي المقرئين الاثبات ، كابن مسعود وابن عباس

---

(٧٩) الشرح ٢١٣ •

(٨٠) الكتاب ١/٧٤ •

(٨١) المقتضب ٤/١٥١ ، ابن يعيش ٣/٧٨ • وقال المبرد في الكامل (٣/٣٨ـ٣٩) : « •• ومن زعم أنه أراد «من المقيمين الصلاة» مخطىء في قول البصريين ، لانهم لايعطفون الظاهر على المضمر المخفوض ، ومن أجازه من غيرهم فعلى قبح ، كالضرورة • والقرآن انما يحمل على اشرف المذاهب • وقرأ حمزة (•• الذي تساءلون به والارحام) • وهذا مما لايجوز عندنا الا أن يضطر اليه شاعر كما قال :

فاليوم قربت تهجونا وتشتمنا   فاذهب فما بك والايام من عجب

وللرضي (١/٢٩٦) رأي في القراءات السبع ، ومنها قراءة حمزة ، فليراجع•

والقاسم وابراهيم النخعي والأعمش والحسن البصري وقتادة ومجاهد . « واذا صحت الرواية لم يكن سبيل الى ردها »[٨٢] .

ان مذهب يونس ومن تابعه من الكوفيين في هذه المسألة أقرب الى المنهج الوصفي في دراسة اللغة وفي تقرير قواعدها ، لأنه يعتمد على قراءة سبعية ، وعلى المنقول من فصيح لغة العرب ، وهذا وحده يكفي لرفض مذهب البصريين ومنهم ابن الناظم ، الذين ينكرون قراءة حمزة ، وهي قراءة سبعية صحيحة ، ويغرقون في التأويل والتخريج والتعليل جريا وراء أصول منطقية لا تمت الى طبيعة اللغة بشيء .

النـــداء :

١ ـ ردّ ابن الناظم ابن الحاجب في ذهابه الى أنه لا يجوز حذف حرف النداء مع اسم الاشـــارة[٨٣] ، وفاقا للبصـــريين[٨٤] ، فـــرد عليـــه ، وفاقـــا للكوفيين[٨٥] ، وأبيه[٨٦] بقوله : « وقد ورد حذفه فيه . قال ذو الرمة :

إذَا هَمَلَتْ عَيْنِي لَهُ قَالَ صَاحِبِي
بِنَفْسِكَ هَذَا لَوْعَةٌ وَغَرَامُ »[٨٧]

وقد عدل عن متابعته الكوفيين وأباه ، عند غلبة الاتجاه البصري في شرحه على الألفية . قال في شرحه بيتي النظم :

وَغَيْرُ مَنْدُوبٍ وَمُضْمَرٍ وَمَا
جَا مُسْتَغَاثاً قَدْ يُعَرَّى فَاعْلَمَا

---

(٨٢) ابن يعيش ٣/٧٨ .
(٨٣) مجموع مهمات المتون ٣٩١ .
(٨٤) الكتاب ١/٣٢٦ ، المقتضب ٤/٢٦١ ، الاصول ١/٤٠١ ، الجمل للزجاجي ١٦٩ .
(٨٥) ابن يعيش ٢/١٥ـ١٦ ، الرضي ١/١٤٥ـ١٤٦ ، التصريح ٢/١٦٥ ، الاشموني ٣/١٣٨ .
(٨٦) شـــواهد التوضيح ٢١١ـ٢١٢ ، التســـهيل ١٧٩ ، شـــرح العمدة ق ٧٢ .
(٨٧) ابن الناظم على الكافية ق ٢٥ـ٢٦ .

وَذَاكَ فِي اسْمِ الجِنْسِ وَالمُشَارِ لَهْ
قَلَّ وَمَنْ يَمْنَعْهُ فَانْصُرْ عَاذِلَهْ

« ... وأما اسم الجنس ، واسم الاشارة ، فلا يحذف منهما حرف النداء الا فيما ندر من نحو قولهم : (اصْبِحْ لَيْلُ ، وأطْرِقْ كَرا ، وَافْتَدِ مَخْنُوق) . وقوله في الحديث الشريف : (ثَوبي حَجَر) وقول الله سبحانه وتعالى : (ثُمَّ أَنْتُم هَؤُلاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ)[٨٨] وذلك لأن حرف النداء في اسم الجنس كالعوض من أداة التعريف ، فحقه ألا يُحذف كما لم تحذف الأداة . واسم الاشارة في معنى اسم الجنس فجرى مجراه . وعند الكوفيين أن حذف حرف النداء من اسم الجنس والمشار اليه قياس مطرد ، والبصريون يقصرونه على السماع . وقول الشيخ : (ومن يمنعه فانصر عاذله) يوهم اختيار مذهب الكوفيين »[٨٩] .

والقول ما قاله الكوفيون ، لأنه يستند الى ما ورد في القرآن الكريم والحديث الشريف وهما أعلى مراتب الفصاحة ، ومن ثم ورد أيضا في المأثور الفصيح من كلام العرب . أما حجج البصريين ، فهي حجج عقلية لاتصلح لتقعيد اللغة .

٢ ـ ورد ابن الناظم قول ابن الحاجب : « وقالوا يا الله خاصة »[٩٠] ، وفاقا للبصريين[٩١] ، فقال : إنَّ الكوفيين قد جوزوه مطلقا[٩٢] . وقد وضحت متابعته للبصريين في شرحه على الألفية . فقد ذهب الى أنه لا يجمع بين حرف

---

(٨٨) البقرة/٨٥ .
(٨٩) الشرح ٢٢٠ .
(٩٠) مجموع مهمات المتون ٣٩٠ .
(٩١) الكتاب ١/٣٠٩ـ٣١٠ هامشه للسيرافي ١/٣١٠ ، المقتضب ٤/٢٤٣ ، ٥٢٣ ، الاصول ١/٤٥٤ .
وانظر أيضا : الانصاف المسألة ٤٦ ، شرح العمدة ق٧٣ ، الرضي ١/١٣٢ .
(٩٢) ابن الناظم على الكافية ق ٢٣ .

النداء والألف واللام في الاسم الأعظم (الله) وفي محكي الجمل فقط ولا يجمع في سواهما الا في الضرورة كقوله :

فَيَـا الغُلامَـانِ اللّـذَانِ فَـرّا
إيّـاكُمَـا أنْ تُعْقِبَـانَا شَـرّا

وعلل ذلك بقوله : « وانما لم يجز مثل هذا في السعة كراهة الجمع بين أداتي تعريف على شيء واحد • واغتفر الجمع في يا الله اذا كانت الألف و اللام فيه لازمة معوضا بها عن همزة الاله ، فلا يقاس عليه سواه • وقد أجاز البغداديون يا الرجل في السعة • قالوا : لأنا لم نر موضعا يدخله التنوين ولا تدخله الألف واللام »[٩٣] •

وأغلب الظن أن ابن الناظم قصد بالبغداديين الكوفيين ، والاوائل منهم خاصة[٩٤] • وأغلب الظن أيضا أنه تأثر بابن السراج في أصوله في هذه التسمية ، فعبارته قريبة من عبارته[٩٥] •

وعندي أن البصريين كانوا على صواب في هذه المسألة ، بغض النظر عن تعليلاتهم المتكلفة في تصحيح مذهبهم اذ اننا لا نملك من النصوص الفصيحة من القرآن الكريم ومن الحديث الشريف ومن أقوال العرب واشعارهم

---

(٩٣) الشرح ٢٢٢ •

(٩٤) عندما يطلق المتأخرون لفظة «البغداديين» فانما يعنون بها «الكوفيين» ومما يدل على ذلك ان ابن هشام ذكر لفظة البغداديين في أوضح المسالك (١٨٤) وهو يذكر أن ليس من حروف العطف عندهم • ومن يرجع الى الصاحبي (١٧٠) والازهية (٢٠٥) يجد أن ابن فارس ينسب القول الى الكسائي ، ويجد أيضا أن الهروي ينسب القول الى الكوفيين •

(٩٥) قال ابن السراج في الاصول ١/٤٥٤ : «وأهل بغداد يقولون : يا الرجل أقبل ، ويقولون لم نر موضعا يدخله التنوين يمتنع من الالف واللام ، وينشدون :

فيا الغلامان اللذان فرا   اياكما أن تكسبانا شرا

الفصيحة ما يعضد مذهب الكوفيين ، حتى نصححه ، وما استشهد به الكوفيون من شعر ، فهو مع قلته ، لايصح أن تقعد القواعد اعتمادا عليه فقط لأن للشعر ضرورات تبيح ارتكاب ماهو محذور منه في السعة .

٣ ـ قال ابن الحاجب : « لا يندب الا المعروف »(٩٦) وفاقا للبصريين(٩٧). ورد عليه ابن الناظم ، وفاقا للكوفيين(٩٨) ، بقوله : « قد صح في الحديث قول أخت عبدالله بن رواحة تندبه (وَا جَبَلاَه) »(٩٩) . وقول ابن الناظم هذا ليس بسديد لأن النادبة قصدت ندبة أخ لها بعينه . فالنكرة المقصودة هنا في حكم المعرفة .

وقد عدل عن متابعته الكوفيين ، وتابع البصريين في شرحه على الألفية . قال : « القصد من الندبة الاعلام بعظمة المصاب ، فلذلك لا يندب الا العلم ونحوه كالمضاف اضافة توضّح المندوب كما يوضّح الاسم العلم ولا يندب الاسم النكرة ... »(١٠٠) .

إعراب الفعل :

١ ـ وجزم ابن الحاجب بامتناع « لا تكفر تدخل النار خلافا للكسائي لأن التقدير أن لا تكفر »(١٠١) . ورد عليه ابن الناظم بقوله : « ... وفي الحديث الشريف ما يؤيده (يعني الكسائي وهو قول الصحابي للنبي صلى الله عليه وسلم يوم حنين (لا تُشْرِفْ يُصِبْكَ سَهْمٌ) »(١٠٢) . وقد استُشْهِدَ لصحة مذهب الكسائي أيضا بقوله صلى الله عليه وسلم : (مَنْ أَكَلَ مِنْ هٰذِهِ الشَّجَرَةِ فَلا يَقْرَبْ مَسْجِدَنَا يُؤْذِنَا

(٩٦) مجموع مهمات المتون ٣٩١ .
(٩٧) الكتاب ١/٣٢٤ ، المقتضب ٤/٢٦٨ .
(٩٨) الانصاف المسألة ٥١ ، الرضي ١/١٤٤ـ١٤٥ ، التصريح ٢/١٨٢ .
(٩٩) ابن الناظم على الكافية ق ٢٥ .
(١٠٠) الشرح ٢٢٩ .
(١٠١) مجموع مهمات المتون ٤١٨ .
(١٠٢) ابن الناظم على الكافية ق ٧٣ .

بريحِ الثُّومِ)[١٠٣] .

وقد عدل ابن الناظم في شرحه على الألفية عن متابعته الكسائي ، وتابع سيبويه وجمهور البصريين في اشتراطهم كون الشرط المقدر موافقا للمطلوب فيصح أن يدل عليه[١٠٤] . وخرّج ما احتُجّ به للكسائي من قول الرسول (ص) وقول الصحابي (رض) على الابدال من فعل النهي لا على الجواب[١٠٥] .

والحق مع الكسائي ، لأن لا تكفر تدخل النار ، عنده إنْ تكفر تدخل النار . وقد علق الرضي على مذهب الكسائي بعد أن ذكره فقال : « وليس ماذهب اليه الكسائي ببعيد لو ساعده نقل »[١٠٦] . وفاته ما استشهد له به من قول الرسول الكريم (ص) وقول الصحابي (رض) . وكلاهما في المرتبة المتقدمة من مراتب الاستشهاد النحوي .

٢ ـ ذهب البصريون[١٠٧] الى أن فعل الشرط وجوابه ، اذا كانا فعلين مضارعين وجب جزمهما . وجوز الكوفيون[١٠٨] في الثاني الرفع ، وان كان فعل الشرط مضارعا .

وقد صحح ابن الناظم مذهب الكوفيين في شرحه على الكافية ، فبعد أن ذكر قول ابن الحاجب : «فان كانا مضارعين أو الأول فالجزم» قال : «أي عند البصريين» .. وجوز الكوفيون في الثاني الرفع أيضا مثل أن تأتني اكرمك ، ولا فرق عندهم بين أن يكون الشرط ماضيا أو مضارعا .وعلّة ارتفاع الجزاء ضعف أداة الشرط ، لأنها تقتضي جزما . وقد حصل ذلك بجزم الأول ويقوى ذلك

---

(١٠٣) ابن يعيش ٧/ ٥٠ .
(١٠٤) التصريح ٢/ ٢٤٢ ، الاشموني ٣/ ٣١٥ .
(١٠٥) الشرح ٢٦٩ .
(١٠٦) الرضي ٢/ ٢٤٨ .
(١٠٧) الكتاب ١/ ٤٣٦ـ٤٣٧ .
(١٠٨) أنظر : الامالي الشجرية ١/ ٣٥٦ ، الرضي ٢/ ٢٤٣ ، المغني ١/ ٤٨ـ٤٩ ، البحر المحيط ٢/ ٤٢٨ـ٤٢٩ .

اتفاقهم على جواز رفعه اذا كان الأول ماضيا . والمختار جزم الثاني ... وهو عند سيبويه في حكم التقديم ... وعند المبرد أنه خبر مبتدأ محذوف ، تقديره فأنا أكرمُكَ . والتحقيق ما ذكرناه أولا لأن أداة الشرط لم تعمل فيه لضعفها ولا حاجة الى تقديره ولا تقديم ولا تأخير »(١٠٩)

وقد عدل عن متابعته الكوفيين في شرحه على الألفية ، وتابع البصريين . قال : « وأما المضارع ، فان كان شرطا وجب جزمه لفظا وكذا ان كان جوابا والشرط مضارع ... »(١١٠) .

وعندي أن الحق مع الكوفيين لاعتمادهم على ما ورد من العرب كقول الشاعر :

يَا أَقْرَعُ بنُ حابِسٍ يَا أَقْرَعُ
إِنَّكَ إِنْ يُصْرَعْ أَخُوكَ تُصْرَعُ

ولا داعي لمنع سيبويه مجيء جواب الشرط مرفوعا بحجة أن « ان » هي العاملة(١١١) ، ولا مسوغ أيضا لأن يعد هذا البيت وغيره(١١٢) من باب التقديم والتأخير ، فقد قدر الأول : « انك تصرع ان يصرع أخوك »(١١٣) والجواب محذوف .

لقد انطلق سيبويه وغيره من البصريين في تناولهم لهذه المسألة النحوية من

---

(١٠٩) ابن الناظم على الكافية ق ٧١-٧٢ . وانظر أيضا : الكتاب ٤٣٦/١-٤٣٧ ، المقتضب ٧٢/٢ .
(١١٠) الشرح ٢٧٣ .
(١١١) الكتاب ٤٣٦/١ .
(١١٢) نفسه ٤٣٨/١ فقد أنشد قول الشاعر :
فقلت تحمل فوق طوقك انها مطبعة من يأتها لا يضيرها
وقدره بقوله «كأنه قال : لا يضيرها من يأتها» .
(١١٣) نفسه ٤٣٧/١ . وانظر أيضا : شرح العمدة ق ٩١ .

منطلق نظرية العامل ، وهي نظرية فلسفية ، لا يمكن على ضوئها أن نفسر ما أثر من فصيح اللغة • وكان عليهم أن يصفوا مثل هذه الظواهر كما وردت عن العرب ويتجنبوا الولوج الى تطبيق قوانين علم المنطق في اللغة التي لها قوانينها التي تخالف قوانين المنطق • وعلى أية حال ، إن ما ذهب اليه الكوفيون أقرب الى الجادة لعدم الحاجة الى التقديم والتأخير ولا الى التقدير •

ب ـ ابن الناظم والبصريون :

ومن المظاهر البارزة ، في دراسة ابن الناظم النحوية ، هو متابعته البصريين في أغلب الآراء النحوية ، وانتهاجه منهجهم في تناولها[114] • وقد ألممنا بطائفة منهـا •

وهنا أورد طائفة أخرى من المسائل التي تابع بها ابن الناظم البصريين أظنها تكفي لأن تجلو جانبا من دراسته النحوية ، ولأن تبين أهم معالم الأصول المنهجية التي صدر عنها في دراسته النحو •

ابن الناظم وجمهور البصريين :

في النحو العربي ، مسائل نحوية ، عُرفت بأنها مسائل خلافية ، شجر بين جمهور البصريين ، وجمهور الكوفيين خلاف طويل حولها ، وتكفلت بذكرها كتب مخصصة لدراستها كالانصاف ، لأبي البركات الانباري ، وغيره • ومن المسائل الخلافية ، هذه المسائل التي تابع بها ابن الناظم البصريين •

المبني والمعرب :

١ ـ فعل الأمـر :

فعل الأمر عند ابن الناظم ، صيغة مشتقة من المصدر ، كالماضي والمضارع ،

---

(١١٤) أذكر هنا متابعته للبصريين ، من حيث كونها مادة نحوية عولجت في أغلب الاحيان على أساس منطقي أصولي ، وسأذكر نسبة متابعته البصريين اضافة الى مسائل الخلاف بالارقام ، عند الحديث عن مدرسته النحوية •

وفاقا للبصريين[١١٥] • ونص على خلافه للكوفيين في ذهابهم الى أنه معرب مجزوم[١١٦] ، وأنه مقتطع من المضارع • فأصل « افعل » « لتفعل » فجزم بلام الأمر المحذوفة[١١٧] ، على حين أنه عند البصريين[١١٨] قسيم الماضي والمضارع في الفعلية ، وأنه مبني على السكون ، لمجيئه على مقتضى الأصل • والبناء في الافعال هو الأصل •

٢ ـ « أيّ » الموصولة :

وذهب الى أن « أي » الموصولة ، قد تبنى ، وذلك اذا صرح بما تضاف اليه ، وكان العائد محذوفا[١١٩] وفاقا للبصريين[١٢٠] • أما الكوفيون[١٢١] فانهم أعربوها في جميع حالاتها ، وضمتها ضمة اعراب لا ضمة بناء في الآية الكريمة : « ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا »[١٢٢] •

---

(١١٥) الكتاب ٤/١ المقتضب ١٣١،٣/٢ ، الايضاح العضدي ٣٠٧ ، الخصائص ٨٣/٣ •

(١١٦) ابن الناظم على الكافية ق ٧٣ ، شرح التسهيل ق ٢٢١ ، وانظر أيضا : الشرح ٨ •

(١١٧) معاني القرآن ٤٦٩/١ـ٤٩١،٤٧٠ ، مجالس ثعلب ٤٥٦/٢ ، اعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم ٢٧ ، ٥٤ ، ١٢٧ ، ١٣٢ ، •• الخ • وانظر أيضا حد الفعل في (الصاحبي ٨٥ـ٨٦) •

(١١٨) ايضاح الزجاجي ٧٧ ، الجمل ٢٦٠ ، لمع الأدلة ١٤١ـ١٤٢ ، الانصاف المسألة ٨٢ ، اسرار العربية ٣١٧ ، الرضي ٢٤٧/٢ ، الاشباه والنظائر ١٢٧/٢ •

(١١٩) الشرح ٣٦ •

(١٢٠) الكتاب ٣٩٧/١ •

(١٢١) معاني القرآن ٤٧/١ـ٤٨ •

(١٢٢) مريم/٦٩ • وانظر أيضا في هذه المسألة : مجالس العلماء ٣٠١ـ٣٠٢ ، الانصاف المسألة ١٠٢ ، أسرار العربية ٣٨٣ ، ابن يعيش ٨٧/٧ ، الرضي ٥٤/٢ • وانظر أيضا : مجمع البيان ٥٢٢/٦ ، الكشاف ٣٤/٣ ففي هذه المصادر آراء كثيرة في علة بناء «أي» في الآية الكريمة •

٣ ـ الآن :

وذهب الى أن « الآن » مبني لتضمنه معنى أداة التعريف[١٢٣] ، وفاقا للفارسي من البصريين[١٢٤] . أما الكوفيون فانهم ذهبوا الى أنه مبني « لأن الألف واللام ، دخلتا على فعل ماض من قولهم : آن يئين أي حان وبقي على فتحه »[١٢٥] .

لسيبويه تعليل لغوي سليم لمجيء « أي » و « الآن » و « خمسة عشر » ونحوها ، مبنيات لصدوره عن رصد نابه وأصيل لأساليب العرب في كلامهم . قال : « وأَرى قولهم : اضرب أيهم أفضل على أنهم جعلوا هذه الضمة بمنزلة الفتحة في خمسة عشر ، وبمنزلة الفتحة في الآن حتى قالوا من الآن الى غد »[١٢٦] . وقال في موضع آخر : « اعلم أن العرب تدع خمسة عشر في الاضافة والألف واللام على حال واحدة كما تقول : اضرب أيهم أفضل ، وكالآن ، وذلك لكثرتها في الكلام وأنها نكرة فلا تتغير »[١٢٧] .

فتعليل سيبويه هنا تعليل لغوي ، انطلق به من فهمه العميق لأساليب العرب . فأي وخمسة عشر والآن ، عنده اسماء ، كان لكثرتها في الكلام العامل الرئيس في صياغتها على ما هي عليه ، ان هذه الأسماء أصبحت كالامثال لا تتغير في استعمالاتها اللغوية المختلفة كافة .

---

(١٢٣) الشرح ٣٩ .

(١٢٤) الانصاف المسألة ٧١ . وذكر الانباري أيضا مذاهب اخرى للبصريين ، وكلها مجمعة على اسمية «الآن» قبل دخول الالف واللام عليها . وأنظر أيضا : الامالي الشجرية ٢/٢٦٠ـ٢٦١ ، التصريح ١/١٥١ ، الاشموني ١/١٨٩ـ١٩٠ .

(١٢٥) نفسه . وانظر أيضا : معاني القرآن ١/٤٦٨ـ٤٦٩ ، الصاحبي ١٤٣ .

(١٢٦) الكتاب ١/٣٩٧ .

(١٢٧) نفسه ٢/٥١ .

الابتــــداء :

١ ـ وذهب الى أن الوصف ، اذا جاء مبتدأ ، وأسند الى فاعل أو نائبه ، استغنى عن الخبر ، لشدة شبهه بالفعل ، وحسن أن يعتمد على النفي أو الاستفهام لأنهما يقربانه من الفعل • واذا لم يعتمد عليهما « كان الابتداء به قبيحا وهو جائز على قبحه ••• »[١٢٨] •

وما ذهب اليه مستفاد من قول الخليل[١٢٩] ، وموافق لمذهب ابن السراج[١٣٠] • أما الأخفش والكوفيون ، فقد أجازوا أن يبتدأ بالوصف من دون أن يعتمد على نفي أو استفهام[١٣١] •

ان الوصف عند البصريين اسم ويقرب من الفعلية اذا سبق بنفي أو استفهام فيعمل ، عى حين أنه فعل دائم[١٣٢] عند الكوفيين ، ولذلك لا حاجة لأن يعتمد على نفي أو استفهام •

٢ ـ وذهب الى أن المبتدأ مرفوع بالابتداء ، وأن الخبر مرفوع بالمبتدأ[١٣٣] ، وفاقا لسيبويه وجمهور البصريين • قال سيبويه : « فأما الذي يبني على شيء هو هو ، فان المبني عليه يرتفع به كما ارتفع هو بالأبتداء ، وذلك كقولك : عبدالله منطلق »[١٣٤] •

---

(١٢٨) الشرح ٤١ •

(١٢٩) الكتاب ١/٢٧٨ ، وانظر تعليق السيرافي على قول الخليل في هامش الكتاب للسيرافي ٢/١٢٧ ، ط/هارون) •

(١٣٠) الاصول ١/٦٤ •

(١٣١) مجالس ثعلب ١/٣١٣ • وانظر أيضا : الرضي ١/٧٧ ، ابن عقيل ١/١٦٧ ، الاشموني ١/٢٠٠ ، الهمع ٩٤ •

(١٣٢) انظر منهجه النحوي مبحث المصطلحات النحوية •• من هذه الدراسة •

(١٣٣) الشرح ٤١ـ٤٢ •

(١٣٤) الكتاب ١/٢٧٨ ، وأنظر أيضا : الاصول ١/٥٥،٦٣ ، الايضاح العضدي ٢٩ • الخصائص ١/١٦٦ •

وقد نقل ابن الناظم كلام سيبويه هذا بنصه ، ورد مذاهب مخالفيه . فمذهب الأخفش هو أن : « رافع الجزئين هو الابتداء ، لأنه اقتضاهما فعمل فيهما » ونقض عليه ابن الناظم مذهبه هذا بقوله : « وهو ضعيف لأن أقوى العوامل وهو الفعل لا يعمل رفعين بدون اتباع فما ليس أقوى أولى أن لا يعمل ذلك »(١٣٥) . ومذهب المبرد في أحد قوليه هو أن : « رفع المبتدأ بالابتداء ... والابتداء والمبتدأ يرفعان الخبر »(١٣٦) . ورده بأنه : « قول لا نظير له »(١٣٧) . أما الكوفيون فذهبوا الى أن كلا من المبتدأ والخبر قد ترافعا(١٣٨) . ورده بأن قال : « ويبطله أن الخبر يرفع الفاعل ، كما في نحو زيد قائم أبوه ، فلا يصلح لرفع المبتدأ ، لأن أقوى العوامل ، وهو الفعل لا يعمل رفعين بدون اتباع ، فما ليس أقوى لا ينبغي له ذلك »(١٣٩) .

مما تقدم من ردود ابن الناظم على الكوفيين ، والأخفش ، والمبرد ، يظهر لنا مدى تمكن نظرية العامل من نحو ابن الناظم . وكان عليه، وعلى غيره من النحاة أن ينظروا الى مسألة رفع المبتدأ والخبر ، نظرة لغوية لا فلسفية(١٤٠) ، فالمبتدأ ارتفع لأنه مسند اليه ، والضمة فيه ، هي علم الاسناد(١٤١) . اما الخبر فارتفع ، لأنه هو عين المبتدأ في المعنى ، في قولنا محمد رسول الله . فان لم

---

(١٣٥) الشرح ٤٢ .

(١٣٦) المقتضب ٤/١٢٦ ، وللمبرد قول ثان في المقتضب نفسه (٤/١٢) يوافق فيه سيبويه وجمهور البصريين . قال : « ... أما حيث كان خبرا فانه مرفوع بالمبتدأ ، كما كان المبتدأ رفعا بالابتداء » .

(١٣٧) الشرح ٤٢ .

(١٣٨) انظر : معاني القرآن ١/١٢-١٣ ، ٢/٥٧ ، مجالس ثعلب ٢/٣٨٩-٤٥٧ ، شرح القصائد السبع الطوال ٣١٧ .

(١٣٩) الشرح ٤٢ ، وانظر أيضا : الانصاف المسألة ٥ ، الرضي ١/٧٨ ، منهج السالك ٣٨ ، ابن عقيل ١/١٧٤ ، الهمع ١/٩٤-٩٥ .

(١٤٠) أنظر : النحو العربي ـ نقد وبناء ٤٥ .

(١٤١) احياء النحو ٥٣ ، في النحو العربي نقد وتوجيه ٧٠ .

يكن هو عين المبتدأ في المعنى ، في نحو زيد أمامَك ، انتصب على الخلاف ، كما قال الكوفيون[١٤٢] .

٣ ـ وتابع البصريين[١٤٣] في أن الخبر « إنْ كان جامدا لم يتحمَّل ضمير المبتدأ ، خلافا للكوفيين ، لأن الجامد لا يصلح لتحمُّل الضمير الا على تأويله بالمشتق كقولك زيد أسد ، والجارية قمر على تأويل هو شجاع وهي منيرة ، والجامد اذا كان خبرا لا يحتاج الى ذلك لأنه لا يكفي في صحة الاخبار به كونه صادقا على ما صدق عليه المبتدأ ، وذلك كقولك زيد أخوك وهذا عبدالله .. »[١٤٤] .

وما أغنى الفريقين عن هذا الخلاف المفتعل ، فلو درسا النحو دراسة وصفية ، لما كانت هذه المسألة الخلافية . فأي حكم إعرابي في قولك : عبدالله أسد ، يترتب عليه الخلاف بينهما ؟

٤ ـ وذهب الى أن الخبر يحذف وجوبا بعد واو تفيد المصاحبة ، نحو كل رجل وضعيته ، فالخبر في هذا مضمر بعد المعطوف تقديره مقرونان[١٤٥] . وهذا الذي ذكره ، هو مذهب البصريين[١٤٦] ، أما الكوفيون ، فذهبوا الى أن « الواو بمعنى مع وهي الخبر »[١٤٧] .

---

(١٤٢) الانصاف المسألة ٢٩ . وانظر أيضا : في النحو العربي ـ نقد وتوجيه ٧٣ـ٧٤ ، ١٨١ـ١٨٢ ، ٢٢٠ .
(١٤٣) الانصاف المسألة ٧ ، التسهيل ٤٧ـ٤٨ ، منهج السالك ٤٠ ، ابن عقيل ١/١٨٧ ، التصريح ١/١٦٠ .
(١٤٤) الشرح ٤٣ .
(١٤٥) الشرح ٤٩ ، وانظر أيضا الشرح نفسه ١١٠ .
(١٤٦) الكتاب ١/١٥٠ ، ١٥١ ، ١٥٤ ، ٢٧٠ . الايضاح العضدي ٣٥ـ٣٦ .
(١٤٧) هامش الكتاب للسيرافي ١/٢٧٠ ط/بولاق ، نفسه ٢/١٠٧ط/هارون . وانظر أيضا : أوضح المسالك ٤١ ، حاشية الانصاري ق ٧٤ ، الهمع ١/١٠٥ .

٥ ـ وذهب الى أن الاسم بعد لولا في نحو : لولا زيد لاكرمتك يرتفع بالابتداء(١٤٨) ، وفاقا للبصريين(١٤٩) . وذهب الكوفيون الى أنه يرتفع بها . قال الفراء في قوله تعالى : « وَلَوْلاَ رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ » رفعهم بـ «لولا» ، ثم قال : « أن تطئوهم » فان في موضع رفع بـ « لولا »(١٥٠) .

« ما » العاملة عمل ليس :

وذهب الى أن خبر «ما» الحجازية ، منصوب بها ، وفاقا للبصريين(١٥١) . قال : « ألحق أهل الحجاز ما النافية بليس في العمل اذا كانت مثلها في المعنى ، فرفعوا بها الاسم ، ونصبوا الخبر نحو : (ما هٰذَا بَشَراً)(١٥٢) ، و (مَا هُنَّ أُمَّهَاتِهِم)(١٥٣) ، وأهملها التميميون لعدم اختصاصها بالأسماء وهو القياس »(١٥٤) .

وذهب الكوفيون الى أنه منصوب بنزع الخافض(١٥٥) .

وذهب الى أن (إنْ) بعد (ما) النافية المشبهة بليس زائدة ، في نحو :

---

(١٤٨) الشرح ٤٨ ، ٢٨٠ .
(١٤٩) الكتاب ١/٢٧٩ ، ٤٦٢ ، المقتضب ٣/٧٦ ، الكامل ١/٢٧٧ ، ٣/٣٤٥ ، الايضاح العضدي ٣٠ ، ٥١ ، الاصول ١/٧٥ .
(١٥٠) معاني القرآن ١/٤٠٤ ، وذهب في (٢/٨٤ـ٨٥) الى هذا المذهب نفسه . وأنظر في هذه المسألة أيضا : الامالي الشجرية ٢/٢١٠ ، الانصاف المسألة ١٠ ، التسهيل ٢٥ ، الرضي ١/٩٣ .
(١٥١) الكتاب ١/٢٨ ، المقتضب ١/١٨٨ ، الايضاح العضدي ١١٠ ، الخصائص ١/٢٥ ، ١٦٧ .
(١٥٢) يوسف/٣١ .
(١٥٣) المجادلة/٢ .
(١٥٤) الشرح ٥٦ .
(١٥٥) معاني القرآن ٢/٤٢ ، مجالس ثعلب ٢/٤٢٢ ، ٦٦٤ـ٦٦٥ . وانظر ايضا : الامالي الشجرية ٢/٢٣٨ـ٢٣٩ ، الانصاف المسألة ١٩ .

بَنِي غُدَانَةَ مَا إنْ أَنْتُمُ ذَهَبٌ
وَلا صَرِيفٌ ، وَلَكِنْ أَنْتُمُ خَزَفُ[156]

وما ذهب اليه هو مذهب البصريين[157] . وذهب الكوفيون الى أنها بمعنى (ما) جاءت مؤكدة لا زائدة[158] .

وعندي أن مذهب الكوفيين أقرب الى الصواب ، لأن القول بزيادتها بدون فائدة يعني التطويل ، ولأنه ما من كلمة في جملة فصيحة في العربية الا وهي تؤدي وظيفة لغوية . و (إنْ) هنا تؤدي وظيفة تأكيد النفي المتحصل ب (ما) ، ليكون هذا النفي آكد ، كما هو الحال في اقتران اللام في خبر (إنَّ) للمبالغة في التوكيد. وحذف (إنْ) من الجملة إخلال بما قصد اليه المتكلم[159] .

إنَّ واخواتها :

وذهب الى أن (إنَّ) وأخواتها « عملت عكس عمل (كان) .. نصبت الاسم ورفعت الخبر .. »[160] ، وفاقا للبصريين . قال سيبويه : « وزعم الخليل انها عملت عملين الرفع والنصب كما عملت كان الرفع والنصب .. »[161] . وذهب الكوفيون الى أنها نصبت ما بعدها ، أما المرفوع ، فهو باق على ماكان عليه قبل دخولها[162] .

---

(١٥٦) الشرح ٥٦ .

(١٥٧) الكتاب ١/٢٨ ، ٣٦٢ ، ٤٧٥ ، ٢/٣٠٥ ، المقتضب ١/٥١ ، ٣٦٣ ، الكامل ١/٣٤١ .

(١٥٨) الانصاف المسألة ٨٩ ، الهمع ١/١٢٣ .

(١٥٩) مر بنا في (ص٨٩) من هذا البحث قول المبرد في المقتضب (١/٤٥) فيما يسمى بالزيادة ومنها زيادة (من) .

(١٦٠) الشرح ٦٢ .

(١٦١) الكتاب ١/٢٨٠ . وانظر أيضا/المقتضب ٤/١٠٩ ، الايضاح العضدي ١١٥ ، الاصول ١/٥٩ ، الجمل ٦٥ .

(١٦٢) معاني القرآن ١/٣١٠-٣١١ . وانظر أيضا الاصول ١/٢٧٨-٢٧٩، الانصاف المسألة ٢٢ ، التصريح ١/٢١٠ ، الهمع ١/١٣٤ .

وللدكتور السيد يعقوب بكر مبحث طريف في (إنَّ) ، في كتابه (دراسات في فقه اللغة العربية ٤٨) . فليراجع .

وذهب الى أن اللام في خبر (لكن) في قول الشاعر :

يَلُومُونَنِي فِي حُبِّ لَيْلَى عَوَاذِلِي
وَلَكِنَّنِي مِنْ حُبِّهَا لَعَمِيدُ

مزيدة ، وملحقة بالنوادر[١٦٣] ، وفاقا للبصريين[١٦٤] . وذهب الكوفيون الى انه يجوز دخول اللام على خبر (لكن) ، مثل جواز دخولها في خبر (إنّ)[١٦٥] .

إنّ الوظيفة اللغوية التي تؤديها (إنّ) في العربية ، غير ما تؤديه (لكن) فيها فالاولى تفيد التوكيد[١٦٦] ، اما الثانية ، فتفيد الاستدراك . فاذا جاءت لكن بمعنى إنّ ، كما قال الفراء[١٦٧] ، جاز مجيء اللام في خبرها . آما مجيء اللام مقترنا بخبر (لكن) مع بقائها على معناها الاصلي ، وهو الاستدراك ، فذلك من الشاذ الذي لا يقاس عليه .

وذهب الى أنه لا يجوز رفع المعطوف على اسم (إنّ) قبل تمام الخبر . ورد مذهب الكسائي الذي أجازه مطلقا ، ورد أيضا مذهب الفراء الذي أجازه فيما خفي فيه اعراب المعطوف عليه : « لأنه يلزم منه تعدد العامل في الخبر إذ الرافع للخبر في هذا الباب هو الناسخ للابتداء ، وفي باب المبتدأ هو المبتدأ فلو جيء بخبر واحد لاسم إنّ ، ومبتدأ معطوف عليه لكان عامله متعدد اوانه ممتنع ، ولهذا لا يجوز رفع المعطوف قبل الخبر ... وما أوهم ذلك فهو اما شاذ لا عبرة فيه ، واما محمول على التقديم والتأخير ... »[١٦٨] .

---

(١٦٣) الشرح ٦٦ .

(١٦٤) أنظر الكتاب ١/٤٧٣ وما بعدها ، المقتضب ٢/٣٤٥ ، ٣٤٨ ، الجمل ٦٧ـ٦٨ .

(١٦٥) معاني القرآن ١/٤٦٥ـ٤٦٦ . وانظر أيضاً : الانصاف المسألة ٢٥ ، الرضي ٢/٣٣٢ ، المغني ١/٢٩٢ ، الهمع ١/١٤٠ .

(١٦٦) أنظر : دراسات نقدية ١/١٩٨ـ١٩٩ .

(١٦٧) معاني القرآن ١/٤٦٥ـ٤٦٦ .

(١٦٨) الشرح ٦٧ .

وعلى التقديم والتأخير خرج ابن الناظم الآية الكريمة : « إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَى مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ »[١٦٩] ، قال : « فرفع (الصابئون) على التقديم والتأخير لافادة أنه يتاب عليهم ان آمنوا وأصلحوا مع أنهم أشد غيا لخروجهم عن الأديان فما الظن بغيرهم . ومثله قول الشاعر :

وإلاَّ فَاعْلَمُوا أَنَّا وَأَنْتُم بُغَاةٌ مَا بَقِينَا فِي شِقَاقِ

فقدم فيه أنتم على خبر ان تنبيها على ان المخاطبين أوغل في البغي من قومه ... »[١٧٠] . وما ذهب اليه هو مذهب البصريين[١٧١] . ومر بنا رأي الكسائي والفراء[١٧٢] ، ورد ابن الناظم عليهما .

المصدر اصل او فرع :

وذهب الى ان «المصدر أصل للفعل ، وللوصف في الاشتقاق»[١٧٣] ، وفاقا للبصريين[١٧٤] . ورد الكوفيين ، باسلوبه المنطقي المعروف . قال : « وذهب

---

(١٦٩) المائدة/٦٩ .
(١٧٠) الشرح ٦٧ .
(١٧١) الكتاب ١/٢٩٠ ، الاصول ١/٣١١-٣١٢ .
(١٧٢) معاني القرآن ١/٣١٠-٣١١ ، مجالس ثعلب ١/٢٦٢ . وانظر ايضا : الكشاف ١/٦٦٠-٦٦٢ ، واغلب الظن أن ابن الناظم قد أفاد من عرض الزمخشري لهذه المسألة الخلافية .
الانصاف المسألة ٢٣ ، ابن يعيش ٨/٦٨ ، الرضي ٢/٣٢٩-٣٣٠ ، الهمع ٢/١٤٤ ، خزانة الادب ٤/٣٢٣-٣٢٤ .
(١٧٣) الشرح ١٠٢ .
(١٧٤) الكتاب ١/٢٠-٢١ (ط/هارون) ، الاصول ١/١٩٠ ، الجمل ١٧ ، ٤٤ ، الايضاح في علل النحو ٥٦ ، ٦٠ ، الخصائص ١/١١٣ ، ١١٩ ، المنصف ١/٦٥ ، الانصاف المسألة ٧٨ ، مسائل خلافية ٧٢ ، الرضي على الكافية ٢/١٧٨ . وقد ذكر السيوطي في الهمع (١/١٨٦) قول ابي حيان في هذه المسألة الخلافية بعد أن ذكر رأي البصريين والكوفيين : « وهذا الخلاف لا يجدي كثير منفعة » .

الكوفيون الى أن الفعل أصل للمصدر ، وهو باطل لأن الفرع لابد فيه من معنى الاصل وزيادة ، ولا شك أن الفعل يدل على المصدر والزمان ، ففيه معنى المصدر وزيادة • فهو فرع والمصدر أصل لانه دال على بعض مايدل عليه الفعل »[١٧٥] •

لقد مال بعض الدارسين المحدثين الى رأي الكوفيين ، لأن الفعل هو الأصل في اللغات السامية ، وما ذهاب البصريين الى أن المصدر هو الأصل ، والفعل فرع عليه ، الا نتيجة لتأثير الثقافة الآرية في العربية[١٧٦] •

ناصب الظرف الواقع خبرا :

وذهب الى أن ناصب الظرف الواقع خبرا نحو : زيد عندَك هو الفعل نحو كان أو استقر ، أو شبهه نحو كائن أو مستقر[١٧٧] ، وفاقا للبصريين[١٧٨] • وذهب الكوفيون الى أنه منصوب على الخلاف[١٧٩] •

ولسيبويه رأي ، جدير بأن ينظر فيه • قال : « (هذا باب ما ينتصب من الأماكن والوقت) وذاك لأنها ظروف تقع فيها الأشياء ، وتكون فيها فانتصب لأنه موقوع فيها ، ومَكنُون فيها ، وعمل فيها ماقبلها كما أن العلم اذا قلت أنت الرجل علما عمل فيه ما قبله ، وكما عمل في الدرهم عشرون اذا قلت عشرون درهما ••• »[١٨٠] • ولم يأنس السيرافي لقول سيبويه فذكر ان كلامه « ملتبس

---

(١٧٥) الشرح ١٠٢ •

(١٧٦) في النحو العربي ، نقد وتوجيه ٤١ ، ١٠٣ وما بعدها • وقد نقل الدكتور المخزومي رأي ولفنسون في (تاريخ اللغات السامية ص١٤ ، ١٥) • وللدكتور ابراهيم السامرائي في (الفعل زمانه وأبنيته ٥١ـ٥٣) رأي مفصل جدير بأن يرجع اليه •

(١٧٧) الشرح ٤٣ـ٤٤ ، وانظر الشرح نفسه ١٠٨ •

(١٧٨) الاصول ٦٨/١ •

(١٧٩) هامش الكتاب للسيرافي ٢٠١/١ (ط/بولاق) ، ٤٠٣/١ـ٤٠٤ (ط:هارون) ففيهما نص على رأي الكوفيين • وانظر أيضا : الانصاف المسألة ٢٩، الرضي ٨٣/١ •

(١٨٠) الكتاب ٢٠١/١ •

لأنه جعل ما قبل الظرف هو الفاعل »[١٨١] وفسر كلامه ، موافقا لمذهب البصريين قال : « ولكن مراده على ما ينتظم من مذهبه أن الذي ظهر دل على المحذوف عنه فهو موافق للبصريين »[١٨٢] .

لقد جعل سيبويه نصب الظرف بالاسم الذي قبله ، كنصب التميز بما قبله وهو ما لم يرتض به السيرافي . ان ما يعنينا هنا ليس منطلق سيبويه من نظرية العامل ، وانما يعنينا ، هو حمل نصب الظرف على نصب التميز ، وكل من المنصوبين الظرف والتميز ليس هو عين الاسم الذي قبله في المعنى ، فلذا انتصب ، لأنه قد خالف الاسم المتقدم عليه[١٨٣] .

المفعول معه :

وذهب الى أن الاسم المنصوب بعد واو المعية ، منصوب « بما قبلها من الفعل أو شبهه »[١٨٤] وفاقا للبصريين[١٨٥] . وذهب الكوفيون الى أنه منصوب على الخلاف[١٨٦] .

---

(١٨١) يريد السيرافي بقوله : «هو الفاعل» ، «هو العامل» .
(١٨٢) هامش الكتاب للسيرافي ١/٢٠١ (ط/بولاق) .
(١٨٣) جمع الدكتور مهدي المخزومي في كتابه «في النحو العربي ، نقد وتوجيه» ٨١ وما بعدها ، منصوبات ، كان للخليل وسيبويه والفراء ومن في طبقتهم آراء فيها ، تكون اطارا لغويا سليماً ، يصلح لان ينطلق منه في دراسة كثير من المسائل النحوية . فقد عولجت فيه تلك المسائل على أصول صادرة عن طبيعة اللغة ، لا عن الاصول الفلسفية التي أصلها النحاة المناطقة .

(١٨٤) الشرح ١١١ .
(١٨٥) الكتاب ١/١٥٠ ، الكامل ١/٣٣٣ ، الايضاح العضدي ١٩٣ ، الاصول ١/٢٥٣ ، سر صناعة الاعراب ١/١٤٢ وما بعدها ففيه بحث مفصّل . وانظر أيضا رأي الزجاج في هامش الكتاب للسيرافي ١/١٥٠ .
(١٨٦) معاني القرآن ١/٣٣-٣٤ . وانظر أيضا : الانصاف المسألة ٣٠ ، الرضي ٢/١٧٨ ، الهمع ١/٢١٩-٢٢٠ .

حروف الاضافة :

وذهب الى أنه يجوز حذف رب بعد الواو ، وابقاء عملها[١٨٧] ، وفاقاً للبصريين[١٨٨] . وذهب الكوفيون[١٨٩] والمبرد[١٩٠] ، إلى أن الواو نفسها هي الخافضة ، لأنها نابت منابها فعملت عملها .

التعجب :

وذهب الى أن صيغة أفعل في التعجب في قولهم : ما أَفْعَلَه فعل ماض لا يتصرَّف ، مسندا الى (ما) . والدليل على فعليته لزومه متصلا بياء المتكلم ونون الوقاية نحو : « ما أعرفني بكذا ، وما أرغبني في عفو الله ، ولا يكون كذلك الا الفعل » . ورد مذهب بعض الكوفيين فقال : « وعند بعض الكوفيين، أن أفعل في التعجب اسم لمجيئه مصغَّرا نحو قوله :

يَامَا أُمَيْلِحَ غِزْلاناً شَدَنَّ لَنَا
مِنْ هؤُلَيائِكُنَّ الضَّالِ والسَّمُرِ

وانما التصغير للاسماء ، ولا حجَّة فيما أوردوه لشذوذه ، ولامكان أن يكون التصغير دخله لشبهه بأفعل التفضيل لفظا ومعنى ، والشيء يخرج عن بابه لمجرد الشبه بغيره »[١٩١] . وما ذهب اليه ، هو مذهب البصريين[١٩٢] .

---

(١٨٧) الشرح ١٤٦ ، ابن الناظم على الكافية ق ٨٥ .
(١٨٨) الكتاب ١/١٣٣ ، ٤٦٥ ، الاصول ١/٥١٢-٥١٣ .
(١٨٩) الانصاف المسألة ٥٥ ، الرضي ٢/٣١٠ ، المغني ٢/٣٦١ .
(١٩٠) المقتضب ٢/٣١٩ ، ٣٤٧-٣٤٨ ، الكامل ١/٣٦٩ .
(١٩١) الشرح ١٧٧ .
(١٩٢) الكتاب ١/٣٧ ، ٢/١٣٥ ، المقتضب ٤/١٨٥ ، الاصول ١/١١٧ ، المنصف ١/٢٤١ . وقال السيرافي (هامش الكتاب ١/٣٨٦) : «ذكر الكوفيون في فعل التعجب اسقاط النون نحو ما أقربي منك ، وما أحسني ، وهم يعنون ما احسنني . ولم يذكر البصريون من هذا شيئا ، ولست أدري عن العرب حكوا هذا أو قاسوه على مذهبهم في ما افعل زيدا لانه اسم عندهم في الاصل» . وانظر أيضا : الامالي الشجرية ٢/١٢٩ ، الانصاف المسألة ١٥ ، ابن يعيش على المفصل ٧/١٤٣ ، الرضي على الكافية ٢/٢٨٧ .

نعم وبئس :

وذهب الى أنَّ نعم وبئس ، فعلان «ماضيا اللفظ لا يتصرفان» • والدليل على فعليتهما جواز دخول تاء التأنيث الساكنة عليهما عند جميع العرب ، واتصال ضمير الرفع البارز بهما في لغة قوم حكى الكسائي عنهم ، الزيدان نعما رجلين ، الزيدون نعموا رجالا(١٩٣) • وما ذهب اليه هو مذهب البصريين(١٩٤) • ونسب الى الفرّاء القول باسميتهما ، كما نسبه كثير من النحاة المتأخرين(١٩٥) • وردَّ عليه ردّاً طويلا ، على حين ان الفرّاء صريح القول بفعليتهما في معاني القرآن(١٩٦) •

إنَّ نعم وبئس ، من الكلمات اللغوية القديمة التي جمدت على ماكانت عليه ، ولم تتطوّر لتلحق بالافعال أو الاسماء ، فجاءت في الاستعمال بخصائص متميِّزة •

النــداء :

وذهب الى أنَّ الميم في (اللهمَّ) عوض عن حرف النداء (يا) وفاقا للبصريين(١٩٧) ، وردَّ الكوفيين بقوله : « ولم يجمع بينهما الاّ في الضرورة كقول الراجز :

---

(١٩٣) الشرح ١٨١ •
(١٩٤) الكتاب ١/٣٠٠ ، وانظر أيضا : هامش الكتاب للسيرافي في الصفحة نفسها • المقتضب ٢/١٤٠ ، الاصول ١/١٣٠ ، المنصف ١/٢٤١ •
(١٩٥) الظاهر من كلام ابن الشجري في (أماليه ٢/١٤٨) أن أبا بكر ابن الانباري هو الذي نسب القول باسمية نعم وبئس الى الفرّاء ، وأغلب الظن أن النحاة المتأخرين ، كتلميذ ابن الشجري ، أبي البركات الانباري في الانصاف المسألة : ١٤ ، وابن يعيش ٧/١٢٧ـ١٢٨ ، والرضي ٢/٢٩٠ ، والسيوطي في الهمع ٢/٨٤ ، أخذوا هذا القول عن ابن الشجري •
(١٩٦) ٢/١٤١ـ١٤٣ •
(١٩٧) الكتاب ١/٣١٠ ، المقتضب ٤/٢٣٩ ، الاصول ١/٤١٢ ، الجمل ١٧١ـ١٧٢ •

إنّي إذا ما حدَثٌ ألَمَّا   أقولُ يا اللّهُمَّ يا اللّهُمَّا

ولو كان أصل اللهم (يَا اللهُ أُمَّنَا) كما يراه الكوفيون للزم باطراد جواز أمرين : أحدهما يا الله أُمَّنَا ارحمنا بلا عطف قياسا على اللهم ارحمنا ، والثاني اللهم وارحمنا بالعطف قياسا على يا الله أُمَّنَا وارحمنا ، واللازم منتف اجماعا »(١٩٨) .

ان النظر العقلي ، هو الذي أملى على ابن الناظم ، كما أملى على أصحابه البصريين ، الرد على الكوفيين . فالميم في اللهم ، على ما نقل الأب انستاس ماري الكرملي(١٩٩) ، بقية من علامة الجمع عند العبريين . وعلى هذا صحح الدكتور المخزومي رأي الكوفيين ، في جواز الجمع بين الميم ويا في اللهم(٢٠٠) .

العدد :

وذهب الى أنه « اذا أضيف العدد المركب استصحب البناء في صدره وفي عجزه أيضا الا على لغة قال سيبويه : ومن العرب من يقول خمسة عشرك وهي لغة رديئة ، وعند الكوفيين ان العدد المركب اذا أضيف أعرب صدره بما تقتضيه العوامل وجر عجزه بالاضافة .... والبصريون لا يرون ذلك بل يستصحب عندهم البناء في الاضافة كما يستصحب(٢٠١) مع الألف واللام

---

(١٩٨) الشرح ٢٢٣ . وقد أورد أبو زيد البيت في نوادره ١٦٥ هكذا :
انّي اذا ما لم ألمّا   أقولُ يا اللهمَّ يا اللهما
وانظر أيضا رأي الكوفيين في : معاني القرآن ٢٠٣/١ ، الصاحبي ١٧٥ ، الامالي الشجرية ١٠٣/٢-١٠٤ ، الانصاف المسألة ٤٧ ، أسرار العربية ٢٣٢ - ٢٣٥ ، الرضي على الكافية ١٣٢/١ ، الاشباه والنظائر ١٨١/١ ، ١٦٢/٢ .

(١٩٩) مجلة لغة العرب ، السنة السابعة ١٩٢٩ ، (١٣٧/٢) .

(٢٠٠) مدرسة الكوفة ٢٢٣ . ونعت الدكتور ابراهيم السامرائي في «النحو العربي ، نقد وبناء ١١٤» رأي الكوفيين بالقول السخيف .

(٢٠١) الاستصحاب من أصول الفقه ، وقد استخدمه ابن الناظم هنا في القول ببناء المركب بجزءيه عند اضافته .

باجماع »[٢٠٢] .

وقد عد ابن الناظم ما استشهد به الكوفيون من قول الشاعر :

كُلِّفَ مِنْ عَنَائِهِ وَشِقْوَتِهْ
بِنْتَ ثَمَانِي عَشْرَةٍ مِن حِجَّتِهْ[٢٠٣]

من الشاذ[٢٠٤] .

التأنيث :

وذهب الى أن تاء التأنيث ، لا تلحق الصفات المختصة بالمؤنث ، لأنه لم يقصد بها قصد فعلها « من افادة الحدوث نحو حائض وطامث بمعنى ذات أهلية للحيض والطمث دون تعرّض لوجود الفعل . فلو قصد أنه تجدد لها الحيض أو الطمث في أحد الأزمنة لحقت تاء التأنيث فقيل حائضة وطامثة »[٢٠٥] ومذهبه هنا موافق لمذهب البصريين[٢٠٦] . أما الكوفيون فذهبوا الى أن حذف التاء منها لاختصاص المؤنث بها[٢٠٧] .

---

(٢٠٢) الشرح ٢٨٧ـ٢٨٨ . وأنظر مذهب البصريين في : الكتاب ٢/٥١ ، المقتضب ٢/١٧٩ .

(٢٠٣) انظر : معاني القرآن ٢/٢٤٢ .

(٢٠٤) ابن الناظم على الكافية ق ٣٠ . وأنظر مذهب الكوفيين في : معاني القرآن ٢/٣٣ـ٣٤ ، مجالس ثعلب ٢/٦٥٨ـ٦٥٩ ، الانصاف المسألة ٤٢ ، حاشية الانصاري ق ٦٦٧ ، الاشموني ٤/٧٠ .

(٢٠٥) الشرح ٢٩٥ . وانظر أيضا : شرح العمدة ق ٢٣٢ـ٢٣٣ .

(٢٠٦) الكتاب ٢/٩١ ، المقتضب ٢/١٦٣ـ١٦٤ ، المذكر والمؤنث للمبرد ١٠١ـ١٠٧ ، الاصول ٢/٤٣٨ .

(٢٠٧) معاني القرآن ٢/٢١٤ ، فصيح ثعلب ٧٤ـ٧٥ ، الاضداد لابن الانباري ٣٥٩ ، المذكور والمؤنث لابن الانباري ق ١٩ وفيه بحث طويل في هذه المسألة .

وأنظر أيضا : الانصاف المسألة ٤٦ ، ابن يعيش ٥/١٠٠ـ١٠١ ، الرضي ٢/١٥٤ .

وذهب الى أن علّة حذف الواو من الفعل المثال نحو : (يعد) هو الاستثقال « لوقوعها ساكنة بين ياء مفتوحة وكسرة لازمة ، وحمل على ذي الياء أخواته من أعد ونعد وتعد .. »[٢٠٨] وما ذهب اليه موافق لمذهب البصريين[٢٠٩] . أما الكوفيون فذهبوا الى أن الواو حذفت من نحو يعد ، للفرق بين المتعدي واللازم[٢١٠] .

٢ ـ ابن الناظم والنحاة المتقدمون من البصريين :

آ ـ الخليل :

١ ـ قد وقط :

ذهب ابن الناظم الى أن قد وأختها قط بمعنى حسب[٢١١] ، وفاقا للخليل[٢١٢] . وذهب الكوفيون الى أنهما بمعنى حسب ، بغير نون الوقاية . أما اذا اقترنتا بها ، فهما اسما فعل بمعنى اكتفي[٢١٣] .

٢ ـ وذهب الى ان المركب المزجي المنتهي بـ « ويه » نحو : سيبويه وعمرويه ، يبنى لأن «ويه» صوت فلا حظ له من الاعراب[٢١٤] ، وفاقا

---

(٢٠٨) الشرح ٣٤٩ ، وانظر ايضاً : شرح ابن الناظم على لامية الافعال ٢٢٩ .

(٢٠٩) الكتاب ٢/٢٣٢ ، الكامل ١/٨٥ ، ٨٦ ، ٢٦٩ .

(٢١٠) معاني القرآن ٢/١٥٠ ، وقد تابع ثعلب في مجالسه (٢/٣٦٠)، وابن الانباري في شرح القصائد السبع الطوال ٢٨٧ ، البصريين فيما ذهبوا اليه . وانظر ايضا : الرضي على الشافية ٣/٨٧ ، ٩٣ ، نجم الدين الاسترابادي على الشافية ٢٨٠ـ٢٨١ ، التصريح ٢/٣٩٦ ، الاشموني ٤/٣٦١ـ٣٦٢ .

(٢١١) الشرح ٢٦ .

(٢١٢) الكتاب ١/٣٨٧ . وفيه أن قد وحسبي بمعنى واحد . وانظر أيضا : المقتضب ١/٤٢ ، ٤٥ .

(٢١٣) الاشموني ١/١٣٦ ، التصريح ١/١١٣ .

(٢١٤) الشرح ٢٩ .

للخليل[٢١٥] . وذهب الجرمي الى جواز اعرابه اعراب ما لا ينصرف[٢١٦] .

٣ ـ الممنوع من الصرف :

وذهب الى أن تنوين «جوار» ونحوه ، عوض عن الياء المحذوفة ، وفاقا للخليل[٢١٧] . وعلل ما ذهب اليه فقال : « وسبب ذلك أن في آخر نحو جوار مزيد ثقل لكونه ياء في آخر اسم لا ينصرف فاذا أعل في الرفع والجر بتقدير اعرابه استثقالا للضمة والفتحة النائبة عن الكسرة على الياء المكسور ما قبلها وخلا ماهي فيه من الألف واللام والاضافة تطرق اليه التغيير وامكن فيه التخفيف بالحذف مع التعويض فخفف بحذف الياء ، وعوض عنها بالتنوين لئلا يكون في اللفظ إخلال بصيغة الجمع ولم يخفف في النصب لعدم تطرق التغيير ولا مع الألف واللام والاضافة لعدم التمكن من التعويض »[٢١٨]. وذكر مذاهب كل من الأخفش والمبرد[٢١٩] والزجاج[٢٢٠] وردّها : قال :

---

(٢١٥) الكتاب ٢/٥٢ـ٥٣ ، وفيه «عمرويه» فقط . وانظر ايضا المقتضب ٣/١٨١ ، ٤/٣١ .

(٢١٦) منهج السالك ٢٢ ، التصريح ١/١١٨ .

(٢١٧) نسبب الاشموني (٣/٢٤٨) هذا المذهب الى سيبويه ، وهو للخليل. قال سيبويه (الكتاب ٢/٥٧) : « وسألت الخليل عن رجل يسمى بجوار فقال هو في حال الجر والرفع بمنزلته قبل أن يكون اسما ... » . وانظر أيضا : الكتاب نفسه ٢/٥٦ .

(٢١٨) الشرح ٢٥٢ .

(٢١٩) المقتضب ١/١٤٣ .

(٢٢٠) قال الزجاج في (ماينصرف وما لاينصرف ١١٢) : « قال سيبويه : ان التنوين دخل هذا الباب عوضا من الياء . يريد حركة الياء فيما أحسب وقال محمد بن يزيد : التنوين عندي عوض من حركة الياء لاغير ، وذلك ان الياء كان يجب أن تكون في هذا الباب ساكنة غير محذوفة . الاصل في هذا عند النحويين (جواري) بضمة وتنوين ، ثم حذف التنوين لانه لاينصرف فيبقى (جواري يا هذا) بضمة الياء ، ثم حذف الضمة لثقلها مع الياء فيبقى (جواري) باسكان الياء ثم تدخل التنوينة عوضا عن الضمة فيصير (جوارين) فتحذف الياء لسكونها وسكون التنوين فيبقى (جوار) » .

« وذهب الأخفش الى ان الياء لما حذفت تخفيفا بقي الاسم في اللفظ كجناح ، وزالت صيغة منتهى الجموع فدخله تنوين الصرف . ويرد عليه أن المحذوف في قوة الموجود والا كان آخر مابقي حرف اعراب واللازم كما لا يخفى منتف . وذهب الزجاج الى أن التنوين عوض من ذهاب الحركة على الياء وأن الياء محذوفة لالتقاء الساكنين . وهو ضعيف لانه لو صح التعويض عن حركة الياء لكان التعويض عن حركة الألف في نحو عيسى وموسى أولى لأنها لا تظهر فيه بحال واللازم منتف فالملزوم كذلك . وذهب المبرد الى أن فيما لا ينصرف تنوينا مقدرا بدليل الرجوع اليه في الشعر فحكموا له في جوار ونحوه بحكم الموجود وحذفوا الياء لأجله في الرفع والجر لتوهم التقاء الساكنين ثم عوضوا عما حذف بالتنوين الظاهر وهو بعيد لأن الحذف لملاقاة ساكن متوهم الوجود مما لم يوجد له نظير ولا يحسن ارتكاب مثله[٢٢١] .

ب - يونس :

١ - كان :

ذهب يونس الى أن نون «لم يكن» تحذف ، وان وليها حرف ساكن واشترط سيبويه لصحة حذفها ، أن لا يأتي بعدها حرف ساكن ، قال : « ولا يقولون لم يك الرجل ، لأنها في موضع يحرك ، فلم يشبه بلا أدر .. »[٢٢٢].
وقد ذكر السيرافي أن أبا زيد ذكر « في نوادره شعرا حذفت فيه نون يكن قبل أل ، وهو قول الشاعر :

لَمْ يَكُ الحَقُّ عَلى أنْ هَاجَهُ
رَسْمُ دَارٍ قَدْ تَعَفَّى بِالسَّرَرْ

وهذا شاذ »[٢٢٣] . وتابع ابن الناظم يونس . فقال بعد أن ذكر مذهب

---

(٢٢١) الشرح ٢٥٢ .
(٢٢٢) الكتاب ٢٨٩/٢ ، وانظر أيضا : الخصائص ٩٠/١ ، الخزانة ٧٢/٤ .
(٢٢٣) الكتاب ، هامش السيرافي ٢٨٩/٢ ، والبيت الذي أورده السيرافي هو في نوادر أبي زيد ٧٧ .

جمهور البصريين « ... الا عند يونس ، ويشهد له قول الشاعر :

فإنْ لَمْ تَكُ المِرْآةُ أَبْدَتْ وَسَامَةً

فَقَدْ أَبْدَتِ المِرْآةُ جَبْهَةَ ضَيْغَمِ [٢٢٤]

والحق ، ماذهب اليه الجمهور ، لأن ضرورة الشعر هنا هي التي ألجأت الشاعر الى حذف النون ، ولو جاءت في المنثور الفصيح ، شواهد لكان لنا مندوحة في تأييد مذهب يونس .

٢ ـ الندبــة :

ذهب يونس الى أنه يجوز أن تلحق الصفة ألف الندبة ، نحو : وازيد الظريفاه ، واستشهد على صحة مذهبه بما رواه عن العرب « واجمجمتي الشاميتيناه »[٢٢٥] . ووافقه الكوفيون[٢٢٦] على مذهبه هذا ، وخالفه الخليل ، وخطّأ ما استشهد به ، وحجته في منع القائل « من أن يقول الظريفاه ، أن الظريف ليس بمنادى ، ولو جاز لقلت وازيدا أنت الفارس البطلاه ، لأن هذا غير نداء ، كما أن ذلك غير نداء ... »[٢٢٧] .

وصحح ابن الناظم مذهب يونس ، فقال : « ويشهد له قول بعض العرب: واجمجمتي الشاميتيناه »[٢٢٨] .

ج ـ سيبويـه :

١ ـ الضمير :

في « إِيّايَ » و « إِيّاكَ » و « إِيّاهُ » مذاهب ستة[٢٢٩] ، اختار

(٢٢٤) الشـرح ٥٦ .
(٢٢٥) الكتاب ١/٣٢٣ـ٣٢٤ .
(٢٢٦) انظر : الانصاف المسألة ٥٢ ، الرضي ١/١٤٥ ، الاشموني ٣/١٧١ـ١٧٢ ، الهمع ١/١٨٠ .
(٢٢٧) الكتاب ١/٣٢٣ .
(٢٢٨) الشـرح ٢٢٩ .
(٢٢٩) الهمع ١/٦١ . وانظر أيضا : : سر صناعة الاعراب ١/٣١١ ، الانصاف المسألة : ٩٨ ، ابن يعيش ٣/٩٨ـ١٠٠ ، الرضي ٢/١٢ ، منهج السالك ١٧ ، التصريح ١/١٠٣ ، أبو عثمان المازني ٢٢٧ .

ابن الناظم[٢٣٠] منها مذهب سيبويه ، وهو ان الضمير هو « إيّا » ، والياء والكاف والهاء حروف مردفة تدل على أحوال الموجوع اليه من المتكلم والخطاب والغيبة . وخالف أباه[٢٣١] في اختياره مذهب الخليل ، وهو أنّ الياء والكاف والهاء أسماء مضمرة متصلة ، خصصت « إيّا » باضافتها اليها ، لأنها ضمير مبهم ، محتجا بقول العرب : « اذا بلغ الرجل الستين فاياه وايا الشواب »[٢٣٢] .

٢ ـ الاسم الموصول :

وذهب الى أن الضمير العائد يحسن حذفه من جملة صلة الموصول إذا طالت ، نحو ، قوله تعالى : « وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلٰهٌ وَفِي الأَرْضِ إِلٰـهٌ »[٢٣٣] ..... أما اذا لم تطل الصلة ، فالحذف قليل كقوله :

مَنْ يُعْنَ بِالْحَمْدِ لا يَنْطِقْ بِمَا سَفَهٌ

وَلا يَحِدْ عَنْ سَبِيلِ الحِلْمِ والْكَرَمِ

... ومنه قراءة بعضهم : (تَمَامًا على الَّذِي أَحْسَنُ) بالرفع[٢٣٤] .

وما ذهب اليه ابن الناظم هو مذهب سيبويه[٢٣٥] . أما الكوفيون ، فقد أجازوا حذف الضمير العائد ، اذا لم تطل الصلة قياسا ، كما في الآية الكريمة[٢٣٦] .

---

(٢٣٠) الشرح ٢٣ .
(٢٣١) التسهيل ٢٦ ، الاشموني ١/١٢٧ ، الهمع ١/٦١ .
(٢٣٢) الكتاب ١/٣٨٢ .
(٢٣٣) الزخرف/٨٤ .
(٢٣٤) الشرح ٣٦ـ٣٧ .
(٢٣٥) الكتاب ١/٢٧٠ .
(٢٣٦) تخليص الشواهد ٦٧ـ٦٨ ، ابن عقيل ١/١٤٤ ، التصريح ١/١٤٤ ، الاشموني ١/١٧٧ .

ومذهب الكوفيين ، صواب أيضـــا ، لاعتماد الكوفيين على قراءة يحيى بن يعمر[٢٣٧] ، في تصحيح مذهبهم ، وإنّ عدّت من الشواذ[٢٣٨] .

٣ ـ « ما » الحجازية :

وذهب الى أن « ما » لا تعمل اذا تقدم خبرها على اسمها ، لان « ما » عامل ضعيف ، لا قوة لها على شيء من التصرّف ، فلذلك لم تعمل حال تقدم خبرها على الاسم الا فيما ندر من قول الفرزدق :

فَأَصْبَحُوا قَـدْ أَعَـادَ اللهُ نِعْمَتَهُمْ
إِذْ هُمْ قُرَيْشٌ وإِذْ مَا مِثْلَهُمْ بَشَرُ[٢٣٩]

وما ذهب اليه موافق لمذهب سيبويه[٢٤٠] .

٤ ـ افعال المقاربـة :

وذهب الى « أن أفعال المقاربة ملحقة بكان اذا لم يقترن الفعل بعدهـا بأن ، أما اذا اقترن بهـا فلا »[٢٤١] . ف (عسى) عنده ـ مثلا ـ في « عسى زيد أن يقوم » ، فعل تام ، و (أن وصلتها) مفعول به على اسقاط الجار . وهذا ما إستفاده من كلام سيبويه الذي أورد نصـه وهو : « تقول عسيت أن تفعل كذا فان ههنـا بمنزلتها في قاربت أن تفعل وبمنزلـة دنوت أن تفعل واخلولقت السماء أن تمطر »[٢٤٢] . وعلق على قول سيبويه هـذا بقـوله : « فهذا نص منه على أن (أن تفعل) بعـد (عسى) ليس خبرا »[٢٤٣] . أمـا

---

(٢٣٧) الكشاف ٢/ ٨٠ـ٨١ .
(٢٣٨) مجمع البيان ٤/٣٨٥ .
(٢٣٩) الشـرح ٥٦ .
(٢٤٠) الكتاب ١/٢٩ .
(٢٤١) الشـرح ٥٩ .
(٢٤٢) نفسه ، وانظر الكتاب ١/٤٧٧ ، ويلاحظ أن بين نص الكتاب ، ونص ابن الناظم الذي نقله ، فارق سيأتي التنبيه عليه . وانظر أيضـا : المقتضب ٣/٦٩ .
(٢٤٣) الشـرح ٥٩ .

جمهور البصريين فذهبوا الى أن (عسى) في المثال المذكور مثل كان ، أي أنها فعل ناقص ، وأن (أن يقوم) خبرها[٢٤٤] . وقد أورده ابن الناظم ، وفضل عليه مذهب سيبويه .

وهنالك قولان آخران في عسى ذكرهما ابن هشام بعد ذكره القولين المار ذكرهما ، وهما :

القول الأول : أن عسى : فعل قاصر بمنزلة قرُب ، وأن يفعل ، بدل اشتمال من فاعلها ، وهو مذهب الكوفيين ..

القول الثاني : أنها فعل ناقص كما يقول الجمهور ، وأن والفعل بدل اشتمال كما يقول الكوفيون ، وأن هذا البدل سد مسد الجزئين كما سدّ مسد المفعولين في قراءة حمزة رحمه الله : (وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّما نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ)[٢٤٥] بالخطاب ، واختاره ابن مالك»[٢٤٧] .

وهو كما يظهر تركيب من كلا المذهبين .

٥ ـ وذهب الى أن الفعل المضارع بعد «عسى» يقترن بـ «أن» المصدرية وربما تجرد منها كقول الشاعر :

عَسَى الْهَمُّ الَّذِي أَمْسَيْتَ فِيهِ
يَكُونُ وَرَاءَهُ فَرَجٌ قَرِيبُ

وما ذهب اليه ، هو مذهب سيبويه[٢٤٧] ، أما جمهور البصريين ، فقد ذهبوا

---

(٢٤٤) المغني ١/١٥١ـ١٥٢ ، الهمع ١/١٣٠ . ويرى عضيمة في حاشية المقتضب (٣/٦٩) أن سيبويه والمبرد يريان ان افعال المقاربة تعمل عمل كان واخواتها ... ورد على ابن هشام والسيوطي فيما نسبا الى سيبويه من رأي ولا أرى ان ماذهب اليه سديد . ينظر هامش السيرافي على الكتاب (١/٤٧٧) ففيه تفسير مقنع لنص سيبويه بحذف حرف الجر .

(٢٤٥) آل عمران/١٧٨ .

(٢٤٦) المغني ١/١٥٢ . وانظر : شرح العمدة ق ٢٢٩ .

(٢٤٧) الكتاب ١/٤٧٨ .

الى أن خبرها لا يتجرد من «أن» الا في ضرورة الشعر[٢٤٨] .

ان فكرة العامل ، هي التي وحدت ما سمي بأفعال المقاربة في باب واحد ، وألحقتها بكان في العمل . فهي ليست من واد واحد ، وهي تختلف أيضا عن كان في دلالتها ، فكان تدل على الوجود العام ، وما يسمى بخبرها حال مشتقا كان أم فعلا أم اسما جامدا ، وجيء به لأن كان لا تكتفي بمرفوعها .

أما أفعال هذا الباب ، فهي ليست كلها للمقاربة ، و « تسميتها بأفعال المقاربة من باب تسمية الكل باسم البعض »[٢٤٩] ، وأن ما يسمى بـ (أخبارها) ، تفيد « ترقب الحدوث أو امكان مقاربته البدء به ، أن الشيء لم يكن ، ولكنه متوقع أن يكون ، أو محتمل أن يكون ، أو بديء به منذ حين ، وهذا مما يناسبه الفعل دون غيره »[٢٥٠] ، ولا يؤثر اقترانه بأن في هذه الوظيفة اللغوية، كثر ذلك الاقتران بها أم قل ، وجب أم امتنع .

٦ ـ الاضافة :

وذهب الى أن المضاف اليه يجر بالمضاف[٢٥١] ، وفاقا لسيبويه[٢٥٢] ، لا بمعنى اللام ، خلافا للزجاج[٢٥٣] ، ولا بالمضاف لنيابته عن الحرف العامل ، خلافا لأبي علي[٢٥٤] ، « ولا بالاضافة خلافا للسهيلي وأبي

---

(٢٤٨) منهج السالك ٦٩ ، ابن عقيل ١/٢٨٠ ، التصريح ١/٢٠٦ ، وظاهر كلام المبرد في المقتضب ٣/٦٩ـ٧٠ ، موافقة الجمهور ، أما في الكامل ١/١٩٦ ، فقد وافق سيبويه .

(٢٤٩) ابن عقيل ١/٢٧٧ ، وانظر ايضا : الرضي ٢/٢٨٠ .

(٢٥٠) في النحو العربي ، نقد وتوجيه ١٨٨ .

(٢٥١) الشرح ١٤٧ .

(٢٥٢) الكتاب ١/٢٠٩ .

(٢٥٣) اوضح المسالك ١٣٦ ، الاشموني ٢/٢٤٣ .

(٢٥٤) الرضي ١/٢٥١ .

حيان في النكت الحسان ، ولا بحرف مقدر ناب عنه المضاف خلافا لابن الباذش »[٢٥٥] .

ان نظرية العامل ، هي التي دعت النحاة الى أن يقولوا ما قالوه ، والى أن يختلفوا فيما اختلفوا فيه ، ولا داعي لكل ذلك ، لأن الكسرة علم الاضافة[٢٥٦] ، فمجيئها في آخر الاسم ، دليل على أن الاسم أُضيف اليه ما قبله ، ليُفيد منه تعريفا أو تخصيصا[٢٥٧] ، وعلى هذا الأساس اللغوي ، يمكن أن نفسر سبب خفض الاسم .

٧ ـ النــداء :

وذهب الى أن ماسمَّاه النحاة ، نكرة غير مقصودة من أقسام المنادى[٢٥٨]، وفاقا لسيبويه[٢٥٩] ، نحو : «راكبا» في قول الشاعر :

أَيَــا رَاكِبــاً إِمَّـــا عَرَضْتَ فَبَلِّغَنْ
نَدَامَايَ مِــنْ نَجْرَانَ أَنْ لا تَـلاقِيا

وأنكر المازني ، هذا النوع من النداء[٢٦٠] ، بحجَّـــة « أنَّ نداء غير المعيَّن لا يمكن ، وان التنوين في ذلك شاذ »[٢٦١] .

أما الكسائي والفراء ، فانهما لا يُجيزان نداء النكرة المفردة ، وجاز البيت المذكور ، « أما لكون (راكبا) وصفا لموصوف مقدَّر أي رجلا راكبا أو لكونه معرفة »[٢٦٢] .

---

(٢٥٥) التصريح ٢/٢٥ .
(٢٥٦) احياء النحو ٧٢ ، في النحو العربي نقد وتوجيه ٧٦ .
(٢٥٧) الشرح ١٤٨ ، وانظر ايضا : في النحو العربي قواعد وتطبيق ١٧٣ .
(٢٥٨) الشرح ٢٢١ .
(٢٥٩) الكتاب ١/٣١١ـ٣١٢ .
(٢٦٠) اوضح المسالك ١٩٨ .
(٢٦١) التصريح ٢/١٦٧ ، وانظر ايضا : الهمع ١/١٧٣ .
(٢٦٢) الرضي ١/١٢٣ .

وأرى أن ما ذهب اليه المازني هو الأقرب الى السداد ، لأن القصد من النداء ، هو : تنبيه المنادى ، ولا يكون ذلك إلا الى متعين ومعلوم لا مجهول عند المنادى ، وبذلك تخرج النكرة غير المقصودة منه ، ولم يأت القائلون ببناء النكرة غير المقصودة ، بآيات من القرآن الكريم أو من الحديث الشريف ، أو من فصيح كلام العرب ، ليصححوا مذهبهم . وجل ما جاء به سيبويه ، هو أبيات شعرية أربعة في هذه المسألة(٢٦٣) ، وللشعر ضرورات وأحكام فلا يمكن الركون اليه في تقعيد اللغة .

٨ ـ ما لا ينصرف :

ذهب سيبويه الى أن «أحمر» إنْ سمِّيَ به ، ثم نُكِّر ، لا ينصرف ، نظرا الى كونه صفة في الأصل(٢٦٤) . وذهب الأخفش(٢٦٥) والمبرد الى انصرافه . قال المبرد بعد أن ذكر رأي سيبويه : « هذا قول النحويين ، ولست أراه كما قالوا ... »(٢٦٦) .

وذكر ابن الناظم رأي الفريقين ، وانتصر لسيبويه بقوله : « والحجة لسيبويه النقل والمعنى ، أما النقل فروى أبو زيد الأنصاري عن العرب : أعرف منهم عشرين أحمر . غير مصروف ... وأما المعنى ، فلأن الأمر العارض مع بقاء الجنسية لا يغير الأصل ، وكذلك لو وضعت الاسم في قولك مررت برجل أرنب ضَعْفاً ، صرفت (أرنب) ولم تؤثر الصفة شيئا لأنها عارضة »(٢٦٧) .

٩ ـ صرف الافعال اذا سُمّي بها :

وذهب الى أن الأفعال نحو : ضرب ودحرج ، لو سُمِّي بها ،

(٢٦٣) الكتاب ١/٣١١ـ٣١٢ .
(٢٦٤) نفسه ٢/٤ .
(٢٦٥) الرضي ١/٦٠ .
(٢٦٦) المقتضب ٣/٣١٢ .
(٢٦٧) ابن الناظم على الكافية ق٦١ .

لانصرفت[٢٦٨] ، وفاقا لسيبويه[٢٦٩] . وذكر مذهب عيسى بن عمرو ، ورد عليه بقوله : « وكان عيسى بن عمر لا يصرف المنقول من فعل تمسكا بنحو قول الشاعر :

أَنا ابْنُ جَلاَ وَطَلاَّعُ الثَّنَايَا
مَتَى أَضَعِ الْعِمَامَةَ تَعْرِفُونِي

ولا حجة فيه لأنه محمول على ارادة أنا ابن جلا الأمور ، وجرّبها ، فجلا من فعل وفاعل فهو محكي لا ممنوع من الصرف ، والذي يدلُّ على صحة ذلك ، إجماع العرب على صرف كعسب اسم رجل مع أنه منقول من كَعْسَبَ اذا أسرع »[٢٧٠] .

د ـ المازني :

١ ـ اسم لا التي لنفي الجنس :

اذا جاء اسم «لا» التي لنفي الجنس ، جمع مؤنث سالما ، فللنحاة فيه أربعة أقوال ، ذكرها خالد الأزهري[٢٧١] ، وهي :

القول الأول : أن يبنى على الكسر ، كما كان منصوبا بالكسرة نيابة عن الفتحة ، في حالة إعرابه ، وهو قول الاكثرين .

الثاني : أن ينون لأن تنوينه كنون مسلمين لا كتنوين زيد فلا ينافي البناء . وقد جزم بهذا ابن مالك في سبك المنظوم ، ونقله ابن الدهان عن قوم وتابعه ابن خروف[٢٧٢] .

الثالث : أن يفتح « لأن الحركة ليست له ، بل لمجموع المركب وهو

---

(٢٦٨) الشرح ٢٥٦ .
(٢٦٩) الكتاب ٢/٧ ، المقتضب ٣/٣١٤ .
(٢٧٠) الشرح ٢٥٦ .
(٢٧١) التصريح ١/٢٣٩ .
(٢٧٢) نفسه .

الاسم ، قاله المازني والفارسي وهو حسن ،[٢٧٣] واختاره ابن الناظم ، وفاقـ لأبيه في التسهيل[٢٧٤] وشرحه[٢٧٥] ، وإنْ أجاز ابن الناظم فيه الكسر ؛ قال : «وقد أنشدوا قول الشاعر :

لاَ سَـــابِغَاتٍ وَلاَ جَــأْوَاءَ بَاسِلَــةً
تَقِي الْمَنُونَ لَــدَى اسْتِيفَاءِ آجَــالِ

بالوجهين»[٢٧٦] ، ورجّحه ابن هشام[٢٧٧] .

الرابع : يجوز فيه الفتح والكسر بغير تنوين ، ورجحه خالد الأزهري[٢٧٨] .

٢ ـ المفعول المطلق :

ينتصب «جلوسا» في نحو : قعدت جلوسا ، بالفعل المذكور بمعناه وان لم يكن من لفظه ، عند المازني ومن تابعه كالمبرد والسيرافي[٢٧٩] ، أما سيبويه فقد ذهب الى أنه منصوب بفعل مقدر من لفظه ، وحذف لدلالة المذكور عليه . وقد صحح ابن الناظم مذهب المازني بقوله : «الأول أصحُ لأن ضربته كل الضرب واشتمل الصماء وقعد القرفصاء ونحو ذلك منصوبات انتصاب المصادر ولا عامل لها من لفظها ولا معناها . فانتصاب المصدر بفعل من معنـــاه أولى من تقدير محذوف من غير ضرورة»[٢٨٠] . وبمثل هذا القول قال الرضي[٢٨١] .

ورأى المازني ومن تابعه أسلم لبعده عن التعسُّف في التقدير .

---

(٢٧٣) نفسه ، وانظر الخصائص ٣/٣٠٢ـ٣٠٥ ، الرضي ١/٢٣٦ ، أبو عثمان المازني ٢١٨ .

(٢٧٤) التسهيل ٦٧ .

(٢٧٥) شرح التسهيل ق ٧٣ .

(٢٧٦) الشرح ٧١ .

(٢٧٧) المغني ١/٢٣٨ .

(٢٧٨) التصريح ١/٢٣٩ .

(٢٧٩) الرضي ١/١٠٤ .

(٢٨٠) ابن الناظم على الكافية ق٢١ .

(٢٨١) قال الرضي (١/١٠٤) في تأييده مذهب المازني : «وهو أولى لأن الاصل عدم التقدير بلا ضرورة ملجئة اليه» .

هـ ـ المبــرد :

١ ـ النصب بـ « حاشا »

وتابع ابن الناظم المبرد وفاقا لأبيه(٢٨٢) ، في ذهابه الى أنَّ «حاشا» تأتي حرف جر ، وتأتي فعــلا أيضــا(٢٨٣) ، وردَّ مذهب ســيبويه في الزامه حرفيتها(٢٨٤) ، بقوله : « ولم يُتابع عليه لأنه قد ثبت بالنقل الصحيح النصب بعد حاشا ... حكى أبو عمرو الشيباني اللهم اغفر لي ولمن يســمع حاشــا الشيطان وأبا الاصبع ، وقال المرزوقي في قول الشاعر :

حَاشَــا أَبِــي ثَوْبَــانَ إنَّ أَبَــا
ثَوْبَــانَ لَيْسَ بِبُكْمَــةٍ فَــدِمِ

رواه الضبي حاشا أبا ثوبان بالنصب»(٢٨٥) .

وعندي أن مذهب المبرد أقوى ، لأن المفضل الضبي(٢٨٦) ، راوية ثبت ، يُطمأنُّ اليه فيما يرويه . وروايته هنا لهذا البيت ، يصح القياسُ عليها ، لأنها غير مدفوعة بأصول لغوية ، ولم تتحكم فيها الضرورة الشعرية .

٢ ـ الجمع بين الفاعل والتمييز في باب نعم وبئس :

وصحح ابن الناظم ، وفاقا لأبيــه(٢٨٧) ، مذهب المبرد(٢٨٨) في جواز الجمع بين الفاعل الظاهر والتمييز ، ورد مذهب سيبويه(٢٨٩) في منعه الجمع

---

(٢٨٢) شرح التسهيل ق١١٨ ، شرح العمدة ق٦٤ ، ٩٧ .

(٢٨٣) المقتضب ٣٩١/٤ . ونقل عضيمة فيه (٣٩٢/٤ـ٣٩٣) رد المبرد على سيبويه ، ورد ابن ولاد على المبرد انتصارا لسيبويه ، فليراجع .

(٢٨٤) الكتاب ٣٧٧/١ .

(٢٨٥) الشرح ١٢٣ . وانظر : ديوان المفضّليّات ٧١٨ .

(٢٨٦) هو «المفضل بن محمد بن يعلي ، أبو عبدالرحمن الضبي الرواية الاديب النحوي اللغوي كان من أكابر علماء الكوفة ...» من ترجمته في ارشاد الاريب ١٧١/٧ .

(٢٨٧) التسهيل ١٢٦ ، شرحه ق١٤٠ ، شرح العمدة ق٢٢١ـ٢٢٢ .

(٢٨٨) المقتضب ١٥٠/٢ .

(٢٨٩) الكتاب ٣٠٠/١ـ٣٠١ .

بينهما . قال : «ومنع سيبويه الجمع بين الفاعل الظاهر والتميز فلا يُجيز نعم الرجل رجلا زيدا ، لأن الابهام قد ارتفع بظهور الفاعل فلا حاجة الى التمييز» وقد أجازه المبرد تمسكا بمثل قول الشاعر :

وَالتَّغْلِبِيُّونَ بِئْسَ الْفَحْلُ فَحْلُهُمُ
فَحْلاً وَأُمُّهُمُ زَلَّاءُ مِنْطِيقُ

وما ذهب اليه المبرد هو الأصح ، فان التمييز كما جاء لرفع الابهام كذلك قد يجيء للتوكيد . قال الله تعالى : (إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْراً)(٢٩٠) .

ومثله قول أبي طالب :

وَلَقَدْ عَلِمْتُ بِأَنَّ دِينَ مُحَمَّدٍ
مِنْ خَيْرِ أَدْيَانِ الْبَرِيَّةِ دِينَا»(٢٩١)

وما قاله ابن الناظم في تصحيح مذهب المبرد وجيه ، لأن التمييز في الآية الكريمة(٢٩٢) وفي بيت أبي طالب أفاد التوكيد .

٣ ـ لــو :

ذهب سيبويه (٢٩٣) الى أنه اذا جاءت أنْ وصلتها بعد لو ، نحو : لو أنّك جئتني لأكرمتك وشبهه ، فهي وصلتها في محل رفع مبتدأ . وذهب المبرد الى أنها وصلتها فاعل لفعل محذوف يفسره المذكور بعدها(٢٩٤) . وذكر

---

(٢٩٠) التوبة/٣٦ .

(٢٩١) الشرح ١٨٣ وانظر ايضا : الخصائص ١/٨٣ ، ٣٩٥ـ٣٩٦ ، شرح المفصل ٧/١٣٢ـ١٣٣ ، الرضي ٢/٢٩٤ ، الخزانة ٤/١١٠ .

(٢٩٢) انظر : القرطبي ٨/١٣٢ ، البحر المحيط ٥/٣٨ .

(٢٩٣) قال سيبويه (١/٤٦٢) : «وتقول لو انه ذاهب لكان خيرا له فان مبنية على لو كما كانت مبنية على لولا كأنك قلت لو ذاك ثم جعلت أن وما بعدها في موضعه فهذا تمثيل وان كانوا لا يبنون على لو غير أن ..» .

(٢٩٤) الرضي ٢/٣٦٣ .

ولم أجد في المقتضب (٢/٣٤٠ـ٣٤٣ ، ٣/٣٧٦ـ٣٧٨) ، والكامل (١/٢٧٨ـ٢٧٩) مايشير الى هذه المسألة صراحة . غير انه قال في (المقتضب =

ابن الناظم مذهب سيبويه ومذهب المبرد ثم رجح المذهب الأخير بقوله : « وهو أقرب في القياس مما ذهب اليه سيبويه »(٢٩٥) .

و ـ الرماني :

١ ـ الضمير :

ذهب سيبويه الى أنَّ الأكثر انفصال الضمير في بابي كان وظن . قال : « .. كأنه قليلة ولم تستحكم هذه الحروف ههنا . لا تقول كانني وليسني ولا كانك ... وبلغني عن بعض العرب الموثوق بهم أنهم يقولون ليسني وكانني »(٢٩٦) . وقال في موضع آخر : « وتقول حسبتك إيَّاه وحسبتني إيَّاه ، لأن حسبتنيه وحسبتكه قليل في كلامهم وذلك لأن حسبت بمنزلة كان إنما يدخلان على المبتدأ والخبر والمبني عليه فيكونان في الاحتياج على حال ألا ترى أنَّك لا تقتصر على الاسم الذي يقع بعدهما كما لا يقتصر عليه مبتدأ والمنصوبان بعد حسبت بمنزلة المرفوع والمنصوب بعد ليس وكان وكذلك الحروف التي بمنزلة حسبت وكان لأنهما انما يجعلان المبتدأ والمبني عليه فيما مضى يقينا أو شكا أو علما وليس بفعل أحدثته منك الى غيرك كضربت وأعطيت وانما تجعل الأمر في علمك يقينا أو شكا فيما مضى ولا يجوز أن تقول ضربتني ولا ضربت إيّاي . لا يجوز واحد منهما لأنهم قد استغنوا عن

= ٣/٧٧) : ولو لا تقع الا على فعل . فان قدمت الاسم قبل الفعل فيها كان على فعل مضمر وذلك كقوله عز وجل : (قل لو انتم تملكون خزائن رحمة ربي) . انما رفع بفعل يفسره مابعده .. «وبمثل قوله هذا قال في الكامل (١/٢٧٨ ـ ٢٧٩) . ومن هنا نعرف ان مانسبه المتأخرون اليه في هذه المسألة صحيح لان أن وصلتها تؤول بمصدر هو الفاعل في مثل ما مثل به المبرد . ومن الجدير بالذكر انه قال في المقتضب (٣/٧٨) : «وقولهم : لو انك جئت لاكرمتك . وقد مر تفسيره في باب ان وأن» . وعند الرجوع الى هذين البابين في الجزء الثاني من المقتضب ٣٤٠ـ٣٤٣ ، لا نجده يتكلم على هذه المسألة .

(٢٩٥) الشرح ٢٧٨ .

(٢٩٦) الكتاب ١/٣٨١ .

(٢٩٧) نفسه ١/٣٨٤ـ٣٨٥ .

ذلك بضربت نفسي وإيّاي ضربت »[297] • وقد تابعه جمهور البصريين[298] على ماذهب اليه •

أما الرماني[299] ، فقد ذهب الى أن الاكثر الاتصال • وقد تابعه على مذهبه هذا ابن الطراوة وتلميذه السهيلي وابن مالك[300] •

وقد أورد ابن الناظم مذهب كلا الفريقين ، وصحح مذهب الرماني ومن تابعه • قال : « المبيح لجواز اتصال الضمير وانفصاله هو كونه اما ثاني ضميرين اولهما أخص وغير مرفوع ، وأما كونه خبرا لكان أو إحدى أخواتها • أما الأول فالهاء في سلنيه ومنعكها •••• وأما الثاني فالهاء من قولك أما الصديق فكنته فانه يجوز فيه الاتصال لشبهه بالمفعول والانفصال أيضا لأن منصوب كان خبر في الأصل والخبر لا حظ له في الاتصال • واختار اكثرهم الانفصال والصحيح اختيار الاتصال لكثرته في النظم والنثر الفصيح كقوله صلى الله عليه وسلم لعمر رضي الله عنه في ابن صيَّاد : (إنْ يَكُنْهُ فَلَنْ تُسَلَّطَ عَلَيْهِ وَإنْ لاَ يَكُنْهُ فَلاَ خَيْرَ لَكَ فِي قَتْلِهِ) ، وحكى سيبويه عمن يوثق به (عليه رجلا ليسني) وأنشد لأبي الاسود :

فَإِنْ لاَ يَكُنْهَا أَوْ تَكُنْهُ فَإنَّهُ
أَخُوهَا غَذَتْهُ أُمُّهُ بِلِبَانِهَا[301]

وأما الانفصال فجاء في الشعر كقوله :

---

(٢٩٨) المقتضب ٣/٩٨ ، الاصول ١/١٠٤ ، هامش السيرافي على الكتاب ١/٣٨١ ، المفصل ١٣١ ، شرحه ٣/١٠٧ ، وانظر أيضا : الرضي ٢/١٨ ، ابن عقيل ١/٩١ـ٩٢ ، التصريح ١/١٠٧ـ١٠٨ ، الهمع ١/٦٣ •

(٢٩٩) اوضح المسالك ٢٠ •

(٣٠٠) تخليص الشواهد ٣٠ •

(٣٠١) قال الاعلم في شرحه لبيت أبي الاسود (الكتاب ١ـ٢١) : «أراد سيبويه أنها (أي كان) لتصرفها تجري مجرى الافعال الحقيقية في عملها فيتصل بها ضمير خبرها اتصال ضمير المفعول بالفعل الحقيقي في نحو ضربته وضربني وما اشبهه» •

لَئِنْ كَانَ إِيَّاهُ لَقَدْ حَالَ بَعْدَنَا
عَنِ الْعَهْدِ وَالانْسَانُ قَدْ يَتَغَيَّرُ

ولم يجيء في النثر الا في الاستثناء ، نحو أتوني ليس إيّاك . ولا يكون إيّاك فانَّ الاتصال فيه من الضرورة كقوله :

عَدَدْتُ قَوْمِي كَعَدِيدِ الطَّيْسِ
إِذْ ذَهَبَ الْقَوْمُ الكِرامُ لَيْسِي »[٣٠٢]

ومما عرضه ابن الناظم يتبين لنا أن مذهب الرماني ومن تابعه قوي لما يعضده من شواهد فصيحة كالحديث الشريف وكقول العرب على ما نقله سيبويه نفسه ، وكبيت أبي الاسود .

٢ ـ لولا :

أوجب جمهور البصريين حذف خبر المبتدأ بعد لولا مطلقا ، سواء دل على كون عام أم خاص ، وسواء دل عليه دليل أم لا[٣٠٣] . وأجاز الرماني[٣٠٤] ، ومن تابعه كابن الشجري والشلوبين[٣٠٥] ، والناظم[٣٠٦] وابنه ، حذفه وذكره إنْ دل عليه دليل ، فان لم يدل عليه دليل وجب ذكره .

قال ابن الناظم في شرحه على الكافية : « ... فانْ دلَّ سياق الكلام عليه جاز حذفه وذكره خلافا لابن عصفور في قوله : وقد أخذ على أبي العلاء قوله : فَلَوْلا الْغِمدُ يُمْسِكُهُ لَسَالاَ

وان لم يدل السياق عليه وجب ذكره كما قيل في قوله تعالى : (لَوْلاَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ) إنَّ عليكم هو الخبر»[٣٠٧] .

---

(٣٠٢) الشرح ٢٣ـ٢٤ .
(٣٠٣) الرضي ١/٩٣ـ٩٤ ، الاشموني ١/٢٢٦ ، التصريح ١/١٧٩ .
(٣٠٤) شواهد التوضيح ٦٥ ، الرماني النحوي ٣٠٠ .
(٣٠٥) الهمع ١/١٠٤ .
(٣٠٦) شواهد التوضيح ٦٥ ، التسهيل ٤٤ـ٤٥ ، شرحه ٤٥ـ٤٦ .
(٣٠٧) ابن الناظم على الكافية ق١٨ ، وانظر أيضا : المقرب لابن عصفور ١/٨٤ .

وقد فصل في شرحه على الألفية في هـــذه المسألة ، واستشهد على وجوب ذكر الخبر بقول الزبير بن العوام :

وَلَوْلَا بَنُوهَا حَوْلَهَا لَخَبَطْتُهَا
كَخَبْطَةِ عُصْفُورٍ وَلَمْ أَتَلَعْثَمِ

وقوله صلى الله عليه وسلم « لَوْلَا قَوْمُكِ حَدِيثُو عَهْدٍ بِالإِسْلَامِ لَهَدَمْتُ الْكَعْبَةَ فَجَعَلْتُ لَهَا بَابَيْنِ » • واستشهد على جواز ذكر الخبر وحذفه بقول أبي العلاء المار ذكره ، وعلّق عليه بقوله : « ولو قيل في الكلام لولا الغمد لسال لصحّ ، ولكنه آثر ذكر الخبر رفعاً لايهام تعليق الامتناع على نفس الغمد بطريق المجاز »(٣٠٨) •

ان ماذهب اليه الرماني ومن تابعه ، حقيق بأن يؤخذ به لما فيه من دقة في التعبير ، عُرِفت بها العربية ، وأصبحت من مميزاتها البارزة ، أما تأويل الجمهور لهذه الشواهد وتلحينهم المعرّي والشافعي في قوله :

وَلَوْلَا الشِّعْرُ بِالْعُلَمَاءِ يُزْرِي
لَكُنْتُ الْيَوْمَ أَشْعَرَ مِنْ لَبِيدِ(٣٠٩)

فلا يعتد به •

إنّ « الفضل في أخذ النحاة المتأخرين برأي الرماني في هذه المسألة يعود الى ابن مالك »(٣١٠) وابن الناظم ، لتبنيهما رأيه ، وايراد الشواهد المقنعة فيه من القرآن الكريم ومن الحديث الشريف ومن شعر المولدين المشهود لهم بالفصاحة وغزارة العلم كالمعرّي • وقد أخذ دارسو النحو المحدثون به(٣١١) •

---

(٣٠٨) الشرح ٤٨ـ٤٩ •
(٣٠٩) شرح شواهد ابن الناظم للعاملي ٧١ •
(٣١٠) الرماني النحوي ٣٠٠ •
(٣١١) انظر : النحو الوافي ١/٣٧٥ ، ففيه بحث حسن في هذه المسألة • وانظر ايضا : دراسات نقدية ١٤٨ ، في النحو العربي قواعد وتطبيق ١٥١ • ومن طريف ماقرات ، قول الدكتور محمد كامل حسين في (مجموع البحوث والمحاضرات ١٦٤) • القيت هـــذه البحوث والمحاضرات في الدورة السادسة =

ج ـ ابن الناظم والكوفيون :

أخذ ابن الناظم بطائفة من الآراء الكوفيــة في عدد من المسائل النحوية ، على الرغم من تمكن الاتجاه البصري في دراسته النحوية . وهذه المسائل ، من القلة بحيث لا تشكل الا نسبة قليلة ، كما سيتبين لنا ذلك(٣١٢) . وهذه طائفة من تلك المسائل :

العلــم :

ذهب البصريون(٣١٣) الى أنه لايجوز في الجمع بين الاسم واللقب ، اذا كانا مفردين الا الاضافة نحو : هذا سـعيد كرز ، على تأويل الاســم الاول بالمسمى والثاني بالاسم ، والتقدير : هذا صاحب هذا الاسم(٣١٤) .

وذهب الكوفيون الى أنه يجوز فيــه الاضافة والاتبــاع والقطع بالرفع والنصب(٣١٥) .

=

والعشرين ١٩٥٩ـ١٩٦٠ لمجمع اللغة العربية في القاهرة : «وقالوا : ان أبــا العلاء لحن في قوله :

يذيب الرعب فيه كل عضب فلولا الغمد يمسـكه لسالا

والبيت وان لم يكن من خير ماقاله المعرّي الا انه عندي مستقيم لا غبار عليه . ونحن لانريد ان نقول للنحاة : ان لحن أبي العلاء خير من صوابهم ، وانمــا أقول لهم : اذا كان أبو العلاء يلحن في اللغة فما أمل الناس في صحة لغتهم ، وهل تفيد للغة شيئا من جعلها من الصعوبة بحيث يخطىء فيها ابو العلاء ؟ . وكان خيرا لو عكفوا على بيان دلالة التركيب الذي صدره لولا ...» .

(٣١٢) انظر (٢٧٦) من هذه الرسالة .

(٣١٣) الكتــاب ٢/٤٩ ، المقتضــب ٤/١٦ . وقــد وافق ابن مالك البصريين بقوله :

وإنْ يكُونَا مُفْرَدَيْنِ فَأضِفْ
حَتْماً ....

اما في التسهيل ٣٠ـ٣١ ، وشرحه ق٢٩ فقد تابع الكوفيين .

(٣١٤) انظر : الرضي ١/٢٦٤ـ٢٦٥ ، منهج السالك ٢١ ، ابن عقيــل ١/١٠٧ ، التصريح ١/١٢٢ـ١٢٣ ، الاشموني ١/١٤٠ .

(٣١٥) المصادر نفسها .

وذكر ابن الناظم رأي البصريين والكوفيين ، ورجّح مذهب الاخيرين بقوله : « وما قاله الكوفيون في ذلك لا يأباه القياس »(٣١٦) .

وعندي ان قول الكوفيين هو الاصوب ، لبعده عن الاصول المنطقية التي اعتمدها البصريون في هذه المسألة .

المبتدأ والخبر :

وذهب البصريون الى انه اذا وقع المشتق (خبرا) وجرى على غير من هو له أبرز الضمير المستكن مطلقا سواء أُمن اللبس أم لم يؤمن إجراءا لهذا النوع من الخبر على نسق واحد نحو : زيد عمرو ضاربه هو ، وهند زيد ضاربته هي»(٣١٧) .

وذهب الكوفيون الى أنه يجوز الأمران : إبراز الضمير وعدمه إنْ أُمن اللبس . أما اذا خيف اللبس فيجب اظهاره(٣١٨) .

وقد ذكر ابن الناظم مذهب الفريقين ، وتابع الكوفيين . قال : « ومما يدلُ على صحة قولهم قول الشاعر :

قَوْمِي ذُرَى المَجْدِ بَانُوهَا وَقَدْ عَلِمَتْ
بِصِدْقِ ذَلِكَ عَدْنَانْ وَقَحْطَانُ

اذ لم يقل بانوها هم»(٣١٩) .

---

(٣١٦) الشرح ٢٨ . وذكر خالد الازهري (التصريح ١/١٢٢-١٢٣) أن الزجاج وافق الكوفيين في مذهبهم هذا ، وقال انه الصحيح . كذلك ذكر الصبان في (حاشيته ١/١٤٠) بأن مذهب الكوفيين هذا لبعض البصريين ، وعده المذهب الحق .

(٣١٧) انظر : المقتضب ٢/٢٩٩ ، ٣/٢٦٢ ، الاصول ٧٨-٧٩ ، الشرح ٤٣ .

(٣١٨) انظر : هامش الكتاب (١/٢٤٤) للسيرافي ، فقد أورد الخلاف في هذه المسألة . الانصاف ١/٥٧ ، مسألة ٨ ، ابن عقيل ١/١٨٠ . وذكر السجاعي في حاشيته على ابن عقيل (٦٣) ، انّ ابن عقيل تابع ابن الناظم في هذه المسألة .

(٣١٩) الشرح ٤٣ .

وقد تأوّل البصريون هذا البيت فقالوا : « باحتمال أن يكون ذرى المجد معمولا لوصف محـــذوف يفسِّره المذكور والاصل : بانون ذرى المجـــد بانوها »(٣٢٠) . وفي هذا التأويل تعسُّف ظـــاهر ، والقول ما قاله الكوفيون لأن اجراء هذا النوع من الخبر على نسق واحد ، حجة عقلية واهية ، ألجأهم اليها الطرد المنطقي ، فتعسفوا في تأويلهم .

مفعول ما لم يسم فاعله :

ذهب البصريون الى أنه اذا وجد المفعول في جملة ، وبُني فعلها للمفعول ، حُذف فاعلها ، وتعين إنابة المفعول به منابه بحجة أن طلب الفعل للمفعول بـه بعد الفاعل أشد منه لسائر المنصوبات .

وذهب الكوفيون الى أن انابته ، أولى لا واجب(٣٢١) .

وقد تابع ابن الناظم الكوفيين وفاقا لأبيه(٣٢٢) ، فقد رد على ابن الحاجب في قوله : «واذا وجد المفعول به تعين له»(٣٢٣) . قال : «لم يتعيَّن بل هـــو أولى لاشتراك المفاعيل كلها في الفضلية ، ويجوز أن يقـــام غيره مقام الفاعل ومنه قراءة أبـي جعفـــر بن القعقـــاع « لِيُجْزَى قَوْمـــاً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ »(٣٢٤) فنصب المفعول به ، وأقام الجار والمجرور ، مقام الفاعل ، وهو مذهب الأخفش والكوفيين .. »(٣٢٥) .

---

(٣٢٠) الصبان ١/٢٠٩ .

(٣٢١) ابن يعيش ٣/٢٢ ، الرضـــي ١/٧٥ ، ابن عقيـــل ١/٤٣٢ ، الاشموني ٢/٦٤ ، التصريح ١/٢٩٠-٢٩١ ، الهمع ١/١٦٢ ..

(٣٢٢) قال ابن مالك :

وَلا يَنُــوبُ بَعْضُ هــَــذِي إنْ وُجِــدْ
فِي اللَّفْظِ مَفْعُولٌ بِـــهِ ، وَقَــدْ يَرِدِ

وانظر : التسهيل ٧٧ .

(٣٢٣) مجموع مهمات المتون ٣٨٦ .

(٣٢٤) الجاثية/١٤ .

(٣٢٥) ابنُ الناظم على الكافية ٧ وأنظر : الشرح ٩٠ . وانظـر تخريج المبرد في المقتضب ٣/٢١٦ لقراءة الآيـــة الكريمـــة « وَيُخْرَجُ لَهُ يَوْمَ القِيَامَةِ كِتَاباً يَلْقَاهُ مَنْشُوراً » بالياء وضمهـــا وفتح الراء من كلمـــة (ليخرج) . وهي قراءة أبي جعفر . وانظر البحر المحيط ٦/١٥ .

وذهب سيبويه الى أن «سواء» لا يكون الا ظرفا ، ولا يكون اسما الا في الشعر ، وتابعه جمهور البصريين على ماذهب اليه(٣٢٦) .

وذهب الكوفيون الى أن سوى وسواء يكونان اسمين ويكونان ظرفين(٣٢٧) .
وتابعهم ابن الناظم وفاقا لأبيه(٣٢٨) عندما رد قول ابن الحاجب : « واعراب سوى وسواء النصب» . قال : «هذا مذهب سيبويه ، وهما عنده منصوبتان على الظرف تقديرا في المقصورة ، ولفظا في الممدودة ، وجعل قوله :

تَجَانَفُ مِنْ جَوِّ الْيَمَامَةِ نَاقَتِي
وَمَا قَصَدَتْ مِنْ أَهْلِهَا لِسِوَائِكَا

شاذا للضرورة ، والصحيح مذهب الكوفيين أن سوى وسواء اسم كغير بدليل أنها جاءت مبتدأ وخبرا وفاعلا واسم ليس ... »(٣٢٩) . والى مثل ماذهب اليه هنا ذهب في شرح النظم ، مستشهدا بقوله صلى الله عليه وسلم : « دَعَوْتُ رَبِّي أَنْ لا يُسَلِّطَ عَلى أُمَّتِي عَدُوّاً مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ » وبقوله صلى الله عليه وسلم : « مَا أَنْتُمْ فِي سِوَاكُمْ مِنَ الأُمَمِ إِلا كَالشَّعْرَةِ الْبَيْضَاءِ فِي جِلْدِ الثَّوْرِ الأَسْوَدِ أَوْ كَالشَّعْرَةِ السَّوْدَاءِ فِي جِلْدِ الثَّوْرِ الأَبْيَضِ » وبما حكاه الفراء عن العرب ، وبأبيات شعرية ، كانت عدّة الكوفيين في تصحيح مذهبهم ، ثم ذكر

---

(٣٢٦) انظر : الكتاب ١/١٢-١٣ ، ٢٠٢-٢٠٣ .
انظر : المقتضب ٤/٣٤٩-٣٥٠ ، الرضي ١/٢٢٨ ، ابن عقيل ٨٨ (ط : الديدي) ، البهجة المرضية للسيوطي على هامشه ، الاشموني ٢/١٦٣-١٦٤ .
(٣٢٧) مجالس ثعلب ١/٢٤٩ ، الصاحبي ١٥٤ ، الانصاف المسألة ٣٩ .
(٣٢٨) قال ابن مالك :
لسوى سوى سواء اجعلا — على الأصح ما لغير جعلا
وانظر : التسهيل ١٠٧ ، التصريح ١/٣٦٢ .
(٣٢٩) ابن الناظم على الكافية ق٣٣ .

رأي سيبويه ، وناقشه ورده[٣٣٠] .

والظاهر ان سوى وسواء ، تأتيان ظرفا غالبا ، وكغير قليلا ، وهو ما قال به الرماني والعكبري ، وتابعهما فيه ابن هشام[٣٣١] .

حروف الاضافة (مِنْ) :

وذهب الى أنَّ (مِنْ) تجيء لابتداء الغاية في المكان ، وفي الزمان أيضا ، وفاقا للكوفيين[٣٣٢] وأبيه[٣٣٣] . قال : « والمختار أنَّه (يعني مجيء من) لابتداء الغاية في الزمان كقوله تعالى : (مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ)[٣٣٤] وقولهم فمعناه من تأسيس أول يوم لا يرد ذلك ، اذ لابد من تقدير وقت تأسيس لأن المصادر ليست بأمكنة ، وقد جاء ذلك في الحديث كثيرا كقول أنس بن مالك : فمطرنا من الجمعة الى الجمعة ، ومنه قول الشاعر يصف السيوف والدروع :

---

(٣٣٠) انظر : الشرح ١٢١ـ١٢٢ .

(٣٣١) انظر : اوضح المسالك ١١٣ . وعجيب أمر أبي حيان في منهج السالك ١٧٣ ، فبعد ان أورد شواهد استشهد ابن مالك بها على صحة منهبه قال : «وانما كثَّر الناظم الشواهد لأنه ذهب مذهبا قلَّ ان يتبع عليه لأن مستقرىء اللغة وعلم النحو لا يكاد أحد منهم ذهب الى مقالته بل هي عندهم منصوبة على الظرف هكذا نص الناس» . أقول : ألا يكفي لصحة ماذهب اليه ابن مالك ماورد في شعر العرب وما جاء في الحديث الشريف ، وهو كثير ، يوجب القياس عليه ؟ ألم يقل أبو حيان نفسه في مجيء (من) لابتداء الغاية في الزمان ، استنادا على مجيئها في القرآن الكريم كثيرا توجب القياس عليه . وسيأتي نصه .

(٣٣٢) أنظر : الانصاف ١/٣٧٠ مسألة ٥٤ ، الرضي ٢/٢٩٨ ، التسهيل ١٤٤ ، أوضح المسالك ١٩٨ . وقد ذكر خالد الازهري في التصريح ٢/٨ والسيوطي في الهمع ٢/٣٤ أن المبرد وافق الأخفش والكوفيين في مجيء من لابتداء الغاية في الزمان ، وعند رجوعي للمقتضب (١/٤٤ ، ٤/١٣٦) لم أجد مايؤيد قولهما ، ففي هذين الموضعين دلت أقواله وامثلته على أن من لابتداء الغاية في المكان .

(٣٣٣) التسهيل ، شرحه ق١٥٩ـ١٦٠ .

(٣٣٤) التوبة/١٠٨ .

تُخَيِّرْنَ مِنْ أَزْمَانِ يَوْمِ حَلِيمَةٍ
إِلَى الْيَوْمِ قَدْ جُرِّبْنَ كُلَّ التَّجَارِبِ(٣٣٥)

ورأي الكوفيين هو السديد المنسجم مع منطق اللغة ، لا منطق النحاة البصريين ، الذي الجأهم الى هذا التأويل والتقدير البعيد عن روح اللغة ، فعندما لم يستطيعوا رد نصوص فصيحة ، ندت عن قواعدهم العقلية ، تأولوها ، وتعسفوا في تأويلهم .

ولأبي حيان رأي وجيه يحسن بنا ذكره . قال : « ومن على الزمان في القرآن ، واشعار العرب ، وكثر كثرة توجب القياس ، وتأويل البصريين مع كثرته ليس بشيء »(٣٣٦) .

الاضافة :

ذهب سيبويه ، الى انه لا يجوز اضافة المضاف الى ضمير الموصوف الا في ضرورة الشعر . قال : «وقد جاء في الشعر حسنة وجهها ، شبهوه بحسنة الوجه ، وذلك رديء لأنه بالهاء معرفة كما كان بالألف واللام ، وهو من سبب الأول ، كما أنه من سببه بالألف واللام . قال الشماخ :

أَمِنْ دِمْنَتَيْنِ عَرَّسَ الرَّكْبُ فِيهِمَا
بِحَقْلِ الرُّخَامَى قَدْ عَفَا طَلَلاهُمَا

أَقَامَتْ عَلَى رَبْعَيْهِمَا جَارَتَا صَفاً
كُمَيْتَا الأَعَالِي جَوْنَتَا مُصْطَلاهُما»(٣٣٧)

---

(٣٣٥) شرح ابن الناظم على الكافية الورقة ٨٢ ، الشرح ١٤١ . وقد نص سيبويه ٣٠٧/٢ على (من) تكون لابتداء الغاية في الاماكن . وانظر أيضا : الجمل ١٥٠ ، شرح ابن الخبازق ٣٤ . وقد ذكر ابن هشام في المغني ٣١٩/١ ردا للسهيلي قريبا من رد ابن الناظم .

(٣٣٦) منهج السالك ٢٣٨ .

(٣٣٧) الكتاب ١٠٢/١ . وانظر : المقتضب ١٥٩/٤ ، ابن يعيش ٨٤/٦ـ٨٩ ، الرضي ١٩٣/٢ ، الجامي على الكافية ١٩١ـ١٩٢ ، التصريح ٨٤/٢ـ٨٥ .

وأجاز الكوفيون ذلك في السعة .

وقد أورد ابن الناظم رأي سيبويه ، ومـا استشهد به ، ورأي الكوفيين وصحَّح مذهبهم ، واستشهد على ذلك بالاحاديث النبوية فقط . قال : «وأجازه الكوفيون وهو الصحيح لوروده في الحديث كقوله صلى الله عليه وسلم في حديث أم زَرْع : (صُفْرُ وُشَاحِها) .. ، وفي حديث الدجال : (أَعْوَرُ عَيْنِهِ اليُمْنَى) ، وفي وصف النبي صلى الله عليه وسلم (شَثْنُ أَصَابِعِه) .. ، ومع جوازه ففيه ضعف لأنه يشبه اضافة الشىء الى نفسه»[٣٣٨] .

والحق مع ابن الناظم في متابعته للكوفيين ، لورود ما منعه البصريون في الحديث الشريف .

التوكيـد :

ذهب البصريون[٣٣٩] الى أن توكيد النكرة بغير لفظها غير جائز ، سواء أكانت محدودة أم غير محدودة مثل : يوم وليلة وشهر وحول ، مما يدل على مدة معلومة المقدار ، وذهب الكوفيون الى أنه يجوز توكيدها بغير لفظهـا اذا كانت محدودة . أما النكرة غير المحدودة ، كحين ووقت وزمان مما لا يصلح للقليل والكثير فلا ، لعدم الفائدة في توكيدها .

وقد صوَّب ابن الناظم ما ذهب اليـه الكوفيون . قال : «وقول الكوفيين أولى بالصواب لصحة السماع بذلك ، ولأن في توكيد النكرة المحدودة فائدة كالتي في توكيد المعرفة فان من قال صمت شهرا قد يريد جميع الشهر وقد يريد أكثره ففي قوله احتمال فاذا قال صمت شهرا كله ارتفع الاحتمال وصار كلامه نصا على مقصوده ، فلو لم يسمع من العرب لكان جديرا بأن يجوز قياسا فكيف به واستعماله ثابت كقوله :

---

(٣٣٨) الشرح ١٧٥ .

(٣٣٩) انظر : الانصاف ، المسألة ٦٣ ، الرضي ١/ ٣١٠ ، ابن عقيل ١٦٨/٢ ، التصريح ٢/١٢٤ـ١٢٥ ، الاشموني ٣/٧٩ ، الهمع ٢/١٢٤ .

تَحْمِلُنِي الذَّلْفَاءُ حَوْلاً أَكْتَعَا

وقول الآخر :

إِنَّا إِذَا خطَّافُنَا تَقَعْقَعَا

قَدْ صَرَّتِ البَكْرَةُ يَوْماً أَجْمَعَا

وقول الآخر :

لٰكِنَّهُ شَاقَهُ أَنْ قِيلَ ذَا رَجَبٌ

يَا لَيْتَ عِدَّةَ حَوْلٍ كُلِّهِ رَجَبُ»(٣٤٠)

ان ما احتج به ابن الناظم ، للكوفيين ، يجعلنا نقطع بصواب مذهبهم .

عطف البيان :

ذهب جمهور البصريين الى امتناع كون عطف البيان ومتبوعه نكرتين ، وجوزه الكوفيون والفارسي ، وابن جني والزمخشري وابن عصفور وابن مالك(٣٤١) . ورد ابن الناظم المانعين بقوله : «وليس قول من منع ذلك بشيء لأن النكرة تقبل التخصيص بالجامد كما تقبل المعرفة التوضيح به كقولك :

---

(٣٤٠) الشرح ١٩٨ . وفي مجالس ثعلب ٢/٤٠٧ ، ورد البيت الاخير من قصيدة لعبدالله بن مسلم بن جندب ، وروايته فيه :

لكنه شاقه أن قيل ذا رجب   يا ليت عدة دهري كله رجبا

وقد جاء البيت كما رواه ابن الناظم في الانصاف ٢/٤٥١ ، واسرار العربية ٢٩٠ ، والهمع ١/١٣٤ .

(٣٤١) انظر:التسهيل ١/١١ .انظر ايضا شرح ابن‌عقيل ٢/١٧٤ـ١٧٥، شرح التصريح ٢/١٣١ ، شرح الاشموني ٣/٢٨٧ ، الهمع ١/١٢١ . ولم أجد في المقرب لابن عصفور ١/٢٤٨ ما يشير الى موافقته للكوفيين في هذه المسالة ، وتجويزه مجيء عطف البيان ومتبوعه نكرتين ، بل هو صريح بأن يكون عطف البيان معرفة . أما الزمخشري ففي الكشاف ٢/٥٤٦ أعرب «صديد» في الآية الكريمة «يسقى من ماء صديد» عطف بيان لماء . واعرب المانعون «صديد» بدلا، ولم يعرب كلمة «مباركة» في الآية «يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية» . على حين أعرب القرطبي (١٢/٢٥٩)كلمة «مباركة» من الآية المذكورة، بدلا من «شجرة» . انظر : اوضح المسالك ١٨٣ .

لبست ثوبا جبة ، ونظيره من كتاب الله تعالى : ﴿يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لا شَرْقِيَّةٍ وَلا غَرْبِيَّةٍ﴾(٣٤٢) ، وقوله تعالى : ﴿يُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ﴾»(٣٤٣) .

ما لا ينصرف :

ذهب البصريون(٣٤٥) الى أنه لا يجوز منع صرف ماينصرف في ضرورة الشعر . وذهب الكوفيون(٣٤٦) والأخفش والفارسي الى أنه يجوز . وصحح ابن الناظم ماذهب اليه هؤلاء وفاقا لأبيه(٣٤٧) بعد ان ذكر مذهب الفريقين . قال : «والحاكم في ذلك استعمال العرب ...»(٣٤٨) . وأورد أبياتا استشهد بها الكوفيون على صحة مذهبهم .

ان ما احتج به البصريون بمنعهم صرف ما ينصرف ، ب «كونه خروجا عن الأصل ، بخلاف صرف ما لا ينصرف ، فانه رجوع الى الأصل ، فاحتمل في الضرورة»(٣٤٩) حجة عقلية تجانف روح اللغة ، والمأثور من فصيحها .

---

(٣٤٢) النور/٣٥ .
(٣٤٣) ابراهيم/١٦ .
(٣٤٤) الشرح ٢٠٢ .

(٣٤٥) قال المبرد في المقتضب ٣/٣٥٤ : «واعلم ان الشاعر اذا اضطر صرف ما لا ينصرف ، جاز له ذلك لانه انما يرد الاسماء الى أصولها . وان اضطر الى ترك صرف ما ينصرف لم يجز له ذلك ، وذلك لان الضرورة لا تجوز اللحن ، وانما يجوز فيها أن ترد الشيء الى ماكان له قبل دخول العلة» . وانظر أيضا : الكامل ١/٢٥٦ . ولم ترد هذه المسألة في الكتاب ، ووردت فيه (١/٨) مسألة صرف ما لا ينصرف .

(٣٤٦) انظر : الانصاف ٢/٤٩٣ ، مسألة ٧٠ ، ابن يعيش ١/٦٨ ، الرضي ١/٣٤ ، التصريح ٢/٢٢٨ ، الاشموني ٣/٢٨٠ ، الهمع ١/٣٧ . قد لا ينصرف .

(٣٤٧) انظر : التسهيل ٢٢٤ ، وقال ابن مالك في النظم: (...والمصروف قد لا ينصرف) .

(٣٤٨) الشرح ٢٥٩ .
(٣٤٩) الصبان ٣/٢٨٠ .

إعراب الفعل :

ذهب البصريون[٣٥٠] الى أن الأفعال المضارعة ترفع ، لأنها في موضع الاسماء . وذهب الكوفيون عدة مذاهب ، أشهرها مذهب الفراء ، وهو أن الرافع له ، التجرد عن الناصب والجازم[٣٥١] .

وقد كتب لمذهب الفراء أن يشيع في الدراسات النحوية المتأخرة خاصة ، حتى يومنا هذا . وعندي أن السبب في ذلك يرجع الى أن أهم نحويين في القرن السابع ، كتب لكتبهما أن تنتشر في البيئات النحوية ، وتعتمد أساسا لمجمل النشاط النحوي منذ ذلك القرن ، هما ابن الحاجب ، وابن مالك ، اللذان تابعا الفراء ، ومن ثم شاع مذهبه عند شراح كتبهما ، ومنهم ابن الناظم، فقد صحح مذهب الفراء ورد مذهب البصريين ، بكلام طويل ، اتسم بالروح المنطقية المعهودة في دراسته النحوية[٣٥٢] .

---

(٣٥٠) انظر : الكتاب ١/٤٠٩ـ٤١٠ ، المقتضب ٢/٥ ،الاصول ٢/١٥١ .

(٣٥١) انظر : الانصاف ٢/٥٥٠ ، أسرار العربية ٢٨ـ٢٩ ، ابن يعيش ٧/١٢ ، الرضي ٢/٢١٤ـ٢١٥ ، الاشموني ٣/٢٨١ـ٢٨٢ ، الاشباه والنظائر ١/٢٤٣ـ٢٤٤ ففيه سبعة آراء مختلفة للنحاة في رفع الفعل المضارع ، وبعد أن عدّها ذكر قول أبي حيان : «وليس لهذا الخلاف فائدة ولا ينشأ عنه حكم منطقي» . وانظر الهمع ١/١٦٤ـ١٦٥ . وقد أعاد فيه السيوطي قول أبي حيان.

(٣٥٢) أنظر : شرح الكافية لابن الناظم ق٦٦ ، الشرح ٢٦٠ـ٢٦٣ ، وشرح التسهيل ق٢١٦ .

الفصل الثاني

موقف ابن الناظم من ابن الحاجب ومن الناظم

تأثر ابن الناظم بأبيه تأثرا كبيرا ، في دراسته النحوية . وشكل موقفه منه متابعة له ومخالفة ، معلمة بارزة من معالم نحوه . ومما مر بنا ، يمكننا أن نتبين ملامح مرحلتين تتميز إحداهما عن الأخرى في طائفة من المعالم ، في حياته العلمية تبعا لموقفه من أبيه ، يمكن أن نُسمي أولاهما : مرحلة التأثر بأبيه ، والتبعية له ، وثانيتهما : مرحلة استقلاله عنه في نشاطه النحوي .

وكان شرحه على كافية ابن الحاجب من نتاج مرحلته الأولى . فقد ألفه وأبوه حي ، كما مر بنا ، وكان صريحا في قوله في المقدمة انه مما قيده معنى عن أبيه[(١)] . فهو في الحقيقة صدى لآراء أبيه ، فبتأثير منه ، وبهدى من توجيهاته ، نقد كثيرا مما ذهب اليه ابن الحاجب ، حتى اننا نستطيع أن نقول أن هذا الكتاب لم يؤلف الا للطعن في آراء ابن الحاجب لا لشرح كافيته . فهو يكاد الا يتفق مع ابن الحاجب في جميع المسائل النحوية التي تناولها بالتعليق وفاقا لأبيه ، وقد مرت طائفة منها[(٢)] . ولم أجد في هذا الشرح كله الا مسألة واحدة وافق فيها ابن الناظم ابن الحاجب صراحة . وهذه المسألة هي : أن «لو» تكون للشرط في المضي أم في المضي والمستقبل ؟ فقد ذهب ابن الحاجب الى أن «لو» تكون للشرط في المضي[(٣)] ووافقه ابن الناظم[(٤)] خلافا

---

(١) انظر (٦٥–٦٦) من هذا البحث .

(٢) انظر (٨٥–١٠٥) من هذا البحث .

ومن الجدير بالذكر ان ابن الناظم لم يذكر اسم ابن الحاجب في شرحه على الالفية .

(٣) مجموع مهمات المتون ٤٢٧ .

(٤) ابن الناظم على الكافية ق٩٣ ، الشرح ٢٧٧ ، شرح التسهيل ق٢٢٩ .
وانظر ايضا : شرح الاشموني ٤/٣٥–٣٦ .

لأبيه[٥] الذي ذهب الى أنها قد تلي فعلا مستقبلا نحو :

وَلَوْ أَنَّ لَيْلَى الأَخْيَلِيَّةَ سَلَّمَتْ
عَلَيَّ وَدُونِي جَنْدَلٌ وَصَفَائِحُ
لَسَلَّمْتُ تَسْلِيمَ البَشَاشَةِ أَوْ زَقَا
إِلَيْهَا صَدًى مِنْ جَانِبِ الْقَبْرِ صَائِحُ

كان ابن مالك يطعن في ابن الحاجب ويقول عنه : « أنه أخذ نحوه عن صاحب المفصّل ، وصاحب المفصّل نحوي صغير»[٦] .

ولقد أملى موقف المتابعة لأبيه في المرحلة الأولى من دراسته النحوية ، موقف المخالفة لابن الحاجب ، ولذلك أدرجت موقفه من أبيه ومن ابن الحاجب في هذا الفصل .

أما شرحه على الألفية ، وما شرحه من التسهيل ، فكانا من نتاج المرحلة الثانية من نشاطه النحوي . فقد ألفهما بعد وفاة أبيه[٧] ، أي في زمن لم يعد لأبيه فيه أي أثر مباشر في دراسته النحوية ، ولا يهمه فيه الا الرأي الذي يراه قمينا بأن يأخذ به ، أوافق فيه أباه أم خالفه . فوضوح شخصيته النحوية ظاهرة فيه على خلاف ما عهدناه في شرحه على كافية ابن الحاجب .

لقد تابع ابن الناظم أباه في شرحه على الألفية في كثير من المسائل وخالفه في كثير من المسائل النحوية أيضا .

ان دراستي لطائفة من المسائل التي خالف فيها ابن الناظم ابن الحاجب ، والتي وافق وخالف فيها أباه في هذا الفصل ، تُسهم في الكشف عن تطور الدراسة النحوية عنده ، وتُسهم أيضا في الكشف عن تمكن المنطق من دراسته

---

(٥) قال ابن مالك :
لو حرف شرط في مضي ويقل   ايلاؤها مستقبلا لكن قبل
(٦) نفح الطيب ٢/٤٢٤ .
(٧) انظر (٦٢،٦٤،٧٣) من هذه الرسالة .

النحوية متجسدا ، فيما تجسد ، في عنايته الفائقة بالحدود النحوية منذ المرحلة الاولى من دراسته •

١ ـ موقف ابن الناظم من ابن الحاجب :

وقف ابن الناظم من ابن الحاجب موقف المخـالف له في شرحه على الكافية • ولم يذكر اسمه مطلقا في شرحه على الألفية • ولذا سأورد طائفة من مخالفاته له في شرحه على كافيته •

المرفوعـات :

١ ـ حد المرفوعات : رد ابن الناظم قول ابن الحاجب : «المرفوعات ما اشتمل على علم الفاعلية فيه»[٨] فقال : «وفيه تعريف الشيء ، لأنه أولى جعل الرفع علم الفاعلية ، فكأنه قال : المرفوع ما اشتمل على الرفع • ثم فيه دور ، لأنه أولى جعل الرفع علمـا على الفاعلية ، لتعرف هي به • ثم هاهنا عرّف الرافع وما عداه تابع • وليس ذلك مذهب سيبويه ، ولذلك قدم المبتـدأ في كتابه • والأولى : الرفع علـم ماكان عمدة في الكلام ، فيدخل فيه الفاعل ، والمبتدأ والخبر على سبيل الاصالة»[٩] •

وبمثل رده هذا ، رد ابن الحاجب في حد المنصوبات[١٠] والمجرورات[١١]• ومن رده هذا ، تتبين الطابع المنطقي الغالب على دراسته النحوية •

٢ ـ مفعول ما لم يُسم فاعله :

ورد ابن الناظم استعمال ابن الحـاجب مصطلح «مفعول ما لم يُسـم

---

(٨) مجموع مهمات المتون ٣٨٤ •

(٩) ابن الناظم على الكافية ق١٠ • وكان رد الرضي (٦٣/١) على ابن الحاجب قريبا من رد ابن الناظم عليه • أما ركن الدين الاستربادي فقد أقر ابن الحاجب على ماقاله ، وذلك في شرحه على الكافية ١١٠ •

(١٠) ابن الناظم على الكافية ق٢١ •

(١١) نفسه ق٣٦ •

فاعله»[١٢] بقوله : «الأولى النائب عن الفاعل ...»[١٣] .

ولم يكن دافع ابن الناظم في نقده هذا الا مخالفة ابن الحاجب ، والا ، فانه ذكر «ما لم يسم فاعله» في هذا الشرح نفسه[١٤] . وكذلك في شرحيه على الالفية[١٥] واللامية[١٦] .

٣ ـ وقال ابن الحاجب : «لا يقع المفعول الثاني من باب علمت ولا الثالث من باب أعلمت مفعولا لما لم يسم فاعله»[١٧] . وقد ذكر ركن الدين الاستربادي حجة القائلين بذلك ومنهم ابن الحاجب ، قال : «المفعول الثاني

---

(١٢) مصطلح «ما لم يسم فاعله» مصطلح كوفي . ورد في معاني القرآن للفراء (١/٣٠١) . وأغلب الظن ان النحويين من كوفيين وبصريين جميعا أخذوه منه . ولم يرد هذا المصطلح بهذه الصيغة في الكتاب (١/١٩) ، أما في المقتضب (٤/٥٠) فقد ورد بهذه الصيغة «المفعول الذي لايذكر فاعله» .وقريب من هذه الصيغة ، سمّاه ابن السراج في الاصول (١/٨٦) و (الموجز ٢٩) . أما السيرافي (هامش الكتاب ٢/٢٥١) ، والزجاجي (الجمل ٢١١) فقد استعملا مصطلح الفراء . واستعمل مصطلح الفراء أيضا من الكوفيين ثعلب (مجالسه ١/١١٣ ، ٢٠٨) ، وابن خالويه (اعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم ١٤ ، ١١٤ ، ١١٥ ، ١٥١ ... الخ) . ومما يجدر ذكره هنا ان ابن الخباز سمّاه في شرحه على الفية ابن معط (ق٦٣) ب «الاسم القائم مقام الفاعل» .

(١٣) ابن الناظم على الكافية ق٧ . وذكر الازهري في التصريح (١/٢٨٦) في باب «النائب عن الفاعل» ان أبا حيان قال : «لم أر مثل هذه الترجمة لغير ابن مالك . والمعروف باب المفعول الذي لم يسم فاعله . ولم أجد ماقاله الازهري في منهج السالك (١١١) . ورجح كل من الصبان (حاشيته ٢/٥٧) والخضري في حاشيته على ابن عقيل (١/١٦٧) تسمية ابن مالك ، مع العلم ان ابن مالك نفسه استعمل «مفعول ما لم يسم فاعله» في لامية الافعال (شرحها لابن الناظم ١٦) وفي شرح العمدة ق١١١ . والملاحظ أن الرضي (١/٧٤) وركن الدين (١٤٢) وملا جامي (٤٩) وهم من شراح الكافية ، تابعوا القدماء في تسميتهم ، على حين شهر مصطلح ابن مالك عند شراح الفيته ، وعند الدارسين المحدثين .

(١٤) ابن الناظم على الكافية ٧٣ ، ٧٤ .

(١٥) الشرح ٨٨ ، ٩٠ ، ٩١ .

(١٦) ابن الناظم على لامية الافعال ١٧ .

(١٧) مجموع مهمات المتون ٣٨٦ .

من باب علمت مسند الى المفعول الأول دائما ، بكونهما مبتدأ وخبرا في الأصل. فلو وقع الثاني مقام الفاعل لكان مسندا ومسندا اليـه في حالة واحدة وهو غير جائز • وكذلك لايقع الثالث من باب (أعلمت) نحو : أعلمت زيدا عمرا خير الناس ، موقع الفاعل ، لأن المفعول الثالث مسندا الى المفعول الثاني أبدا • فلو وقع الفاعل لكان مسندا ومسندا اليه في حالة واحدة وانه غير جائز»[١٨] • ورد ابن الناظم على ابن الحاجب بقوله «المختار جوازه إنْ يكن لبس مثل : عُلِـمَ زَيْداً صَالِحُ • وَأُعْلِمَ زَيْداً كَبْشُهُ سَمِينٌ • فان وقع لبس فكما قال»[١٩] • ورأى ابن الناظم هذا موافق لمذهب ابن السراج[٢٠] •

وذهب الرضي[٢١] الى مثل ماذهب اليـه ابن الناظم ، ولكن بتفصيل أبين ، ودقة أكثر •

وعندي ، أن مذهب ابن السراج ومن تابعه ، ومنهم ابن الناظم ، حقيق بأن يؤخذ به ، لقربه من طبيعة اللغة التي اعتمدت أمن اللبس ، أحد الاصول التي تكفل الافهام •

المنصـوبات :

١ ـ المفعول المطلق :

ورد ابن الناظم ابن الحاجب في ذهابه الى أن الفعل في باب المفعول المطلق «يحذف •••• لقرينة جوازا ••• ووجوبا سماعا مثل سقيا ورعيا وخيبة وجدعا وحمدا وشكرا وعجبا»[٢٢] فقال : «ان قُصِـد به معنى الطلب كالأمر والدعاء

---

(١٨) ركن الدين على الكافية ١٤٣ • وانظر ايضا : الجامي على الكافية ٤٩• وقال الرضي (١/٧٤) ان المتقدمين «منعوا من قيام ثاني مفعولي علمت مطلقـا مقام الفاعل •••» • وانظر ايضاً : الـكتاب (١/١٩) ، والمقتضب (٤/٥١) ، والايضاح العضدي ٧٢ ، ٧٣ •

(١٩) ابن الناظم على الكافية ق١٤ ، وانظر ايضا : الشرح ٩١ •

(٢٠) الاصول ١/٨٨ـ٨٩ •

(٢١) الرضي ١/٧٤ •

وشبهه ، كان وجوب حذف فعله قياسا باتفاق لا سماعا»[٢٣] • والطلب عنده «مايرد دعاء أو أمراً أو نهيا أو استفهاما بقصد التوبيخ • أما الدعاء فكقولهم سقيا ورعيا وجدعا وبعدا •••»[٢٤] • وظاهر كلام سيبويه[٢٥] في هذا الباب ، يؤيد ماذهب اليه ابن الناظم اذ انه لم يقصره على السماع • والحق مع ابن الناظم ، لأن الظروف القولية تستدعي عدم ذكر الفعل •

٢ ـ الندبة :

ورد ابن الناظم ابن الحاجب في ذهابه الى أن المندوب اختص بـ «وا»[٢٦] فقال : «قوله : (اختص بـ «وا») ظاهره أنه لم يستعمل في غيره • وقد سمع عن العرب : وا مصيبتاه وشبهه وليس بندبة وقد يكون (وا) للتعجب كقول الشاعر :

وَابِأَبِي أَنْتَ وَفُوكَ الأَشْنَبْ
كَأَنَّمَا ذُرَّ عَلَيْهِ الزَّرنَبُ »[٢٧]

وما ردّ به على ابن الحاجب ، يرد به عليه أيضا • ففي شرحه على

---

(٢٢) مجموع مهمات المتون ٣٨٨ •

(٢٣) شرح ابن الناظم على الكافية ق٢١ •

(٢٤) الشرح ١٠٥ • وكان للرضي في شرحه على الكافية (١/١٠٥) رأي جليل ودقيق في هذه المسألة جدير بأن يذكر • قال شارحا قول ابن الحاجب «وجوبا سماعا» : «أي بعضه يسمع حذفه وجوبا سماعا ولا يقاس عليه ، وبعضه يقاس عليه في وجوب الحذف قياسا ، وأقول والذي أرى ان هذه المصادر وامثالها وان لم يأت بعدها ما يبينها ويعين ما تعلقت به من فاعل أو مفعول أما بحرف جر أو باضافة المصدر اليه ، فليست مما يجب حذف فعله بل يجوز نحو سقاك الله ورعاك الله رعيا وجدعك جدعا وشكرت شكرا وحمدت حمدا • وفي نهج البلاغة في الخطبة البكالية (نحمده على عظيم احسانه ونير برهانه ، ونوامي فضله وامتنانه ، حمدا يكون لحقه اداء) ••» • وانظر ايضا : ركن الدين على الكافية ١٨٨ •

(٢٥) الكتاب ١/١٥٦ـ١٥٧ •

(٢٦) مجموع مهمات المتون ٣٩١ •

(٢٧) ابن الناظم على الكافية ق٢٥ •

الالفية ، لم يذكر استعمالا لـ «وا» الا في الندبة[٢٨] .

وأحسب أن الذي جعل ابن الحاجب لا يذكر استعمالات «وا» جميعها كون كافيته متنا مختصرا ، وليس له مندوحة من أن يهمل طائفة من القضايا النحوية ، اذا كانت ثانوية كهذه القضية ، ولكن ماعذر ابن الناظم اذا أهملها في شرحه ؟ إنّ روح المخالفة لابن الحاجب ظاهرة في نقده في هذه المسألة كما هو الحال في كثير من المسائل الاخرى .

٣ ـ المفعول فيه :

وذهب ابن الحاجب الى أنّ الدار في نحو : «دخلت الدار» انتصب على الظرفية[٢٩] ، وفاقا لسيبويه[٣٠] ونقض عليه ابن الناظم ما ذهب اليه ، وعد « الدار » في المثال المار ذكره ، مفعولا به[٣١] ، وفاقا للجرمي[٣٢] والمبرد[٣٣] والفارسي[٣٤] .

٤ ـ المفعول معه :

ورد ابن الناظم ابن الحاجب في ذهابه الى أنه تعين جر عمرو في مالزيد وعمرو ، لأن الفعل معنى[٣٥] . فقال : « لم يتعين ، بل هو أولى . نص على ذلك سيبويه فيجوز مالزيد وعمرا وعمرو ، ولكن الثاني أولى »[٣٦] .

---

(٢٨) الشرح ٢١٩ .

(٢٩) مجموع مهمات المتون ٣٩٢ .

(٣٠) الكتاب ١/١٥ ، ١٦ ، ٢٠٦ . وانظر ايضا : الاصول ١/٢٠٤ .

(٣١) ابن الناظم على الكافية ق٧٢ . وانظر أيضا : شرح العمدة ق١٠٩ .

(٣٢) الامالي الشجرية ١/٣٦٨ ، الرضي ١/١٧٠ .

(٣٣) المقتضب ٤/٣٣٧ـ٣٣٨ . وقد ذكر الشيخ عضيمة رد ابن ولاد على المبرد انتصارا لسيبويه .

(٣٤) الايضاح العضدي ١٧٠ـ١٧١ .

(٣٥) مجموع مهمات المتون ٣٩٣ .

(٣٦) ابن الناظم على الكافية ق٢٨ . وانظر الكتاب ١/١٥٦ . قال سيبويه: «... ومن نصب ايضا قال ما لزيد وأخاه يريد ماكان لزيد وأخاه يريد ماكان شان زيد وأخاه يقع في هذا المعنى ههنا فكأنه قد كان تكلم بـه ومن ثم قالوا حسبك وزيدا لما كان فيه معنى كفاك ...» .

وأسد من هذا الرد ، كان رد الرضي عى ابن الحاجب • قال : « قال المصنِّف (يعني ابن الحاجب) العطف واجب فيه اذ هو الأصل فلا يصار الى غيره لغير ضرورة ، وليس بشيء لأن النص على المصاحبة هو الداعي الى النصب ، وقد يكون الداعي الى النصب ضروريا ولو سلمنا أنه ليس بضروري قلنا لم لايجوز مخالفة الأصل لداع ، وان لم يكن ضروريا ؟ وقال غيره العطف هو المختار مع جواز النصب • والأولى أن يقال إنْ قصد النص على المصاحبة وجب النصب(*) والا فلا »[٣٧] •

٥ ـ الحال :

الأصح عند ابن الحاجب ألا يتقدم الحال على المجرور[٣٨] ، وفاقا لسيبويه[٣٩] وجمهور البصريين • ونقض عليه ابن الناظم رأيه بأن قال :

« والمختار جوازه • قال الشاعر :

غَافِلاً تَعْرِضُ الْمَنِيَّةُ لِلْمَرْ
ءِ فَيُدْعَى وَلاَتَ حِينَ إِبَاءِ

ومنه :

مَشْغُوفَةً بِكَ قَدْ شُغِفْتُ وَإِنَّمَا
حُمَّ الفِرَاقُ فَمَا إِلَيْهِ سَبِيلُ

لأن العمل للفعل وهو عامل متصرف ، والجار والمجرور مفعول فكما لايجوز تقديمها على المفعول فكذلك الجار والمجرور ، ولأن قائل البيت جوزها قبل الفعل فبعده أولى »[٤٠] •

(*) في المطبوع «النص» والصحيح ما اثبته •

(٣٧) الرضى ١/١٧٩ـ١٨٠ • وانظر ايضا : ركن الدين على الكافية ٢٧٤ ، وما ذكره المحقق في الحاشية •

(٣٨) مجموع مهمات المتون ٣٩٤ •

(٣٩) الكتاب ١/٢٧٧ • قال سيبويه : «••• قائما برجل لايجوز لانه صار قبل العامل في الاسم وليس بفعل والعامل الباء •••» • وانظر ايضا : المقتضب ٤/١٧١ ، ٣٠٧ ، الاصول ١/٢٦٠ •

(٤٠) ابن الناظم على الكافية ق ٢٩ •

وما ذهب اليه هو مذهب أبي علي الفارسي وابن كيسان وابن برهان[٤١] وتابعهم عليه ابن مالك[٤٢] ، واستدلوا على صحة دعواهم بقوله تعالى : « وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إلا كَافَّةً لِلنَّاسِ »[٤٣] . وبما ورد من أشعار العرب[٤٤] .

ان ورود الحال متقدما على صاحبه المجرور في القرآن الكريم وفي المأثور الفصيح من أشعار العرب يبيح لنا أن نصحح مذهب ابن كيسان وغيره من المجوزين . وليس بجيد تأويل أبي اسحاق الزجاج من « أَنَّ كَافَّةً لَيْسَ بِحالٍ مِنَ النَّاسِ ... وإنَّمَا هُوَ ... حَالٌ مِنَ الْكَافِ في أَرْسَلْنَاكَ وَالْمُرَادُ كَافّاً إنَّمَا دَخَلَتْهُ الْهَاءُ لِلْمُبَالَغَةِ فِي الوَصْفِ ... »[٤٥] . وهو تعسف على حد قول الرضي[٤٦] .

الاضافة :

١ ــ ما الذي تفيده الاضافة اللفظية ؟

ورد ابن الناظم ابن الحاجب في ذهابه الى أن الاضافة اللفظية لاتفيد الا تخفيفا في اللفظ[٤٧] بأن قال : « قد تفيد تخصيصا لأن نحو مررت برجل حسن الوجه أخص من برجل حسن »[٤٨] .

---

(٤١) الرضي ١/١٨٩ .
(٤٢) التسهيل ١١٠ ، شرحه ق ١٢٤ــ١٢٥ ، شرح العمدة ق ١١٥ ، الشرح ١٢٨ .
(٤٣) سبأ/٢٨ .
(٤٤) الأمالي الشجرية ٢/٢٨٠ــ٢٨١ .
(٤٥) الامالي الشجرية ٢/٢٨١ .
(٤٦) الرضي ١/١٨٩ . وانظر ايضا : مجمع البيان ٨/٣٩١ ، الكشاف ٣/٥٨٣ ، القرطبي ١٤/٣٠٠ ، البحر المحيط ٧/٢٨١ ، الصبان ٢/١٨٣ ، الشهاب على البيضاوي ٧/٢٠٣ــ٢٠٤ .
(٤٧) مجموع مهمات المتون ٣٩٨ .
(٤٨) ابن الناظم على الكافية ق ٣٦ .

ان روح الخلاف لابن الحاجب هي التـــي أملت اعتراض ابن النـاظم عليه • ذلك انه في شرح الألفية قال : « وأما المضاف اضافـــة لفظيـــة فلا يتخصص بالاضافة • ولا يتعرف بل هو معها على ابهامه قبل لأن المقصود منها امـــا مجرد تخفيف اللفظ بحذف التنوين أو نون التثنيـة أو الجمـــع على حدها ••• وأما ذهاب قبح في الرفع والنصب على التحقيق كمـــا في الحسن الوجه أو التشبيه كما في الضارب الرجل ••• »(٤٩) • ولم يذكر ان الاضافة الفظية تفيد التخصيص •

٢ ـ المضاف الى ضمير يعود الى اسم فيه الف ولام :

ورد ابن الناظم ابن الحاجب في ذهابه الى أنه ضعف اضـــافة عبدها في قوله : « الْوَاهِبُ المائَةِ الْهِجَانِ وَعَبْدِهَا »(٥٠) وفاقا لســـيبويه(٥١) فقال : « لم يضعفه الأئمة لأن عبدها مضاف الى ضمير ما فيه الألف واللام ، ولو قال الواهب عبد المائة لجاز كما يجوز الواهب المائة لأن المضاف الى ضمير ما فيه الألف واللام حكمه حكمه »(٥٢) •

وقول ابن الناظم هنا هو قول المبرد(٥٣) ، وهو الصحيح •

---

(٤٩) الشرح ١٤٨ •

(٥٠) مجموع مهمات المتون ٣٩٨ •

(٥١) الكتاب ١/٩٤ • قال الاعلم في شرحه لبيت الاعشى :

الوَاهِبُ المـــائَةَ الْهِجَانِ وَعَبْدِهـــا
عُـــوذاً تُزَجَّى بَيْنَهَـــا أَطْفَالُهَـــا

«••• وقد غلط سيبويه في استشهاده بهذا البيت لأن العبد مضاف الى ضمير المائة وضميرها بمنزلتها فكأنه قال الواهب المائة وعبد المائة فهذا جائز باجماع وليس مثل الضارب الرجل وعبدالله لأن عبدالله علم كالمفرد لم يضف الى ضمير الاول فيكون بمنزلته ••» • وانظر : الاصول ١/١٥٩ ، ٢/٣٢٢ ، الخزانة ٢/١٨١ ، الدرر اللوامع ٢/٥٧ •

(٥٢) ابن الناظم على الكافية ق ٣٧ •

(٥٣) المقتضب ٤/١٦٢ـ١٦٤ •

المبنـــي :

١ ـ ما الموصولة :

وذهب ابن الحاجب الى أن « ما » الموصولة تأتي صفة[٥٤] • ونقض ابن الناظم ما ذهب اليه ، فقال : « ما لاتكون صفة وهي في ضربا ما ، وعنـــدي شيء ما زائدة ، عوضا من الصفة ، وهي حرف وليس باسم بل هي كالواقعة بعد حيث عوضا عن مضاف اليه كغيرها ، فلما أريد اعمالها الجزم حذف منها المضاف اليه ، وعوض عنه ما • هذا قول المحققين »[٥٥] • والمستفاد مما ذكره الهروي[٥٦] • والرضي[٥٧] يؤيد ماقاله ابن الناظم •

وعندي أن ماقاله ابن الحاجب هو الصحيح ، لأن « ما » كلمة دخلت في الجملة لتؤدي وظيفة لغوية ، قصدها المتكلم • أما القول بالزيادة ، فهو ممـــا لايقبل لغويا[٥٨] • وعليه فاذا جاءت « ما » بعد نكرة ، وصفتها •

٢ ـ أي وأيـــة :

وجعل ابن الحاجب أي وأية كـ « من » ، وعليه فلا تأتي صفة عنده[٥٩] • ورد عليه ابن الناظم بقوله : « قد تكون صفة أيضـــا إذا وقعت بعـــد نكرة كقولك : مررت برجل أيِّ رجل ••• »[٦٠] • وقد شارك الرضي[٦١] بن

---

(٥٤) مجموع مهمات المتون ٤٠٦ •

(٥٥) ابن الناظم على الكافية ق ٤٩ •

(٥٦) الازهية ٧٥ـ٧٦ • وانظر ايضا : المغني ٣١٤/١ •

(٥٧) الرضي ٥١/٢ •

(٥٨) انظر (٩٠) من هذا البحث •

(٥٩) مجموع مهمات المتون ٤٠٦ •

(٦٠) ابن الناظم على الكافية ق ٤٩ • وانظـــر الكتاب ٣٠٢/١ • قال سيبويه : «وسألته (يعني الخليل) عن قوله (وهو الراعي) :

فَأوْمَأْتُ إيمَـــاءً خَفِيـــا لِحَبْتَرٍ

ولله عَيْنَـــا حَبْتَرٍ أيَّمَـــا فَتَـــى

فقال أيما تكون صفة للنكرة وحالاً للمعرفة •••» •

(٦١) الرضي ٥٢/٢ • وانظر ايضا : الجامي على الكافية ١٧٨ •

الناظم نقده لابن الحاجب ، والحق معهما فيما قالاه ، لأن ما بعد النكرة صفة لها باتفاق .

حروف الاضافـة :

١ ـ الـى :

ونقض ابن الناظم قول ابن الحاجب : « (الى) للانتهاء ، وبمعنى مع قليلا »[٦٢] فقال : « قوله الى بمعنى مع ليس بتحقيق ، وانما الى غاية ، يجوز دخول ما بعدها ، ويجوز ألا يدخل ، ويُعرف بالقرائن ، ولو صح اطلاق الى بمعنى مع لصح جئت الى زيد بمعنى مع زيد ، ولم يقل به أحد . وأما قوله تعالى (إلىٰ الْمَرَافِقِ)[٦٣] فانما عرف دخول المرافق ببيان النبي صلى الله عليه وسلم ، وقوله تعالى (أَمْوَالَهُمْ إلىٰ أَمْوَالِكُمْ)[٦٤] أي مضمومة الى أموالهم لانهم لم يفرزوها بل ضموها الى أموالهم[٦٥] .

وما ذهب اليه ابن الناظم ، في معنى الى في قوله تعالى : «أموالهم لى أموالكم» هو مستفاد من كلام الزمخشري[٦٦] على قوله تعالى من الآية الكريمة ، وهو ما عليه القرطبي[٦٧] وابن مالك[٦٨] ، والرضي[٦٩] في كلامهم على الآية الكريمة نفسها . فقد نصوا على أن (الى) على بابها فيها ، أي أنها للانتهاء ، وهو المستفاد أيضا من كلام أبي حيان[٧٠] . وما ذهبوا اليه هو الصحيح .

---

(٦٢) مجموع مهمات المتون ٤٢٣ .
(٦٣) المائدة/٦ .
(٦٤) النساء/٢ .
(٦٥) شرح ابن الناظم على الكافية ق ٨٣ .
(٦٦) الكشاف ١/٤٦٥ـ٤٦٦ .
(٦٧) القرطبي ٥/١٠ .
(٦٨) شواهد التوضيح ١٧٦ .
(٦٩) الرضي ٢/٣٠١ .
(٧٠) البحر المحيط ٣/١٦٠ .

٢ ـ اللام :

اختلف النحويون في معنى اللام مع القول في نحو قوله تعالى : « وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ »[٧١] . فذهب ابن الحاجب الى انها بمعنى «عن»[٧٢] ووافقه الرضي[٧٣] . وقيل انها «لام التبليغ والتفت عن الخطاب الى الغيبة»[٧٤] ورده الرضي بقوله : «ولو كانت كاللام في قولك : قلت لزيد لا تفعل لقال ما سبقتمونا»[٧٥] وذهب ابن مالك[٧٦] الى أنها لام التعليل ، وفاقا للزمخشري[٧٧] .

ورد ابن الناظم ماذهب اليه ابن الحاجب فقال : «انما يقال اللام مثلا بمعنى عن اذا صح أن تكون بمعناها . وقول العامة قلت عني كذا ، وقلت عني كذا كلام نبطي لا يُعْرَف للعرب»[٧٨] . وفي هذا الرد نظر لجواز حمله على التضمين . أما القول بأن اللام تفيد التعليل ، أو التبليغ ، فهو بعيد ، واسلم منه قول ابن الحاجب والرضي .

---

(٧١) الاحقاف/١١ .

(٧٢) مجموع مهمات المتون ٤٢٣ .

(٧٣) الرضي ٢/٣٠٦ .

(٧٤) المغني ١/٢١٣ .

(٧٥) الرضي ٢/٣٠٦ .

(٧٦) المغني ١/٢١٣ .

(٧٧) الكشاف ٤/٣٠٠ . وقال أبو حيان في البحر المحيط (٨/٥٩) ، في شرحه الآية الكريمة المار ذكرها «... أي لأجل الذين آمنوا واللام للتبليغ» وفيما قاله نظر ، فكلامه : لأجل الذين آمنوا ، يفيد ان اللام للتعليل ، ويقول بعد ذلك انها للتبليغ . وافاد كلام البيضاوي في تفسيره (٨/٢٩) ان اللام في الآية الكريمة للتعليل . ورجعت الى مجمع البيان (٩/٨٤) وتفسير القرطبي (١٦/١٨٩ـ١٩٠) فلم يسعفاني برأي يحدد معنى اللام في الآية .

(٧٨) ابن الناظم على الكافية ق ٨٤ . ولم أجد في الصاحبي ١١٢ ، ولا في الازهية ٢٩٨ ، ما يؤيد قول ابن الناظم .

٣ - رب :

وخالف ابن الحاجب في قوله : ان رب «مختصة بنكرة موصوفة على الاصح»[٧٩] وفاقا لابن السراج[٨٠] وأبي علي ومن تبعهما[٨١] . فقال : «الاصح أن الوصف غير لازم ، واستشهد سيبويه على ذلك بقوله :

« فَيَا رُبَّ مَوْلودٍ وَلَيْسَ لَهُ أَبٌ » .

والواو لا تزاد هنا حتى يجعل ليس له أب صفة فتعين أن كون الجار والمجرور بعدها ليس موصوفا»[٨٢] .

وليس رد ابن الناظم بجيد ، لأن ما احتج به ، هو محض تلفيق على سيبويه ، اوقعه أبوه فيه في أغلب الظن[٨٣] .

دخول الهمزة على (لا) النافية :

ونقض ابن الناظم رأي ابن الحاجب في ذهابه الى أن (لا) التي لنفي الجنس اذا دخلت عليها الهمزة لم يتغير عملها ومعناها الاستفهام والعرض والتمني[٨٤] ، فقال : «لا تجيء (يقصد الا) للعرض كما قال لأن التي للعرض

---

(٧٩) مجموع مهمات المتون ٤٢٣ . وانظر ايضا : المغني ١/١٣٦ .
(٨٠) الاصول ١/٥٠٩ .
(٨١) الرضي ٢/٣٠٨ .
(٨٢) ابن الناظم على الكافية ق ٨٥ .
(٨٣) شواهد التوضيح ١٠٥ . يلاحظ ان ابن الناظم نسب الى سيبويه ما لم يقله ، فبالرجوع الى الكتاب تبين لي :
١ - أن رواية البيت فيه كما يأتي في ١/٣٤١ :
أَلا رُبَّ مَوْلُودٍ وَلَيْسَ لَهُ أَبٌ
وَذِي وَلَدٍ لَمْ يَلْدَهُ أَبَوانِ
وفي ٢/٢٥٨ :
عَجِبْتُ لِمَوْلُودٍ وَلَيْسَ لَهُ أَبٌ ...
٢ - وان موطن استشهاد سيبويه ، في الموضعين ، مخالف لما ذكره ابن الناظم .
(٨٤) مجموع مهمات المتون ٣٩٧ .

تلزم الافعال لأنها طلب كالتحضيض لكن التحضيض أشد توكيدا منه ولذلك يحسن قول العبد لسيده ألا تعطيني ويقبح لولا تعطيني»[٨٥] • وما ذهب اليه ابن الناظم مستفاد من كلام سيبويه[٨٦] ، وهو الصحيح ، على حين تابع ابن الحاجب السيرافي والجزولي فيما ذهبا اليــه ، وردهما الأندلسي بمثل ما قاله ابن الناظم في رده على ابن الحاجب[٨٧] •

ب ـ موقف ابن الناظم من أبيه :

١ ـ متابعــاته :

تابع ابن الناظم أباه في مسائل كثيرة • وهذه طائفة منها :

علّة بناء الأســماء :

ذهب ابن مالك الى أن الشبه الوضعي من علل بناء الأسماء • قال :

وَالاسْــمُ مِنْــهُ مُعْرَبٌ وَمَبْنِــي
لِشَبَــهٍ مِـــنَ الْحُـرُوفِ مُــدْنِي

كَالشَّبَـهِ الْوَضْعِيِّ فِي اسْمَيْ جِئْتَنَـــا
وَالمعَنْوِيِّ فِي مَتَـى وَفِــي هُنَــا[٨٨]

وتابعه ابنه فيما ذهب اليه[٨٩] •

---

(٨٥) ابن الناظم على الكافية ق ٣٥ • وانظر ايضا : الشرح ٧٣ •

(٨٦) الكتاب ١/٣٥٩ •

(٨٧) الرضي ١/٢٤١ • وفي نقل الرضي عن الكتـــاب زيادة لفظـــة «العرض» ، اذ لم أجدها في طبعـــة باريس (١/٣١٣) ، وبولاق (١/٣٥٨) ، وهارون (٢/٣٠٦) •

(٨٨) قال أبو حيان في منهج السالك ٦ : «لم أقف على مراعاة هذا الشبه الوضعي الا لهذا الرجل» • وانظر أيضا : الهمع ١/١٧ •

(٨٩) الشرح ٧ • وذهب الدكتور السامرائي في (النحو العـــربي نقد وبناء ٦٦) ، الى أنّ رأي ابن مالك ، وليد النظر العقلي •

الضمير المحصور ب (إنَّما) :

وتابع ابن الناظم اباه ، فحكم بانفصال الضمير اذا انحصر بعد (إنما)[٩٠] وقد عد ابو حيان ، قول ابن مالك خطأ فاحشا[٩١] ، الا أن ناضر الجيش[٩٢]، وابن هشام[٩٣] انتصرا لابن مالك وردا على أبي حيان .

والحق مع ابن مالك ، لأن المحصور بعد إنَّما ، لابد أن يكون هو الاخير لفظا نحو ، انما قام أنا ، فلو قلنا : انما قمت ، لصار المحصور هو الفعل لا الفاعل ، وهو خلاف المقصود .

الموصول ـ الألف واللام :

حكم ابن مالك بجواز أن يوصل الفعل المضارع بالألف واللام بقلة اختيارا ، تشبيها له بالصفة لأنه مثلها[٩٤] . واستشهد على صحة مذهبه في شرح التسهيل بقول الفرزدق :

مَا أَنْتَ بِالْحَكَمِ التُرْضَى حُكُومَتُهُ

وَلاَ الأَصِيلِ وَلا ذِي الرَّأيِ وَالْجَدَلِ

وبقول طارق بن ديسق[٩٥] .

---

(٩٠) الشرح ٢٣ .

(٩١) التسهيل ـ التمهيد ٥٢ .

(٩٢) نفسه . وناضر الجيش هو : محمد بن يوسف التميمي المصري الحلبي ، ولد سنة ٦٩٧هـ وتوفي سنة ٧٧٨هـ . انظر ترجمته في : الدررالكامنة ٥/٦١ـ٦٢ .

(٩٣) المغني ١/٣٠٩ .

(٩٤) التسهيل ٣٤ . وذكر ابن هشام في المغني (١/٤٩) أن ماذهب اليه ابن مالك هو مذهب الأخفش أيضا .

(٩٥) ورد هذا البيت أول قطعة من ستة أبيات ، في نوادر أبي زيد (٦٦) ، منها :

فَيَسْتَخْرِجِ الْيَرْبُوعَ مِنْ نَافِقَائِهِ

وَمِنْ جُحْرِهِ بِالشَّيحَةِ الْمُتَقَصَّعِ

=

يَقُولُ الْخَنَى وَأَبْغَضُ الْعُجْمِ نَاطِقاً

إلَى رَبِّنَا صَوْتُ الحِمارِ الْيُجَدَّعُ

وبقولـه :

وَلَيْسَ الْيُرَى لِلْخِلِّ مِثْلَ الَّذِي يُرَى

لَـهُ الْخِلُّ أَهْلاً أَنْ يُعَـدَّ خَلِيـلا

وقال : « وعندي ، ان هذا غير مخصوص بالضرورة لتمكن قائل الأول أن يقول ما أنت بالحكم المرضي(٩٦) حكومته ، ولتمكن الثاني من أن يقول الى ربنا صوت الحمار يجدع ، ولتمكن الثالث من أن يقول : ما من يروح ، ولتمكن الرابع من أن يقول : وما من يرى • واذا لم يفعلوا ذلك مع استطاعته ، ففي ذلك اشعار بالاختيار وعدم الاضطرار»(٩٧) •

= وورد بعد ذكر هـذا البيت : «قال : هكـذا رواه أبو زيد • قال وكذا روى صوت الحمار اليجدع • والرواية الجيدة عنده المتقصع والمجدع • وقال لايجوز ادخال الالف واللام على الافعال • فان أريد بها الذي كان افسـد في العربية وكان لا يلتفت الى شيء من هذه الروايات التي تشـذ عن الاجمـاع والمقاييس» • وانظر أيضـا : الاصول ٦١/١ ، الرسمي ١١/١ ، ٣٦/٢ ، ابن عقيل ١٣٦/١ـ١٣٧ ، الهمع ٨٥/١ ، الضرائر ٣٠٠ • ولم يكن الالوسي أمينا في نقله عن شـرح التسهيل لابن مالك • فبين مانقله ، وبين ماهو موجود في الاصل فرق اقتضى التنويه عليه •

(٩٦) هذا لايكون، لأن فيه ارتكاب ضرورة أفظع،وهي حذف لام الكلمة لان (المرضى) مفعول ، ولن يستقيم الوزن بمفعول •

(٩٧) شرح التسهيل ق ٣٤ • وقال الازهري في التصريح (١٤٢/١) ، عند كلامه على قول ابن مالك :

« وَكَوْنُها بِمُعْرَبِ الأَفْعَالِ قَلّ »

« وهو اختيار ثالث في المسألة • فان بعض الكوفيين يجيزونه اختيارا • والجمهور يمنعونه ويخصونه بالضرورة • فالقول بالجواز على قلة قول ثالث • والمدرك مختلف • فابن مالك يرى أن الضرورة ما يضطر اليه الشاعر ولم يجد عنده مخلصا • ولهذا قال لتمكنه من أن يقول المرضي • والجمهـور يرون أن

وقد تبعه ابنه فيما ذهب اليه واستشهد بالبيتين الأولين ، مما استشهد به أبوه[٩٨] • وقد صحح ابن هشام مذهب ابن مالك في أوضح المسالك[٩٩] والمغني[١٠٠] •

ولم يستشهد ابن مالك لتصحيح مذهبه بآيات من القرآن الكريم أو بأحاديث شريفة كما هو ديدنه في كثير من المسائل النحوية التي اجتهد فيها ، ولا بمأثور فصيح من كلام العرب • ولذا أرى أن ماذهب اليه الجمهور ، وهو قصر مجيء الألف واللام مع الظرف والجملة الاسمية والفعلية التي فعلها مضارع ، على الشعر ، هو الصحيح •

كان وأخواتها :

١ ـ مصدر كان :

وتابع ابن الناظم أباه[١٠١] في ذهابه الى أن لكان الناقصة مصدرا • قال في شرح الكافية : «المشهور ان كان الناقصة لا يستعمل لها مصدر • قال شيخنا : المختار عندي أن لها مصدرا يعمل عملها ويقوم مقامها الا أنه لا يستعمل مؤكدا بل عاملا فقط»[١٠٢] • واستشهد على ذلك في شرحه على الألفية بقول الشاعر :

الضرورة ما جاء في الشعر • ولم يجيء في الكلام سواء اضطر الشاعر أم لا فلم يتوارد على محل واحد » •

وزعم بركات في تمهيد التسهيل (٤٨) تبعا للالوسي في الضرائر ٦ أن قول الناظم بالضرورة مأخوذ من كلامه سيبويه • والمستفاد من كلام سيبويه (الكتاب ١/٨ ، ٣٩٠ وغيرهما) لا يؤيد دعوى كل من الالوسي وبركات •

(٩٨) الشرح ٣٥ـ٣٦ •

(٩٩) أوضح المسالك ٣١ •

(١٠٠) المغني ١/٤٩ •

(١٠١) شرح التسهيل ق٥٥ •

(١٠٢) ابن الناظم على الكافية ق٧٧ •

بِبَذْلٍ وَحِلْمٍ سَادَ فِي قَوْمِهِ الْفَتَى
وَكَوْنُكَ إِيَّاهُ عَلَيْكَ يَسِيرُ[(١٠٣)]

٢ ـ ظـل :

وتابع أباه[(١٠٤)] في ذهابه الى أن جميع أفعال باب كان تصح للتمام الا فتىء وليس وزال[(١٠٥)] ، وكان يذهب ، بناء على ذلك ، الى أن ظـل تكون تامة . قال الرضي : «قالوا ولم تستعمل ظل الا ناقصة ، وقال ابن مالك تكون تامة بمعنى طال أو دام والعهدة عليه»[(١٠٦)] .

٣ ـ غدا و راح :

عد ابن الحاجب ، غدا وراح ، أفعالا ناقصة[(١٠٧)] ، وفاقا للزمخشري[(١٠٨)] وابن عصفور[(١٠٩)] ، وقد وافقهما ابن يعيش[(١١٠)] . وقد ردّ ابن الناظم على ابن الحاجب ، وفاقا لأبيه[(١١١)] ، بقوله : «والتحقيق ان هذين ليسا من هذا الباب ، بل هي أفعل تامة والمنصوب بعدها على الحال لأن خبرهما لايصح أن يكون معرفة ، وخبر أفعال هذا الباب هي التي يصح ان يكون معرفة ، فلا يكون حالا لأن شرطه التنكير»[(١١٢)] .

(١٠٣) الشرح ٥٢ ، وانظر ايضا : ابن عقيل ١/٢٣٤ .
(١٠٤) شرح التسهيل ق٥٥ .
(١٠٥) الشرح ٥٣ .
(١٠٦) الرضي ٢/٢٧٤ .
(١٠٧) مجموع مهمات المتون ٤٢٠ .
(١٠٨) المفصل ٢٦٣ .
(١٠٩) المقرب ١/٩٢ .
(١١٠) ابن يعيش ٧/٩٠ . وانظر ايضا : الجامي على الكافية ٢٥٨ .
(١١١) قال ابن مالك في شرح التسهيل (ق٥٦) : « والصحيح انهما ليسا من هذا الباب وانما المنصوب بعدهما حال » . وانظر ايضا : شرح العمدة ق٥٤ ، الرضي ٢/٢٧١ ، الهمع ١/١١٢ .
(١١٢) ابن الناظم على الكافية ق ٧٦ .

وقد فصل الرضي في هذه المسألة فقال : « ونقص ابن مالك من أخوات أصبح غدا وراح فقال هما لا يكونان الا تامين ، وان جاء بعد مرفوعهما منصوب فهو حال كقوله : غَدَا طَاوِيًا يُعَارِضُ الرِّيحَ هافِياً

أقول اذا كان غدا بمعنى مشى في الغداة كقوله تعالى : (أَنِ اغْدُو اعلَى حَرْثِكُم)[١١٣] وراح بمعنى رجع في الرواح ، وهو مابعد الزوال الى الليل نحو : راح الى بيته ، فلا ريب في تمامها ، وأما قوله :

يَرُوحُ وَيَغْدُو وَاهِناً يَتَكَحَّلُ

فان كانا بمعنى يدخل في الرواح والغداة فهما أيضا تامان والمنصوب حال ، وان كانا بمعنى يكون في الغداة والرواح فهما ناقصان ، فلا منع اذن من كونهما ناقصين »[١١٤] .

إنَّ ابن الحاجب وابن مالك وابنه ، وكذلك الرضي ، قد عالجوا هذه المسألة من وجهة نظر عقلية لا لغوية . فقد نظر ابن الحاجب والرضي اليها على أساس من نظرية العامل ، تبعا للبصريين[١١٥] . فعندهم أنَّ كان وأخواتها تأتي تامة ان اكتفت بمرفوعها ، وان لم تكتف بمرفوعها ، أخذت خبرا لها ونصبته تشبيها له بالمفعول ، ولم يعدوه حالا لأنه يأتي معرفة وشرط الحال عندهم أن يكون نكرة ، وحكموا على ما جاء منه معرفة بالشذوذ وأولوه . أما ابن مالك وابنه ، فقد حكما بتمام غدا وراح وبانتصاب المنصوب بعدهما على الحاليَّة لا على الخبريّة ، ولم يعدَّاهما من باب كان ، لأن خبرها عندهما كما هو عند اصحابهما البصريين ، يأتي معرفة ويأتي نكرة . والمنصوب بعد غدا وراح لا يأتي الا نكرة . وليتهما أخذا بمقالة الكوفيين في هذه المسألة[١١٦] .

---

(١١٣) القلم/٢٢ .

(١١٤) الرضي ٢٧١/١ .

(١١٥) ٢١/١ ، ٢٨٠ ، الاصول ٩٣/١ . وانظر أيضاً : الفعل زمانه وابنيته ٥٤ .

(١١٦) الانصاف المسألة ١١٩ ، الهمع ١١١/١ ، الموفي في النحو الكوفي ١٢٢ .

فعدّا المنصوب بعد كان وأخواتها حالا يبين هيئة المرفوع وهو المسند اليه في الجملة ، لا خبرا ، تشبيها له بالمفعول ، وان جاء معرفة • صحيح أن الاكثر مجيء الحال نكرة ، ولكن مجيئها معرفة ، ليس بمخالف لسنن العربية • فقد أجازه الكوفيون ويونس مطلقا ، بلا تأويل ، فأجازوا جاء زيد الراكب(١١٧)• وقد ورد عن العرب مجيء الحال معرفة نحو : أرسلها العراك ، وطلبته جهدك، ومررت به وحده ، ومررت بهم ثلاثتهم وأربعتهم ، الى العشرة ، في لغة أهل الحجاز • ومررت بهم الجماء الغفير ، وقول الشماخ :

أَتَتْنِي سُلَيْمٌ قَضَّهَا بِقَضِيضِهَا
تُمَسِّحُ حَوْلِي بِالْبَقِيعِ سِبَالَهَا(١١٨)

وليس هناك ما يلزمنا بالأخذ بحكم البصريين بالشذوذ على هذه النقول الفصيحة عن العرب أصحاب اللغة ، وان كان لنا أن نؤول هذه المعارف بالنكرات ، فعلى تأويل الخليل • قال سيبويه : « وزعم الخليل حيث مثل نصب وحده وخمستهم أنه كقولك أفردتهم افرادا ، فهذا تمثيل ، ولكنه لم يستعمل في الكلام ••• »(١١٩) •

باب ظن وأخواتها :

وعد ابن مالك «حجا يحجو» من الافعال التي تفيد رجحان الوقوع ، على أن لا تكون « لغلبة ولا قصد ولا رد ولا سوق ولا كتم ولا حفظ ولا إقامة ولا بخل »(١٢٠) • قال أبو حيان : « حجا يحجو للاعتقاد الراجح • ولا أعلم أحدا ذكرها غير هذا الناظم وأنشد :

---

(١١٧) ابن عقيل ٥٣٣/١ ، وفيه ذكر البغداديين ، بدل الكوفيين • أنظر (١٠١) من هذا البحث •
(١١٨) الكتاب ١٨٧/١ ، ١٨٨ ، ٢٤٤ ، ٦٣/٢ •
(١١٩) نفسه ١٨٧/١ •
(١٢٠) التسهيل ٧٠ ، شرحه ق ٧٧ •

قَدْ كُنْتُ أَحْجُو أَبَا عَمْرٍو أَخَا ثِقَةٍ
حَتَّى أَلَمَّتْ بِنَا يَوْماً مُلِمَّاتُ »[١٢١]

وقد تابعه ابنه فيما ذهب اليه[١٢٢] ، كما تابعه كثير من المتأخرين[١٢٣] •

الحــال :

١ ـ مواطن مجيء الجامد حالا :

قال ابن الناظم ، تبعا لأبيه[١٢٤] : «أكثر مايكون الجامد حالا اذا كان مؤولا بالمشتق تأويلا غير متكلف •••»[١٢٥] • وعدد المواطن التي يجيء فيها • ومن تلك المواطن ، أن يكون موصوفا نحو قوله تعالى : « فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَراً سَوِيّاً»[١٢٦] وأن يكون دالا على سعر نحو: بعت الشاء شاة بدرهم ، أو على اصالة الشيء نحو قوله تعالى : «أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِيناً »[١٢٧] ، وهذا خاتمك حديدا ، أو على فرعيته نحو : هذا حديدك خاتما ، أو على نوعه نحو : هذا مالك ذهبا ، أو على كون واقع فيه تفضيل نحو : هذا بسرا أطيب منه رطبا • ولم يسلم ابن هشام والاشموني قوله ، ونعتاه بـ «التكاثف» • وتابعاه فيما يدل على مفاعلة نحو : كلمته فاه الى فيّ ، وبايعته يدا بيد • أو على تشبيه نحو : كر زيد أسدا ، أو على ترتيب نحو : ادخلوا رجلا رجلا •

---

(١٢١) الشرح ٧٥ •
(١٢٢) منهج السالك ٩٠ • وقريب من قول أبي حيان ، قال العيني في شرح الشواهد الكبرى (بهامش الخزانة ٢/٣٧٦ـ٣٧٧) •
(١٢٣) اوضح المسالك ٧٠ ، ابن عقيل ١/٣٦٢ ، الاشموني ٢/٢٠ ، التصريح ١/٢٤٧ـ٢٤٨ ، البهجة المرضية ٥٨ (بهامش ابن عقيل) ، الهمع ٥٨ •
(١٢٤) انظر : الخضري على ابن عقيل ١/٢١٤ ، الاشموني ٢/٧٧ •
(١٢٥) الشرح ١٢٥ •
(١٢٦) مريم/١٧ •
(١٢٧) الاسراء/٦١ •

وأرى ، أن الحق مع ابن هشام[١٢٨] والاشموني[١٢٩] ، لأن التأويل في المواطن المتقدمة متكلّف حقا • ويظهر التكلّف واضحا من تأويلات الصبان[١٣٠] لطائفة من الأحوال المتقدمة • فقد أول «بشرا» بـ «متصفا بصفات لبشر» ، و «بسرا» و «رطبا» بـ «مطورا بطور البسر أو الرطب الى غير ذلك من التأويلات المتكلفة •

٣ ـ المواطن التي يجيء فيها الحال قياسا :

اختلف النحويون في اعراب المصدر المنصوب في نحو «طلع زيد علينا بغتة» وقتله صبرا ، ولقيته فجأة ، وكلمته شفاها ، وأتيته ركضا ومشيا[١٣١] •

فقد أعربه سيبويه ، حالا ، وقصر ما جاء منه على السماع «لأن المصدر ههنا في موضع فاعل اذا كان حالا ، ألا ترى أنه لا يحسن أتانا سرعة ولا أتانا رجلة ••• »[١٣٢] • وذهب الاخفش والكوفيّون الى أنه مفعول مطلق ، وفعله محذوف ، وهو الحال[١٣٣] • وذهب المبرد الى أنه حال ، وقصره على السماع الا ماكان نوعا من عامله نحو أتانا سرعة[١٣٤] •

وتابع ابن الناظم أباه[١٣٥] ، فقصره على السماع الا في ثلاث مسائل • قال : «والحال وصاحبها خبر ومخبر عنه في المعنى • فحق الحال أن لا تدل

---

(١٢٨) اوضح المسالك ١١٥ـ١١٦ •

(١٢٩) الاشموني ٢/١٧٧ •

(١٣٠) الصبان ٢/١٧٧ • وانظر أيضا : منهج السالك ١٨٢ـ١٨٣ •

(١٣١) الشرح ١٢٦ •

(١٣٢) الكتاب ١/١٨٦ •

(١٣٣) منهج السالك ١٨٨ •

(١٣٤) المقتضب ٣/٢٣٤ ، ٢٦٩ ، ٤/٣١٢ • وانظر أيضا : هامش الكتاب ١/١٨٦ • وقال ابن الناظم (١٢٦) وذهب الاخفش والمبرد الى أن المصادر الواقعة موقع الاحوال مفعولات مطلقة العامل في كل منها فعل محذوف هو الحال • وما ذكره خلاف ماهو في المقتضب •

(١٣٥) التسهيل ١٠٩ ، شرحه ق ١٢٣ •

على مايدل عليه نفس صاحبها كالخبر بالنسبة الى المبتدأ . ومقتضى هـذا أن لايكون المصدر حالا لئلا يلزم الاخبار بمعنى عن عين ، فان ورد شيء من ذلك حفظ ، ولم يقس عليه الا فيما أذكره لك»[١٣٦] . ثم رد مذهب الاخفش ، بعد أن ذكره بقوله : «وليس بمرضي لأنه لا يجوز الحذف الا لدليل ، ولا يخلو أما ان يكون لفظ المصدر المنصوب أو عامله . فان كان لفظ المصدر فينبغي أن يكون ذلك في كل مصدر له فعل ولا يقتصر على السماع . ولا يمكن أن يكون عامل المصدر لأن القتل لا يشعر بالصبر ، ولا اللقاء بالفجاءة، ولا الاتيان بالركض»[١٣٧] . وذكر بعد ذلك المسائل التي قاس فيها مجيء المصدر حالا ، وفاقا لأبيه ، وهي :

الأولى : اذا جاء المصدر منصوبا بعد خبر مقترن بـ «أل» الكمالية ، نحو: أنت الرجل علما وأدبا ونبلا ، أي الكامل في حال علم وأدب ونبل .

الثانية : اذا جاء بعد خبر شبه به مبتدؤه نحو : أنت زهير شعرا ، أي مثل زهير في حال شعر .

الثالثة : اذا جاء بعد «أما» نحو : أما علما فعالم . «والاصل في هذا أن رجلا وصف عنده رجل بعلم وغيره فقال للواصف : أما علما فعالم ، يريد مهما يذكر انسان في حال علم فالذي ذكرت عالم كأنه منكر ما وصفه به من غير علم ..»[١٣٨] .

ونازع أبو حيان ابن مالك في مذهبه الذي تابعه فيه ابنه[١٣٩] ، واحتمل أن يكون ماورد في المصادر المنصوبة فيما قاسه ابن مالك وابنه من مسائل تمييزا . وليست منازعته بمتجهة ، لأن معنى الحالية ظاهر فيها .

---

(١٣٦) الشرح ١٢٦ .

(١٣٧) الشرح ١٢٦ .

(١٣٨) نفسه ١٢٦ .

(١٣٩) منهج السالك ١٨٨ ، وانظر أيضا : الاشموني ١٧٩ ، والتصريح ١/٣٧٥ .

الاضافـــة :

ذهب سيبويه[١٤٠] وجمهور البصريين[١٤١] الى أنه لا يجوز الفصل بين المضاف والمضاف اليه في ضرورة الشعر الا بالظرف والجار والمجرور ، بحجة ان المضاف والمضاف اليه بمنزلة الاسم الواحد[١٤٢] ، وانما جاز الفصل بينهما بالظرف والجار والمجرور لأنه «يتسع فيهما ما لا يتسع في غيرهما»[١٤٣] .

وذهب الأخفش[١٤٤] والكـــوفيون[١٤٥] ، غير الفـراء في معـــاني القرآن[١٤٦] ، الى جواز الفصـل في ضرورة الشـــعر بغير الظرف والجار والمجرور أيضا . واستشهدوا على صحة مذهبهم بأبيات منها قول الشاعر :

فَزَجَجْتُهَا بِمِزَجَّـــةٍ زَجَّ القَلُوصَ أَبِي مَزَادَهْ

وردَّ البصريّون ، الأخفش والكوفيّين ، «بأن ما أنشدوه مع قلتـــه لا يعرف قائله ، فلا يجوز الاحتجاج به»[١٤٧] . وهذا الرد غير مقبول ، لأن خمسين بيتا من أبيات الكتاب ، لم يعرف أبو عمر الجرمي قائلها ، ولم يطعن أحد بوثاقتها[١٤٨] .

---

(١٤٠) الكتاب ١/٩٠ وما بعدها .
(١٤١) المقتضب ٣/٢٨١ ، الخصائص ٢/٤٠٤ـ٤٠٨ .
(١٤٢) المقتضب ٤/١٤٣ ، الاصول ١/٦٠ .
(١٤٣) الانصاف ٢/٤٣٥ .
(١٤٤) أشار عبدالسلام هارون في حاشية طبعته للكتاب (١/١٧٦) ، الى أن في الاصل الذي اعتمده في تحقيق الكتاب زيادة ونصها : «قال أبو الحسن : الا في الشعر ، سمعت عيسى بن عمر ينشد :

فزججتهـــا بمزجـــة زج القلوص أبي مزادة

ولم يعرف أبو عمر ما حكى الاخفش ، وهو عنده وعند اصحابنا خطأ» .
(١٤٥) مجالس ثعلب ١/١٢٥ـ١٢٦ ، شرح ابن‌يعيش على المفصل ٢٢٣ .
(١٤٦) طعن الفراء في معاني القرآن (١/٣٥٨ ، ٢/٨١) بقراءة ابن عامر .
(١٤٧) الانصاف ٢/٤٣٥ .
(١٤٨) الخزانة ١/٨ ، سيبويه امام النحاة ١٤٣ـ١٤٨ ، مقدمة الكتاب ١/٣٣ (ط/هارون) .

أما ابن مالك[149] ، فقد أجاز الفصل بين المضاف والمضاف اليه بالظرف والجار والمجرور وبغيرهما ، في ضرورة الشعر ، وأجاز أيضا الفصل بينهما ، في السعة ، في ثلاث صور • وقد فصل ابنه القول فيها فقال :

«الأولى : فصل المصدر المضاف الى الفاعل بما تعلق بالمصدر من مفعول به أو ظرف كقراءة ابن عامر : (وَكَذَلِكَ زُيِّنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلُ أَوْلَادَهُمْ شُرَكَائِهِمْ)[150] • وحسن مثل هذا الفصل لأن مفعول المصدر غير أجنبي منه • فالفصل به كلا فصل ، ولأن الفاعل كالجزء من عامله فلا يضر فصله لأن رتبته منبهة عليه ••• » ثم أورد أبياتا ، منها البيت الذي أنشده الأخفش ، وبيت «الأحوص :

لَئِنْ كَانَ النِّكَاحُ أَحَلَّ شَيءٍ
فَإِنَّ نِكَاحَهَا مَطَرٍ حَرَامُ

وهذا ليس بضرورة اذ يمكنه أن يقول فان نكاحها مطرا •••

الصورة الثانية : فصل اسم الفاعل المضاف الى مفعوله الأول بمفعوله الثاني كقول الشاعر :

مَا زَالَ يُوقِنُ مَنْ يَؤُمُّكَ بِالْغِنَى
وَسِوَاكَ مَانِعُ فَضْلَهِ الْمُحْتَاجِ

ويدلُ على أن مثل هذا غير مخصوص بالضرورة قراءة بعضهم قوله تعالى : « فَلَا تَحْسَبَنَّ اللهَ مُخْلِفَ وَعْدَهُ رُسُلِهِ »[151] •

---

(١٤٩) شرح التسهيل ق ١٨١ـ١٨٢ • شرح العمدة ق ١٣٦ •
وأغلب الظن ان ابن مالك قد أفاد من الخصائص (٢/٤٠٦ـ٤٠٧) فيما أجازه في الصورة الاولى والثانية ، وتصحيح قراءة ابن عامر خاصة •

(١٥٠) الانعام/١٣٧ •

(١٥١) يوسف/٤٧ • وجاءت هذه الآية الكريمة في الكتاب (١/٨٩) كما قرأها الجمهور بجر «وعد» ونصب «رسل» •

الصورة الثالثة : فصل المضاف عما أضيف اليه ، بالقسم نحو ما حكاه الكسائي من قولهم : هَذَا غُلَامُ وَاللهِ زَيْدٍ ، وما حكاه أبو عبيدة من قولهم : إنَّ الشَّاةَ لَتَجْتَرُّ فَتَسْمَعُ صَوْتَ وَاللهِ رَبِّهَا»(١٥٢) .

لقد فعل ابن مالك حسن فيما ذهب اليه . فتصحيحه قراءة ابن عامر ، وقراءة من قرأ : « فَلا تَحْسَبَنَّ اللهَ مُخْلِفَ وَعْدَهُ رُسُلِهِ »(١٥٣) ، وكذلك تصحيح حديث الرسول : « هَلْ أَنْتُمْ تَارِكُو لِي صَاحِبِي » ، واعتمادها أصلا في الاستشهاد على صحة مذهبه ، عمل جدير بالاكبار ، لا سيما أن قراءة ابن عامر ، قراءة سبعية . لكن الزمخشري طعن فيها وخطأها ، فكانت جراءة منه ، لا ينبغي أن تصدر من مثله(١٥٤) .

عطف النسق :

أعرب ابن مالك «زوجك» في قوله تعالى : « أَسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الجنة »(١٥٥) فاعلا لفعل محذوف ، مقدر من جنس المذكور ودلَّ عليه المذكور نفسه والتقدير : اسكن أنت ولتسكن زوجك(١٥٦) . وعلى هذا يكون العطف عنده من عطف الجمل . قال أبو حيان : « وما ذهب اليه مخالف لما تضافرت عليه نصوص النحويين والمعربين من أن زوجك معطوف

---

(١٥٢) الشرح ١٥٧–١٥٨ .

(١٥٣) عد الطبرسي (مجمع البيان ٦/٣٢٣) هذه القراءة من الشواذ ونعتها بأنها رديئة . وضعَّفها الزمخشري (الكشاف ٢/٥٦٦) ، وشبهها بقراءة ابن عامر .

(١٥٤) انظر رد أبي حيان على الزمخشري في منهج السالك (٣٠٣) وفي البحر المحيط (٤/٢٢٩) . وانظر أيضا رد ابن المنيِّر عليه في الانتصاف من الكشاف ٢/٦٩ (بحاشية الكشاف) .

(١٥٥) البقرة/٣٥ .

(١٥٦) شرح التسهيل ق ١٩٧ .

على الضمير المسكن في اسكن المؤكد بـ (أنت) »[157] .

وتابع ابن الناظم أباه فيما ذهب اليه ، فقال في شـــرح الكافية : «وظن كثير من النحاة أن قوله تعالى : (اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ) .. عطف الظاهر على المضمر وليس كذلك لأن شرط المعطوف لن يكون صالحا لأن يعمل فيه ما عمل في المعطوف . وهذا فيما ذكر متعذر لأنه لا يقال اسكن زوجك ... فبطل كونه معطوفا على المضمر ...»[158] . وأعاد قوله هذا في شرح الألفية[159] .

إعراب الفعل :

ذهب جمهور النحويين الى أن مجيء فعل الشرط مضارعا ، وجوابه ماضيا ، مخصوص بالضرورة[160] . ولم يرتض ابن مالك بما ذهبوا اليه ، قال : «ومن تخالفهما بتقديم المضارع وتأخير الماضي قول النبي عليه السلام : مَنْ يَقُمْ لَيْلَةَ الْقَدْرِ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ . والمشهور عند النحويين تخصيص هذا الاستعمال بالشعر . وهذا الحديث يبطل دعواهم .. ومنه قول عائشة رضي الله عنها : (إنَّ أبَا بكْرٍ رجلٌ أَسِيفٌ مَتَى يَقُمْ مُقَامَكَ رَقَّ) أخرجه البخاري . ومن الشواهد الشعرية على ذلك قول سعد بن عبدالرحمن بن حسان :

أَبَى لَكَ كَسْبَ الْحَمْدِ رَأْيٌ مُقَصِّرٌ
وَنَفْسٌ أَضَاقَ اللهُ بِالْخَيْرِ بَاعَهَا

---

(١٥٧) الاشموني ٣/١٢٣ ، وانظر أيضا : البحر المحيط ١/١٥٦ . ورجعت الى كثير من كتب النحو ، وتفاسير القرآن الكريم فوجدت مصداق كلام أبي حيان ، منها : الكتاب ١/٣٢٥ ، ٣٩٠ ، المقتضب ٣/٢١٠ ، الكامل ٣/٣٩ ، الاصول ٢/٣٥٦ ، تفسير القرطبي ١/٣٠٠-٣٠٢ ، مجمع البيان ١/٨٤ ، الكشاف ١/١٢٧ .

(١٥٨) ابن الناظم على الكافية ق ٣٩ .

(١٥٩) الشرح ٢١٤ .

(١٦٠) شرح التصريح ٢/٢٤٩ .

إذا هِيَ حَثَّتْهُ عَلَى الْخَيْرِ مَرَّةً
عَصَاهَا وإِنْ تَأْمُرْ لِسُوءٍ أطَاعَهَا

ومنها قول أعشى قيس :

وَمَا يَرِدْ مِنْ جَمِيعٍ بَعْدُ فَرَّقَهُ
وَمَا يَرِدْ بَعْدُ مِنْ ذِي فُرْقَةٍ جَمَعَا[١٦١]

وقال في شواهد التوضيح بعد أن أورد حديثي النبي (ص) وعائشة(رض): « قلت : وتضمن هذان الحديثان وقوع الشرط مضارعا والجواب ماضيا لفظا لا معنى . والنحويون يستضعفون ذلك . ويراه بعضهم مخصوص بالضرورة والصحيح الحكم بجوازه مطلقا ، لثبوته في كلام أفصح الفصحاء ، وكثرة صدوره عن فحول الشعراء ... »[١٦٢] .

وقد تابع ابن الناظم أباه فيما ذهب اليه . فبعد أن أورد قول الشاعر :

مَنْ يَكِدْنِي بِسَيِّئٍ كُنْتَ مِنْهُ
كَالشَّجَا بَيْنَ حَلْقِهِ وَالْوَرِيدِ

وقول الآخر :

إنْ تَصْرِمُونَا وَصَلْنَاكُمْ وَإِنْ تَصِلُوا
مَلأْتُمُ أَنْفُسَ الأَعْدَاءِ إرْهَابَا

قال : « وأكثر النحويين يخصّون هذا النوع بالضرورة وليس بصحيح بدليل ما رواه البخاري ... »[١٦٣] وأورد حديثي النبي (ص) وعائشة (رض) اللذ ذكرهما .

وقد تابع النحاة المتأخرون ، وشراح الألفية خاصة[١٦٤] ، ابن مالك .

---

(١٦١) شرح العمدة ق ٩٦ .
(١٦٢) شواهد التوضيح ١٤ .
(١٦٣) الشرح ٢٧٣ .
(١٦٤) انظر : اوضح المسالك ٢٣٥ ، ابن عقيل ٢/٣٩٣-٣٩٤ ، شرح التصريح ٢/٢٤٩ ، الاشموني ٤/١٦ .

زعم في ذلك على صواب ، لأن مذهب ابن مالك قوي ، لاعتماده في تصحيحه ، على ما ورد في الحديث الشريف مع ما ورد في ذلك من شعر الفصحاء •

لـــو :

خرج ابو علي قول الشاعر :

لــو بِغيــرِ المــاءِ حلقِي شَــرِقٌ
كنــتُ كالغصّانِ بالماءِ اعتِصــارِي

• على أن تقديره لو شرق بغير الماء حلقي هو شرق • فقوله هو شرق جملة اسمية مفسرة للفعل المضمر وأسهل من هذا التخريج عندي هو أن يحمل البيت على اضمار كان الشأنية • وتجعل الجملة المذكورة بعد لو خبرا لها كما فعل مثل ذلك في قول الشاعر :

وَنُبِّئْــتُ لَيْلَــى أَرْسَلَتْ بِشَفَاعَــةٍ
إِلَيَّ فَهَلاَّ نَفْسُ لَيْلَى شَفِيعُهَا (١٦٥)

والحق ، ان ما قاله ابن الناظم ، هــو قول أبيـــه • قال ابن مالك : « •••• ومثل اضمار الفعل بعد لولا ، اضماره بعـــد هلا والا •••• وقد يكون الفعل المضمر بعد حرف التحضيض كان الشانية فتليه في اللفظ جملـة ابتدائية محكوم على موضعها بالنصب لانها خبر كان المضمرة كقول الشاعر :

وَنُبِّئْــتُ لَيْلَــى أَرْسَلَتْ بِشَفَاعَــةٍ
إِلَيَّ فَهَــلاَّ نَفْسُ لَيْلَــى شَفِيعُهَــا

أراد فهلا كان الشأن نفس ليلى شفيعها • وبمثل هذا التوجيه يوجه قول الآخر:

---

(١٦٥) الشرح ٣٧٨ • وانظر ايضـــا : الخزانة ٣/٥٩٥ ، فقـد ذكر البغدادي ثلاثة تخاريج للبيت ، وذكر ان «ثانيها لبدرالدين في شرح الفيـــة والده قال «كان الشانية محذوفة بعد لو فهي على بابها من دخولها على الجملة الفعلية فتكون الجملة الاســـمية خبرا لكان المحذوفة ونسبه أبو حيـان الى البصريين ••• » • والحق ان التقدير لابن مالك لا لابنه • ولم أجد ماذكره أبو حيان في الكتاب (١/٤٦٢) •

لــوْ بِغَيْرِ المَـاء حَلْقِي شَـرِقٌ
كُنْتُ كَالغَصَّانِ بِالْمَاءِ اعْتِصَارِي

أي كان الشأن حلقي شرق • والحامل على هذا الاضمار ان لو مختصة بالفعل فلو استغنى عن اضمار الفعل في هذا البيت وفي البيت المفتتح بنبئت لزم دخول لو وهلا على مبتدأ وخبر وذلك ممتنع لثبوت اختصاصها بالافعال»(١٦٦).

٢ ـ مخالفاته :

تكتسب مخالفات ابن الناظم النحوية لابيه أهمية خاصة في دراسته النحوية ، لأنها من المعالم البارزة فيها • وقد نبَّه اليها جمهرة من الدارسين القدماء ، منهم الصلاح الصفدي ، حينما تكلم على شرحه على الألفية • قال : « ••• وهو شرح فاضل منقى منقح • وخطَّأ والده في بعض المواضع ••• »(١٦٧) • ونبه اليها أيضا محمد الطنطاوي والدكتور شوقي ضيف من الباحثين المحدثين • قال الطنطاوي عندما تكلم عن شرح ابن الناظم : « ••• وقد تعقب ابن الناظم أباه كثيرا دون هوادة • أنظر باب المفعول المطلق والتنازع والصفة المشبهة ••• الا أن الشراح بعده من ابن هشام وابن عقيل والاشموني وغيرهم تصدوا للرد عليه بما جعل حملاته على الناظم طائشة كما ترى فيها مبسوطا»(١٦٨) • وقال أيضا ، عند كلامه عن شرح ابن عقيل : « وهو شرح حسن ••• وتتجلى فيه موائمة ابن عقيل للناظم ، ولهذا دافع هجوم ابنه في شرحه كثيرا •• »(١٦٩) • وما أحسب أن كلامه هذا دقيق •

ونبه الى تلك المخالفات أيضا الدكتور شوقي ضيف عندما تكلم عن شرح ابن عقيل • قال : « ويمتاز بوضوح العبارة وسهولتها ••• ويتصدى لابنه

---

(١٦٦) شرح العمدة ق ٨٠ـ٨١ •
(١٦٧) الوافي ١/٢٠٥ •
(١٦٨) نشأة النحو ٢٣١ •
(١٦٩) نفسه ٢٣٨ •

بدر الدين حين يخالف أباه في شروحه على مصنفاته التسهيل وغيره مثبتا عليه السهو والخطأ »[170] .

وليت الباحثين الطنطاوي والدكتور ضيفا ، نبها أيضا الى أسباب تعقب ابن الناظم أباه .

إ

ان ما خالف به ابن الناظم اباه ، هو طائفة من الحدود النحوية ، وطائفة من اسس النحويه . وكان من الاسباب الرئيسه في تلك المخالفة اختلاف ثقافته ، عن ثقافه أبيه بصورة عامة . وقد مر بنا ، انّ ابن الناظم كان من الدارسين المنطقيين المعروفين في ذلك العصر ، ولذا كان من مظاهر ثقافته المنطقيه ، هو عنايته الفائقه بالحدود النحوية ، التي هي من اثار علم المنطق في الدراسة النحوية ، على حين انّ اباه قد غلب على ثقافته طابع الحفظ والرواية ، شأنه شأن كثير من العلماء المغاربة والاندلسيين ، ولذا قل اهتمامه بطائفة من الحدود النحوية ، من حيث كونها جامعة مانعة ، فتعقبه ابنه فيها ، بتأثير من ثقافته المنطقية .

وخالف ابن الناظم أباه أيضا في طائفة من المسائل النحوية ، وكان ذلك في شرحه على الألفية وفيما شرحه من التسهيل . أما في شرحه على كافية ابن الحاجب ، فقد كان موائما له فيها ، لأنه كان متأثرا به وتابعا له . وكان السبب في مخالفته أباه في تلك المسائل ، هو غلبة الاتجاه البصري على دراسته النحوية . ومر بنا أنّ أباه كان قد أخذ بمذهب الكوفيين في طائفة من المسائل النحوية ، فخالفه ابنه فيها ، بتأثير من غلبة الاتجاه النحوي البصري في دراسته النحوية .

وهذه طائفة من الحدود والمسائل والصيغ التي خالفه فيها أبيه :

---

(170) المدارس النحوية 355 .

١ ـ مخالفاته في الحدود والصيغ :

١ ـ الضمير :

تعقب ابن الناظم اباه في حده الضمير في منظومته (لالفية) :

فَمَا لِذِي غَيْبَةٍ أَوْ حُضُورِ
كَأَنْتَ وَهُوَ سَمِّ بِالضَّمِيرِ

فقال : « فيه ايهام ادخال اسم الاشارة في المضمر لأن الحاضر ثلاثة متكلم ، ومخاطب ، ولا متكلم ولا مخاطب ، وهو المشار اليه »(١٧١) •

وانتصر العبادي(١٧٢) والانصاري(١٧٣) لابن مالك ، وردا ابنه على ما آخذ أباه عليه •

٢ ـ التنازع في العمل :

ونقد ابن الناظم أباه فقال : « ••• وقد يتوهم من قول الشيخ رحمه الله:

بَلْ حَذْفَهُ الْزَمْ إِنْ يَكُنْ غَيْرَ خَبَرْ
وَأَخِّرَنْهُ إِنْ يَكُنْ هُوَ الْخَبَرْ

ان ضمير المتنازع فيه إنْ كان مفعولاً في باب ظن ، يجب حذفه إنْ كان المفعول الأول ، وتأخيره ، ان كان المفعول الثاني ، وليس الأمر كذلك بل لا فرق بين المفعولين في امتناع الحذف ولزوم التأخير ، ولو قال بدله :

وَاحْذِفْهُ إِنْ يَكُ مَفْعُولَ حَسِبْ
وَإِنْ يَكُنْ ذَاكَ فَأَخِّرْهُ تُصِبْ

لخلص من ذلك التوهم »(١٧٤) •

---

(١٧١) الشرح ٢٠ • ورد ابو حيان في منهج السالك ١٥ ، على إبن مالك بمثل رد ابن الناظم عليه •

(١٧٢) حاشية العبادي على ابن الناظم (باب النكرة والمعرفة) •

(١٧٣) حاشية الانصاري على ابن الناظم ق ٤٩ •

(١٧٤) الشرح ١٠١ • وانظر أيضا : نشأة النحو ٢٣١ • وشارك الاشموني (١٠٦/٢) ابن الناظم نقد ابن مالك ، ونقل دفاع المرادي عنه ، ورده عليه •

٣ ـ الحـال :

ورد ابن الناظم أباه في حد الحال فقال :

« وقولـه :

أَلْحَالُ وَصْفٌ فَضْلَةٌ مُنْتَصِبُ مُفْهِمُ فِي حَالٍ ، ....

أي في حال كذا ، فيه مع ادخال حكم في الحد بقوله : منتصب ، أنـه حدّ غير مانع لأنه يشمل النعت آلا ترى أن قولك مررت برجل راكب في معنى مررت برجل في حال ركوبه كمـا أن قولك جاء زيد ضاحكا في معنى جاء زيد في حال ضحكه فلأجل ذلك عدلت عن هذه العبارة الى قولي المذكور فضله لبيان هيئة ماهو له ، وحق الحـال النصب لأنهـا فضلـة ، والنصب اعراب الفضلات »(١٧٥) .

٤ ـ الصفة المشبهة باسم الفاعل :

لم يرتض ابن الناظم حد أبيه للصفة المشبهة باسم الفاعل :

صِفَـةٌ اسْتُحْسِنَ جَرُّ فَاعِـلِ
مَعْنًى بِهَـا الْمُشْبِهَةُ اسْمَ الْفَاعِلِ
وَصَوْغُهَـا مِـنْ لازِمٍ لِحَـاضِرِ
كَطَـاهِرِ الْقَلْـبِ جَمِيـلِ الظَّـاهِرِ

قال : « ومما تختص به الصفة المشبهة عن اسم الفاعل استحسان جرهـا بالاضافة نحو : طاهر القلب ، جميل الظاهر ، تقديره طاهر قلبه،جميل مظهره فان ذلك لا يسوغ في اسم الفاعل الا ان أمن اللبس . فقد يجوز على ضعف

(١٧٥) الشرح ١٢٤ ، وانظر : اوضح المسالك ١١٤ ، فقد ذهب فيه ابن هشام الى أن في حد الناظم للحال دور . قال بعـد ان ذكر حد الناظم : « وفي هذا الحدّ نظر ، لأن النصب حكم ، والحكم فرع التصور ، والتصور متوقف على الحد ، فجاء الدور » . وفي شرح التصريح ٣٦٧/١ ، ردود على ابن هشام فلينظرها من يطلبها . وانظر أيضاً : شرح ابن عقيل ٥٢٨/١ ، والاشموني وحاشيته ١٧٤/٢ .

وقلة في الكلام نحو زيد كاتب الأب يريد كاتب أبوه . وهـذه الخاصة لا تصلح لتعريف الصفة وتمييزها عما عداها لأن العلـم باستحسان الاضافة الى الفاعل موقوف على العلم بكون الصفة مشبهة . فهو متأخر عنـه . وأنت تعلم أن العلـم بالمعرف يجب تقدمه على العلـم بالمعرف فلذلك لم أعول في تعريفها على استحسان اضافتها الى الفاعل »(١٧٦) .

وانتصر ابن هشام لابن مالك ورد على ابنه . فبعد أن قرر مراد الناظم في تعريفه للصفة المشبهة قال : « ... وحينئذ فلا دور في التعريف المذكور (يقصد تعريف أبيه) كما توهمه ابن الناظم »(١٧٧) .

٥ ـ النعت :

وتعقب ابن الناظم أباه في قوله :

وَانْعَتْ بِمُشْتَقٍّ كَصَعْبٍ وَذَرِبْ
وَشِبْهِهِ كَذَا وَذِي وَالْمُنْتَسِبْ

فقال : « المشتق ما أخذ من لفظ المصدر للدلالة على معنى منسوب اليـه فلو قال :

وَانْعَتْ بِوَصْفٍ مِثْلَ صَعْبٍ وَذَرِبْ ......

كان أمثل ، لأن من المشتق أسماء الزمان والمكان والآلة ولا ينعت بشيء منه انما ينعت بما كان صفة وهو مادل على حدث وصاحبه ، كصعب وذرب وضارب ومضروب ، وأفضل منك أو اسما مضمنا معنى الصفة ، اما وصفا كاسم الاشارة وذي بمعنى صاحب أو بمعنى الذي وكأسماء النسب ، وأما استعمالا كقولهم مررت بقاع عرفج كله أي خشن »(١٧٨) .

---

(١٧٦) الشرح ١٧٣ــ١٧٤ . وقد نقل أبو حيان في منهج السالك (٣٥٤) كلام ابن الناظم ، من دون ان يعلق عليه ، أما الاشموني (٣/٢ــ٣) فقد شرح قول الناظم ، ورد ابن الناظم عليه .

(١٧٧) أوضح المسالك ١٦٣ . وانظر أيضا : ابن عقيل ٢/١١٤ــ١١٥ ، التصريح ٢/٨٠ــ٨١ .

(١٧٨) الشرح ١٩٢ــ١٩٣ .

وقد أورد السجاعي قول ابن الناظم ، ثم قال : « وما ذكره تعريف للمشتق في اصطلاح الصرفيين »(١٧٩) .

٢ ـ مخالفاته في المسائل النحوية :

المبني والمعرب

كسر نون جمع المذكر السالم :

ذهب ابن الناظم الى أن كسر نون الجمع يجيء للضرورة كما في قول الشاعر :

وَمَاذَا تَبْتَغِي الشُّعَرَاءُ مِنِّي
وَقَدْ جَاوَزْتُ حَدَّ الأَرْبَعِينِ ؟(١٨٠)

وظاهر كلام ابن مالك في النظم أن كسرها لغة(١٨١) .

النكرة والمعرفة :

وذكر ابن مالك المنادى من بين المعارف في التسهيل(١٨٢) وشرحه(١٨٣)

---

(١٧٩) حاشية السجاعي على ابن عقيل ٢١٠ـ٢١١ .

(١٨٠) الشرح ١٧ .

والبيت المستشهد به هنا هو في مجالس ثعلب (١/١٧٦) فبعد أن ذكر ثعلب البيت قال : « ... كسر نون الاربعين لأن العدد ليس له وجه صحيح على الاصل » . وانظر أيضا : شرح المفصل ١٣/٥ .

(١٨١) ابن عقيل ٦٢/١ـ٦٣ ، وانظر أيضا : التصريح ٧٩/١ ، الهمع ٤٩/١ ، الدرر اللوامع ٢١/١ ، الضرائر ١٥٩ . وقال الاشموني في شرحه (١٠٠/١) : «قال في شرح التسهيل : يجوز أن يكون كسر نون الجمع وما ألحق به لغة ، وجزم به في شرح الكافية .. » . وفي شرح التسهيل (ق١١) غير ماذكره الاشموني . فبعد أن ذكر ابن مالك علة كون حركة النون مفتوحة قال : «ومثال كسرها ضرورة قول الشاعر :

عرين من عرينة ليس منا ... برئت الى عرينة من عرين
عرفنا جعفرا وبني أبيه ... وانكرنا زعانف آخرين

(١٨٢) التسهيل ٢١ .

(١٨٣) شرح التسهيل ق ١٩ .

وكذلك في شرح الكافية[١٨٤] . أما في منظومته ، فقد أهمله ، واستدرك عليه ابنه ، فقال : « وواحد أهمله المصنف وهو المعرف بالنداء نحو : يارجل »[١٨٥] . وما ذهب اليه ابن الناظم موافق لمذهب الخليل[١٨٦] .

وقد اعتذر العبادي ، لابن مالك ، فقال : « وقوله (يعني قول ابن مالك) وواحد أهمله ، أي أهمل التصريح به ، والا فقد نبه عليه بدخوله في قوله ، وغيره ، فيما دل عليه بالكاف في قوله : (كهم) غاية الأمر أنه ترك تمثيله . وقد صرح به في غير هذا الكتاب ، بعده من المعارف »[١٨٧] .

واعتذار العبادي عن ابن مالك غير وجيه ، ولا يدفع عنه ما آخذه عليه ابنه ، لأن الاهمال بين .

---

(١٨٤) الاشموني ١/١١٧ .

(١٨٥) الشرح ٢٠ .

(١٨٦) الكتاب ١/٣١٠ . وقال ابن الناظم في شرح الكافية (ق٥٤) : «واكثر المتقدمين لا يذكرونه (يعني المنادي) في باب المعرفة ، والصواب ذكره لأنه معرفة قطعا ... ومثاله : يا رجل اذا قصدت واحدا بعينه» . وعند الرجوع الى طائفة من المصادر المتقدمة تبين لي أن المبرد قد ذكر في المقتضب (٤/٢٧٦) ستاً من المعارف وهي الاسم الخاص (العلم) والمعرفة بالالف واللام والاسماء المبهمة (أسماء الاشارة والاسماء الموصولة) والمضمر ، والمضاف الى المعرفة ، وهو بذلك قد أسقط المعرف بالنداء ، الا انه ذكر المعرف بالنداء من المعارف في موطن سابق (المقتضب ٤/٢٠٥) ، وعليه تكون المعارف عنده سبعا كما هو معروف عند النحاة .

وأما ابن السراج (الاصول ١/١٧٦) فقد قال : «والمعرفة خمسة اشياء الاسم المكنى والمبهم والعلم وما فيه الالف واللام وما أضيف اليهن» ولم يذكر النكرة المعرفة بالنداء نحو : يارجل ، من المعارف ، ولكنه ذكر في الاصول نفسه (١/٤٠١) انها نكرة اكتسبت التعريف بالنداء . أما الزجاجي ، فقد ذكر في الجمل (١٩٢) خمسا من المعارف باسقاط المعرف بالنداء . وانظر : شرح ابن الخباز على الفية ابن معط (ق٧) .

(١٨٧) حاشية العبادي على ابن الناظم ، باب «النكرة والمعرفة» .

المبتدأ والخبر :

ذهب ابن الناظم الى أن الخبر في نحو : «ضربي العبد مسيئا » محذوف مقدّر بـ «اذا كان»[188] وفاقا لجمهور البصريين[189] ، و«كان» هذه عنده تامة لا ناقصة . وذهب أبوه الى أنّ الخبر في المثال المذكور ، محذوف مقدر بـ «مصدر مضاف الى صاحبها لا زمان مضاف الى فعله» ، وفاقا للأخفش[190] .

ان كلا من ابن الناظم وأبيه انطلقا في متابعتهما المتقدّمين من نظرية العامل ، لأن الحال عندهم جميعا فضلة[191] ، لا يصلح أن يسند اليه المبتدأ، وأن يخبر به عنه ، فلذا قدروا ليندرج المثال تحت أصولهم العقلية . أقول : اذا كان الحال فضلة ، فهل يمكن حذفه ولا يختل معنى الجملة ؟

إنّ النحاة قد تجاوزوا حدود مهمتهم النحوية ، وكان عليهم أن يصفوا ، وان كان لابد لهم من أن يعللوا ، فيجب أن يكون تعليلهم تعليلا لغويا صادرا عن أصول لغوية لا عقلية . فالحال هنا أفاد ما أفاده الخبر ، فأغنى عنه ، ولا داعي لتقديرهم الذي ألجأهم اليه النظر العقلي .

إنّ وأخواتها :

وذهب ابن الناظم الى وجوب اهمال إنّ وأخواتها اذا اتصلت بها ما ، لأن ما أزالت اختصاصها بالاسماء ، الا ليت ، فأجاز إعمالها وإهمالها . ثم قال : « وذكر ابن بَرهَان أن الأخفش روى : إنما زيدا قائم . وعزا مثل ذلك الى الكسائي وهو غريب »[192] . وما ذهب اليه هو مذهب الخليل ومن

---

(١٨٨) الشرح ٤٩ .

(١٨٩) اوضح المسالك ٤١ ، الاشموني ١/٢٣٠-٢٣١ ، الهمع ١/١٠٦ .

(١٩٠) التسهيل ٤٥ ، وانظر ايضا شرحه ق٣٦ .

(١٩١) قال ابن مالك في شرح العمدة (ق١١١) : «والفضلة عبارة عما زاد على ركني الاسناد كالمفعول والحال والتمييز فلزيادتها أثرت بأخف وجوه الاعراب وهو المنصب ...» .

(١٩٢) الشرح ٦٦ .

تابعه من البصريين(١٩٣) • وذهب ابن مالك الى اعمال هـذه الاحرف اذا اتصلت بها ما • قال في ألفيته :

وَوَصْلُ مَا بِذِي الْحُرُوفِ مُبْطِلُ
إعْمَالَهَا وَقَدْ يُبَقَّى الْعَمَلُ

وقال في شرح التسهيل : « وذكر ابن برهان أن الأخفش روى عن العرب إنّما زيدا قائم • فأعمل مع زيادة ما • وعزا مثل ذلك الى الكسائي عن العرب وهذا النقل الذي ذكره ابن برهان يؤيد ماذهب اليه ابن السراج من اجراء عوامل هذا الباب على سنن واحد وإن لم يثبت سماع في اعمال جميعها وبقوله أقول في هذه المسألة »(١٩٤) •

الفاعل :

١ ـ منع ابن الناظم تقديم المحصور بالا • قال : « وكل ما قصد حصره ، استحقّ التأخير فاعلا كان أو مفعولا سواء كان الحصر بانما أو بالا •• »(١٩٥) •

وما ذهب اليه ، هو ما اختاره الجزولي والشلوبين ، وهو مذهب بعض البصريين(١٩٦) • وذهب ابن مالك الى أنه لا يجوز ذلك ، وفاقا

---

(١٩٣) الكتاب ١/٢٨٢ـ٢٨٣ ، المقتضب ٣/٥٤ـ٥٥ ، ٣٦٣ •

(١٩٤) شرح التسهيل ق٧١ • ورجعت الى الاصول ١/٢٨١ـ٢٨٣ فوجدت أن ابن السراج يقول : «وتدخل (ما) زائدة على (إنّ) على ضربين : فمرة تكون ملغاة دخولها كخروجها ، لاتغير اعرابا ، تقول : انما زيدا منطلق، وتدخل على (إنّ) كافة للعمل فتبنى معها بناء فيبطل شبهها بالفعل ، فتقول إنما زيد منطلق ف (إنما) ها هنا بمنزلة (فعل) ملغى مثل : اشهد لزيد خير منك» • انظر أيضا : الازهية ٨٦ـ٨٧ ، الامالي الشجرية ٢/٢٤١ ، التسهيل ٦٥ ، الرضي ٣/٣٢٤ ، المغني ١/٣٠٧ ، ابن عقيل ١/٣١٩ ، الاشموني ١/٣٩٣ـ٣٩٤ ، الهمع ١/١٤٣ـ١٤٤ •

(١٩٥) الشرح ٨٧ •

(١٩٦) انظر تفصيل القول في هذه المسالة : الرضي ١/٦٦ ، أوضح المسالك ٨٣ ، ابن عقيل ١/٤١٧ ، الاشموني ٢/٥٤ ، الهمع ١/١٦١ •

للكسائي . قال :

وَمَـــا بِإِلاَّ أَوْ بِإِنَّمَـــا انْحَصَـــر
أَخِّـــرْ وَقَدْ يَسْبِقُ إِنْ قَصْدٌ ظَهَـــرْ

والحق مع ابن الناظم ، ومن تابعه ، لأن المحصور بعد الا فاعلا كان أو مفعولا لايتقدم عليها الا في ضرورة الشعر ، بدليل أن المجوزين للتقديم لم يحفظوا لنا الا شـــواهد شعرية ، من دون ان يستشهدوا بأي من القرآن الكريم ، أو بفصيح من كلام العرب . ولا يمكن أن تكون لغة الشعر وحدها أصلا في التقعيد اللغوي ، لأن لها أحكامها الخاصة بها .

٢ ـ وصحح ابن مالك تقديم الفاعل الملتبس بضمير المفعول نحو : زان نوره الشجر . وهو مذهب الأخفش وابن جني[١٩٧] ، من البصريين ، وأبي عبدالله الطوّال من الكوفيين[١٩٨] . أما ابنـه فقد ذكـــر مذهب الفريقين ، وانتصر لأصحابه جمهور البصريين ، خلافا لأبيه ، وحكم بجواز التقـديم في الضرورة ليس غيره ثم أورد أبياتا شعرية للتدليل على صحـة دعواه[١٩٩] . وما قاله هو الصحيح ، لأن الذين جوزوا تقـــديم الفـــاعل الملتبس بضمير المفعول ، لـــم يستشهدوا بآيات من القرآن الكريم أو من الحديث النبوي الشريف ، أو من منثور العرب الفصيح ، وانما قصروا استشهادهم على الشعر وحده ، والشعر لا يمكن أن يعتمد أصلا في وضع القواعد الكلية للعربية .

المفعول المطلق :

وذهب ابن مالك الى أنه لايجوز حذف عامل المصدر المؤكد . قال :

---

(١٩٧) الخصائص ١/٢٩٤ـ٢٩٨ . وانظر شرح التسهيل ق٢٧ .

(١٩٨) انظر في تفصيل هذه المسألة : الامالي الشجرية ١/١٠٢ ، الرضي ١/٦٤ ، اوضح المســالك ٨٣ ، الاشـــموني ٢/٥٥ ، التصـريح ١/٢٨٣ ، الهمع ١/٦٦ .

(١٩٩) الشرح ٨٧ـ٨٨ .

وَحَذْفُ عَامِلِ الْمُؤَكِّدِ امْتَنَعْ
وَفِي سِوَاهُ لِدَلِيلٍ مُتَّسَعْ

ونازعه ابنه في قوله هـذا ولم يرتض به ، وأجاز الحذف اذا دل عليه دليل ، حملا على حذف عامل المفعول به وغيره ، ولا فرق عنده في ذلك بين ان يكون المصدر مؤكدا أو مبينا . وقد ذكر رأي أبيه في المنع وتعليله له ورده عليه . فقال : « والذي ذكره الشيخ رحمه الله في هـذا الكتاب وفي غيره أنّ المصدر المؤكد لا يجوز حذف عامله . قال في شـرح الكافية : لأن المصدر المؤكد يقصد به تقوية عامله وتقرير معناه وحذفه منـاف لذلك فلم يجز . فانْ أراد أنّ المصدر المؤكد يقصد به تقـوية عامله وتقرير معناه دائما فلا شك أن حذفه منـاف لذلك القصد ولكنه ممنوع ولا دليل عليه . وإنْ أراد أن المصدر المؤكد قد يقصد به التقوية والتقرير وقد يقصد بـه مجرّد التقرير فمسلّم ولكن لا نسلم أن الحذف مناف لذلك القصد لأنه اذا جاز أن يقرر معنى العـامل المذكور بتوكيده بالمصدر فلأن يجـوز أن يقرر معنى العامل المحذوف لدلالة قرينة عليه أحق وأولى . ولو لم يكن معنا مايدفع هذا القياس لكان في دفعه بالسماع كفـاية ، فانهم يحذفون عامل المؤكد حذفا جائزا اذا كان خبرا عن اسـم عين في غير تكرير ولا حصر نحو : أنت سيرا وسيرا وحذفا واجبا ... نحو سقيا ورعيا وحمدا وشكرا لا كفرا . فمنع هذا أما لسهو عن وروده وأما للبناء على أنّ المسـوغ لحذف العامل منـه نية التخصيص وهو دعوى على خلاف الأصل ولا يقتضيها فحوى الكلام»[٢٠٠] .

وقد استجاد ابن هشام[٢٠١] منازعة ابن الناظم أباه ، وأيّد ابن الناظم

---

(٢٠٠) الشرح ١٠٤ .

(٢٠١) مغني اللبيب ١٥٩/٢ (الطبعة الحلبي) . وانظر أيضـا : أوضح المسالك ١٠١ .

أيضا كل من المكودي[٢٠٢] والاشموني[٢٠٣] وخالد الأزهري[٢٠٤] ومحمد الامير[٢٠٥] والخضري[٢٠٦] على حين انتصر ابن عقيل[٢٠٧] والشاطبي[٢٠٨] والانصاري[٢٠٩] والملوي[٢١٠] لابن مالك وردوا على ابنه بكلام طويل لا يتسع المقام لذكره كله ، واكتفي هنا بذكر رد ابن عقيل عليه . قال : « وقول ابن المصنِّف : إنَّ قوله : وحذف عامل المؤكد امتنع ، سهو منه ؛ لأن قولك : ضربا زيدا ، مصدر مؤكد ،وعامله محذوف وجوبا كما سيأتي ، ليس بصحيح . وما استدل به على دعواه من وجوب حذف عامل المؤكد بما سيأتي ليس منه ، وذلك لأن (ضربا زيدا) ، ليس من التأكيد في شيء ، بل هو أمر خال من التأكيد بمثابة (اضرب زيدا) ، لأنه واقع موقعه ، فكما أن (اضرب زيدا) ، لا تأكيد فيه ، كذلك (ضربا زيدا) ، وكذلك جميع الأمثلة التي ذكرها ليست من باب التأكيد في شيء ، لأن المصدر فيها نائب مناب العامل ، دال على مايدل عليه ، وهو عوض منه ، ويدل

---

(٢٠٢) شرح المكودي ٨١ .

(٢٠٣) الاشموني ١١٩/٢ .

(٢٠٤) التصريح ٣٢٩/١ـ٣٣٠ .

(٢٠٥) حاشية الامير على المغني ١٥٨/٢ .

(٢٠٦) حاشية الخضري على المغنى ١٩٦/٢ . حاشيته على ابن عقيل ١٨٩/١ .

(٢٠٧) ابن عقيل ٤٧٧/١ـ٤٧٨ .

(٢٠٨) التصريح ٣٢٩/١ـ٣٣٠ .

(٢٠٩) حاشية الانصاري ١٢٤ـ١٢٥ .

(٢١٠) حاشية الملوي على المكودي ٨١ . وقد ذهب الاستاذ عباس حسن في النحو الوافي ١٧٨/٢ـ١٧٩ الى أن «الافضل اعتبار المصدر النائب عن عامله قسما مستقلا بذاته يزاد على الاقسام الثلاثة المشهورة ...» . ويغلب على ظنّي أنه مما استفاده من حاشية الصبان (١١٦/٢) . قال الصبان في معرض ذكر رد ابن عقيل على ابن الناظم «.. ولا يخفى أن دليله الاول لا يأتي في نحو : أنت سيرا ، وانه ملزم من كلامه زيادة أقسام المصدر على الثلاثة المذكورة في قوله توكيدا أو نوعا ... الخ» .

على ذلك عدم جواز الجمع بينهما ولا شيء من المؤكدات يمتنع الجمع بينها وبين المؤكد»[٢١١] .

إن ذكر الفعل او عدمه ، لا علاقة له بالعامل أو المعمول . والمعول عليه في ذلك هو الدلالات القولية والحالية المقتضية لذكر الفعل أو عدمه ، فان اقتضى المقام ذكر الفعل لضرورة لغوية ذكر[٢١٢] ، والا فلا يذكر . لأن ذكره يصبح من لغو القول ومرذوله . والاختصار الموفي بالمقام من أبرز خصائص اللغة العربية ، ومن أهم أسرار عبقريتها الرائعة[٢١٣] . ومن هنا يمكن أن نقول بوجاهة ما ذهب اليه ابن الناظم ، بغض النظر عن رأيه في كون الفعل غير المذكور عاملا .

الظـــرف :

١ ـ وذهب ابن الناظم الى أن اسم المكان المبهم كمذهب ومرمى ، مشتق « من اسم الحدث الذي اشتق منه العامل ... »[٢١٤] وما قاله موافق لمذهب البصريين[٢١٥] . أما أبوه ، فقد ذهب الى أنه مشتق من الفعل الماضي . قال في الألفية :

وَكُلُّ وَقْتٍ قَابِلٌ ذَاكَ وَمَا
يَقْبَلُهُ المَكَانُ إلاَّ المُبْهَمَا

---

(٢١١) ابن عقيل ١/٤٧٧ـ٤٧٨ .

(٢١٢) وقد نبه ابن هشام على العلاقة بين الدلالات المقالية أو الحالية ، وبين ذكر الفعل وحذفه . قال في أوضح المسالك ١٠١ : « اتفقوا على انه يجوز لدليل مقالي أو حالي حذف عامل المصدر غير المؤكد كأن يقال : ماجلست، فتقول : بلى جلوسا طويلا ، أو بلى جلستين ، وكقولك لمن قدم من سفر : قدوما مباركا » .

(٢١٣) انظر : دراسات في فقه اللغة العربية ـ للدكتور السيد يعقوب بكر ١٥ـ١٦ .

(٢١٤) الشرح ١٠٨ .

(٢١٥) ابن عقيل ١/٤٩٥ .

نَحْوُ النَّجِهَاتِ وَالْمَقَادِيرِ وَمَا
صِيغَ مِنَ الْفِعْلِ كَمَرْمَى مِنْ رَمَى

٢ ـ وذهب ابن الناظم الى أن المصدر « لو كان مشتقا من غير ما اشتق منه العامل كما في نحو : ذهبت في مرمى عمرو ، ورميت في مذهب زيد ، لم يجز في القياس أن يجعل ظرفا ، وان استعمل شيء منه ظرفا عد شاذا كقولهم هو مني مقعد القابلة ، وعمرو مزجر الكلب وعبدالله مناط الثريا ... »(٢١٦) .

وما قاله ، موافق لمذهب سيبويه(٢١٧) . أما الكسائي(٢١٨) ، فانه يقيس عليه . وظاهر كلام ابن مالك في قوله :

وَقَدْ يَنُوبُ عَنْ مكَانٍ مَصْدَرُ البيت

أنه يجيزه على قلة(٢١٩) .

الحال :

وجوز ابن مالك في شرح التسهيل ، مجيء الحال من المضاف اليه ، اذا كانت الاضافة غير محضة ، نحو : « هذا شارب السويق ملتوتا الآن أو

---

(٢١٦) الشرح ١٠٨ .

(٢١٧) الكتاب ١/٢٠٥ـ٢٠٦ . وانظر أيضا : الامالي الشجرية ٢/٢٥٤ـ٢٥٥ ، الرضي ١/١٧٠ ، ابن عقيل ١/٤٩٨ ، الاشموني ٢/١٣١ـ١٣٢ .

(٢١٨) منهج السالك ١٥١ .

(٢١٩) انظر : ابن عقيل ١/٤٩٨ . ولابن مالك رأي في شرح العمدة (ق ١١٠) يختلف عما في الالفية . قال : « ... ولا يكون ظرفا قياسيا الا اذا كان العامل فيه موافقا له في الرجوع الى أصل واحد في اللفظ والمعنى كقولك قعدت مقعد زيد واضطجعت مضطجع عمرو فلو قلت نمت مقعد زيد أو جلست مضطجع عمرو لم يجز فان ورد شيء من ذلك عن العرب قبل وحكم بشذوذه كقولهم في السامي الدرجة هو مناط الثريا وفي المحتقر هو مزجر الكلب وفي القريب هو مقعد القابلة وفي المتمكن من الاسرار هو مقعد الازار فلا يقاس على هذا النوع .. » .

غدا »[٢٢٠] وجوز أيضا تقديمها عليه ، بحجة « ان الاضافة في نية الانفصال لايعتد بها »[٢٢١] • ووافق ابن الناظم أباه في مجيء الحال من المضاف اليه اذا كانت الاضافة غير محضة ، ولكنه خالفه في تقديمها عليــــه « واقعــة بعد المضاف لئلا يلزم الفصل بين المضاف والمضاف اليه »[٢٢٢] •

ولم يعبأ بموافقته اياه هنا ، في مجيء الحال من المضاف اليه ، اذا كانت الاضافة غير محضة ، بعد صفحة واحدة فقط • وتابع جمهور النحاة في عدم جواز مجيء الحال من المضاف اليــــه الا اذا كان المضاف عاملا في الحال أو جزء ما أضيف اليه أو مثـــل جزئه ، فان لم يكن شيئا من ذلك امتنع مجيء الحال من المضاف اليه ••• »[٢٢٣] • وقد تنبه الأشموني الى ذلك ، فبعـد أن ذكر قول ابن مالك قال : « ••• لكن في كلام ولده وتابعه عليه صاحب التوضيح ما يقتضي التسوية في المنع »[٢٢٤] •

التمييــز :

ذهب سيبويه الى أنه لا يجوز أن يتقـــدم التمييز على عاملـــه ، فلا

---

(٢٢٠) شرح التسهيل ق ١٢٤ ، وانظر أيضا : الاشموني ٢/١٨٤ •

(٢٢١) شرح التسهيل ق١٢٤ ، التصريح ١/٣٨٠ • ولابن مالك رأي في شرح العمدة (ق١٢٤) يختلف عن رأيه في شرح التسهيل • قال : « نسبة المضاف اليه من المضاف نسبة الصلة من الموصول فلا يتقدم حـــال المضاف اليه على المضاف كما لايتقدم حال الصلة على الموصول • فلا يقول في عرفت مشي الزيدين مسرعين ، عرفت مسرعين مشي الزيدين كما لايقال في هـــذ القائم مسرعا هذا مسرعا القائم • وبعض النحويين أجاز ذلك فيما اضافته غير محضة نحو هذا شارب السويق ملتوتا لأن المضاف في تقدير التنوين فيجوز مع تقديره مايجوز مع وجوده نحو هـذا ملتوتا شـــارب الســـويق والمنع عندي أولى » •

(٢٢٢) الشرح ١٢٨ •

(٢٢٣) الشرح ١٢٩ •

(٢٢٤) الاشموني ٢/١٨٤ •

متصرفا كان أم لا[٢٢٥] ، « لأن الغـالب في التميز المنصوب بفعـل متصرف كونه فاعلا في الأصل وقد حول الاسناد عنه الى غيره لقصد المبالغـة فلا يغير عما كان يستحق من وجوب التأخير لما فيه من الاخلال بالأصل وحجتهم أنه فعل متصرف »[٢٢٦] .

وذهب الكسائي والمازني والمبرد[٢٢٧] الى جواز تقـديم التمييز اذا كان عامله فعلا متصرفا ، محتجين على ماذهبوا اليه بالنقل كقول الشاعر :

أَتَهْجُرُ سَلْمَى بالفِرَاقِ حَبِيبَهَا
وَمَا كَانَ نَفْساً للفِرَاقِ تَطِيبُ[٢٢٨]

وبالقياس ، حملا ، للتميز على غيره من الفضلات المنصوبة بفعـل متصرف . واختار ابن مالك هذا المذهب[٢٢٩] . أما ابنه فقد ذكـر رأي كلا الفريقين

---

(٢٢٥) الكتاب ١/١٠٥ (طبعة بولاق) . وقد زاد عبدالسلام هارون في طبعته (١/٢٠٥) على ماهو موجود في طبعة بولاق ، ونبه على ذلك في الحاشية.

(٢٢٦) الشرح ١٣٩ .

(٢٢٧) المقتضب ٣/٣٦ـ٣٧ . وانظر أيضا : الاصول ١/٢٦٩ ، الايضاح العضدي ٢٠٣ـ٢٠٤ ، الخصائص ٢/٣٨٤ ، الانصاف المسالة ١٢٠ ، أسرار العربية ١٩٦ـ١٩٧ ، ابن يعيش ٢/٧٤ ، الرضي ١/٢٠٤ـ٢٠٥ ، التصريح ١/٤٠٠ ، الاشباه والنظائر ٢/٢٤٢ـ٢٤٣ ، الهمع ١/٢٥٢ ، الدرر اللوامع ١/٢٠٨ ، أبو عثمان المازني ٢١٢ .

(٢٢٨) قال أبو علي الفارسي في الايضاح العضدي (٢٠٣) بعـد أن أورد البيت :

« قال ابو اسحاق (ويعني الزجاج) الرواية :

.... وَمَا كَانَ نَفْسِي بِالفِرَاقِ تَطِيبُ »

(٢٢٩) قال ابن مالك في شرح العمدة ق١٣٠ : « واذا كان عامل التمييز غير فعل أو فعلا غير متصرف لم يجز تقديم التمييز عليه باجماع فان كان فعلا متصرفا نحو طاب زيد نفسا لم يجز عند سيبويه التقديم وجاز عند الكسائي والمازني والمبرد وبقولهم أقول قياسـا على سائر الفضلات المنصوبة بفعل متصرف ولأن ذلك وارد في الكلام الفصيح كقول ربيعة بن مقروم الضبي :

وواردة كأنهـا عصب القطـا   تثير عجاجا بالسنابك أصهبـا

المانعين والمجوزين ، وحججهما ، ومن ثم انتصر لسيبويه فقال : « والقول ما قاله سيبويه ، لأن الفاعل لا يتقدم على عامله ، فان قلت فما تقول في التقديم في نحو قول ربيعه بن مقروم :

وَوَارِدَةٍ كَأَنَّهَا عُصَبُ الْقَطَا
تُثِيرُ عَجَاجاً بِالسَّنَابِكِ أَصْهَبَا
رَدَدْتُ بِمِثْلِ السِّيدِ نَهْدٍ مُقَلِّصٍ
كَمِيشٍ إِذَا عِطْفَاهُ مَاءً تَحَلَّبَا

وقول الآخر :

وَلَسْتُ إِذَا ذَرْعاً أَضِيقُ بِضَارِعٍ
وَلَا يَائِسٍ عِنْدَ التَّعَسُّرِ مِنْ يُسْرِ

وقول الآخر :

أَتَهْجُرُ لَيْلَى لِلْفِرَاقِ حَبِيبَهَا
وَمَا كَانَ نَفْساً بِالْفِرَاقِ تَطِيبُ

قلت هو مستباح للضرورة كما استبيح بها تقديم التمييز على العامل غير المتصرف فيما ندر من قول الراجز :

وَنَارُنَا لَمْ يُرَ نَاراً مِثْلُهَا
قَدْ عَلِمَتْ ذَاكَ مَعَدٌّ كُلُّهَا(٢٣٠)

رددت بمثل السيد نهد مقلص كميش اذا عطفاه ماء تحلبا
ومثله قول بعض الطائيين :

أَنَفْساً تَطِيبُ بِنَيْلِ الْمُنَى
وَدَاعِي الْمَنُونِ يُنَادِي جِهَارَا

ومثله :

ضَيَّعْتُ حَزْمِي فِي إِبْعَادِيَ الْأَمَلَا
وَمَا ارْعَوَيْتُ وَرَأْسِي شَيْباً اشْتَعَلَا »

وانظر أيضا : التسهيل ١١٥ ، شرحه ق ١٣٢ .

(٢٣٠) الشرح ١٣٩ .

وعندي ، ان منع سيبويه ومن تابعه من النحــاة ، ومنهم ابن الناظم ، متجه ، بغض النظر عن حججهم العقليــة في المنع ، لأن حجج مخـالفيهم ، اعتمدت على النقل ، وكان شعرا فقط ، والشعر له أحكام ، وقد قيـل يجوز للشاعر ما لا يجوز للناثر ، ولذلك لا يعتد بالشواهد الشعرية ان لم يعضدها شواهد من النثر الفصيح في وضع القواعد • واعتمدت حججهم أيضـا على القياس[٢٣١] ، وهـو تحكيـم النظر العقلي في تقعيد اللغـة ، وهـذا مـا لا يركن اليه •

اعمال اسم الفاعل :

وذهب ابن مالك الى أن من شروط اعمال اسم الفاعل ، هـو أن يلي حرف نداء • قال :

كَفِعْلِهِ اسْمُ فَاعِلٍ فِي الْعَمَلِ
إِنْ كَانَ عَنْ مُضِيِّهِ بِمَعْزِلِ

وَوَلِيَ اسْتِفْهَاماً أَوْ حَرْفَ نِدَا
أَوْ نَفْياً أَوْ جَا صِفَةً أَوْ مُسْنَدَا

ولم يرتض ابنه بقوله هذا فقـال : « المسوغ لاعمال طالعـا (يقصد في نحو : يا طالعا جبلا) هو اعتماده على موصوف محذوف تقديره : يا رجـلا طالعا جبلا ، وليس المسوغ الاعتماد على حرف النداء ، لأنه ليس كالاستفهام والنفي في التقريب من الفعل لأن النداء من خواص الأسماء »[٢٣٢] وقد لقي ردُّه هذا على أبيه موافقة أبي حيان ، فوصفه بانه متجه[٢٣٣] • وشارك ابن

---

(٢٣١) القياس الذي ذكره ابن مالك قياس عقلي وليس بقياس مشـابه حتى يأخذ به في بناء قواعد كلية •

(٢٣٢) الشرح ١٦٣ •

(٢٣٣) منهج السالك ٣٢٦ـ٣٢٧ •

هشام ابن الناظم الرأي ، ووصف قول ابن مالك بالسهو[٢٣٤] على حين انتصر الدنوشري لابن مالك ، وردّ على من نقض رأيه بقوله : « أقول الساهي في هذه المسألة هو ابن هشام ، ومن تكلم على الألفية لأن قول ابن مالك وولي استفهاما ... الخ ليس فيه تصريح بأنه اعتمد عليها بل انه يعمل اذا وليها »[٢٣٥] . وفي دفاع الدنوشري هذا عن ابن مالك مافيه .

ان ما سمّاه البصريون ومنهم ابن الناظم «اسم الفاعل» هو فعل عند الكوفيين . وقد أقرّ بعض الدارسين المحدثين فعليته اذا أفاد التجدد لا الثبوت[٢٣٦] . ولا يتأتى له أن يكون له مفعول الا اذا جاء في سياق فعلي ، كأن يأتي مسبوقا بنفي أو استفهام ، أو أن يأتي وصفا سواء كان حالا أو صفة لموصوف مذكور أو محذوف كما في يا صاعدا جبلا تقديره يا رجلا صاعدا جبلا .

ومن هنا نجد وجاهة نقد ابن الناظم أباه . فليس سبقه بحرف النداء «يا» هو المبيح لأن يكون المنصوب بعده مفعولا به ، وانما المبيح له ذلك ،كونه جاء صفة لموصوف محذوف أي كونه في سياق فعلي وأفاد التجدد .

افعل التفضيل :

١ ـ وذهب ابن الناظم الى أن «مِنْ» في نحو : زيد أفضل من عمرو للغاية[٢٣٧] وفاقا لسيبويه وجمهور البصريين[٢٣٨] . أما أبوه فذهب الى

---

(٢٣٤) اوضح المسالك ١٥٦ .

(٢٣٥) التصريح ٦٧/٢ . وظاهر كلام ابن عقيل (٨٩/٢) ، انه يوافق ابن مالك .

(٢٣٦) مدرسة الكوفة ٣٣٨ وما بعدها ، في النحو العربي نقد وتوجيه ١١٥ ، ١١٩ .

(٢٣٧) الشرح ١٨٧ .

(٢٣٨) الكتاب ٣٠٧/٢ ، المقتضب ٤٤/١ .

أنها للمجاوزة[٢٣٩] .

٢ ـ وذهب ابن مالك في المسألة الكحلية ، الى أن أفعل التفضيل ، متى حسن أن يقع موقعه فعل بمعناه ، صح أن يرفع الظاهر ، وفاقا لابن الحاجب[٢٤٠] قال :

وَرَفْعُهُ الظَّاهِرَ نَزْرٌ وَمَتَى
عَاقَبَ فِعْلاً فَكَثِيراً ثَبَتَا

وقد اشترط ابن الحاجب وابن مالك ، السببية بين الظاهر المرفوع وبين رافعه . ولذلك أجازا «ما رأيت رجلا أحسن منه أبوه»[٢٤١] . وخالفهما بدرالدين ، وفاقا لسيبويه[٢٤٢] ، و «لاكثر النحاة باشتراط كون الفاعل أجنبيا»[٢٤٣] . وعلل عدم «جواز رفع أفعل التفضيل السببي المضاف الى ضمير الموصوف بأن المعتبر في اطراد رفع أفعل التفضيل ، جواز أن يقع موقعه الفعل الذي يبنى منه مفيدا لفائدته»[٢٤٤] وما أورده ابن الحاجب وابن مالك ليس كذلك ، واشترط ابن الناظم كذلك ، متابعة لسيبويه[٢٤٥] ، أن يلي أفعل التفضيل نفيا ، ولم يأخذ بما حكاه يونس عن العرب من رفع أفعل التفضيل الظاهر بلا اعتبار لما اشترطه سيبويه وجمهور النحاة . فقد أجاز يونس مررت برجل أفضل منه أبوه ، وبرجل خير منه عمّه . وقد حكم

---

(٢٣٩) شرح التسهيل ق١٤٨ـ١٤٩ ، ١٦٠ ، شرح العمدة ق٢١٧ـ٢١٨ . وانظر أيضا : المغني ٣٢١/١ ، التصريح ١٠٢/٢ ، الأشموني ٤٦/٣ ، حاشية الانصاري ق٢٥٠ .

(٢٤٠) مجموع مهمات المتون ٤١٤ـ٤١٥ .

(٢٤١) الاشباه والنظائر ٢٥٥/٢ـ٢٥٦ ، ١٧٧/٤ وما بعدها .

(٢٤٢) الكتاب ٢٣٢/١ـ٢٣٣ .

(٢٤٣) الاشباه والنظائر ٢٥٥/٢ـ٢٥٦ .

(٢٤٤) الشرح ١٩٠ . وانظر أيضا : ابن الناظم على الكافية ق٦٥ .

(٢٤٥) الكتاب ٢٣٢/١ .

الرضي على ذلك بعدم شهرته[٢٤٦] وصححه بعض الدارسين المحدثين[٢٤٧]، على حين أن المرفوع في هذين المثالين عند سيبويه ومن تابعه من جمهور النحاة ، مبتدأ وجملة المبتدأ وخبره صفة لـ «رجل»[٢٤٨] .

إنّ النحاة جميعا ، صدروا عن نظرية العامل ، في بحثهم لهذه المسألة النحوية التي طال الخلاف فيها بين علماء النحو عبر تاريخه الطويل ، فأغربوا فيما اختلفوا به . وكل ما في أمر هذه المسألة هو أن يصح مجيء الاسم المرفوع فيها مسندا اليه ، ولا اعتبار لغير ذلك .

البدل :

وذهب ابن الناظم الى أنه : «يبدل المظهر من المضمر نحو : رأيت زيدا إيّاه»[٢٤٩] وفاقا لسيبويه والبصريين[٢٥٠] . وذهب أبوه الى أنه : «لا يبدل مضمر من مضمر ولا من ظاهر . وما أوهم ذلك جعل توكيدا إنْ لم يُفد اضرابا»[٢٥١] لعدم ورود السماع به من العرب لا نثرا ولا نظما[٢٥٢] .

والحق مع ابن مالك ، لأنه لم يرد من العرب ، لا نظما ولا نثرا ،

---

(٢٤٦) الرضي ٢/٢٠٤ .
(٢٤٧) ابن الحاجب النحوي ٢٤٥ .
(٢٤٨) الرضي ٢/٢٠٦ .
(٢٤٩) الشرح ٢١٧ .
(٢٥٠) الكتاب ١/٣٩٣ ، المقتضب ٤/٢٩٦ .
(٢٥١) التسهيل ١٧٢ .
(٢٥٢) قال ابن مالك في شرح العمدة ق١٦٢ـ١٦٥ : « ويبدل الظاهر مطلقا ، ولا يبدل المضمر أصلا ... وقولي ولا يبدل المضمر أصلا نبهت به على خلاف ما زعمه اكثر النحويين في رأيتك إيّاك ... وقد تكلّف بعض المتأخرين وصوروا أمثلة تتضمّن جعل المضمر بدلا نحو : يد زيد قطعها اياها . ويكفي في رد هذه الامثلة أن مثله لم تستعمله العرب نثرا ولا نظما » . وانظر أيضا : حاشية الانصاري ق٢٩٤ ، شرح التصريح ٢/١٩ـ١٦٠ ، الاشموني وحاشيته ٣/١٣٢ـ١٣٣ ، الهمع ٢/١٢٨ .

مجيء ماقرره البصريون ومنهم ابن الناظم • وما مثلوا به من أمثلة ، فهو من قبيل الأمثلة الصناعية التي الجأتهم اليها القسمة العقلية • وقد تنبه ابن هشام الى ذلك فقال : « ولا يبدل مضمر من ظاهر • ونحو : رأيت زيدا إيَّاه ، من وضع النحويين »(٢٥٣) •

إعراب الفعل المضارع :

١ ـ اتفق البصريون والكوفيون جميعا على أن الفعل المضارع معرب اذا لم يتصل آخره بنون التوكيد الثقيلة أو الخفيفة أو بنون النسوة(٢٥٤) •

واختلفوا في علة اعرابه(٢٥٥) • واختلف ابن الناظم وأبوه ، تبعا لاختلاف منهجيهما • فذهب ابن الناظم الى أن المضارع أعرب « حملا على الاسم لشبهه في الابهام والتخصيص ودخول لام الابتداء والجريان على حركات اسم الفاعل وسكناته »(٢٥٦) • وما ذهب اليه هو مذهب البصريين(٢٥٧) • أما أبوه فقد ركّب من مذهب البصريين والكوفيين مذهبا أخذ فيه من البصريين القول بأن الاعراب أصل في الأسماء فرع في الأفعال • وأخذ فيه من الكوفيين القول بأن المضارع أعرب لأنه يعرض له بعد التركيب معان « مختلفة تتعاقب على صيغة واحدة كما يعرض ذلك في الاسم ولا يميز بينها

---

(٢٥٣) اوضح المسالك ١٩٤ـ١٩٠ • وكل مامثل به المبرد في المقتضب ٢٩٦/٤ هو : رأيت زيدا اياه وأخوك زيدا رأيته • وفي هذين الشاهدين المصنوعين مافيهما •

(٢٥٤) من الجدير بالذكر ان ابن مالك قال في شرح العمدة (ق٨٢) : « اذا لم يتصل المضارع بنون الاناث ولا بنون توكيد ثقيلة ولا خفيفة وجب رفعه ومذهب البصريين أن رافعه هو وقوعه موقع الاسم • ومذهب الفراء أن رافعه هو تعريه من الناصب والجازم » • ولم يذكر ابن مالك اكثر من ذلك•

(٢٥٥) الايضاح في علل النحو ٧٧ـ٧٨ ، مسائل خلافية ٨٩ ، الانصاف المسألة ٧٣ ، أسرار العربية ٢٥ـ٢٧ ، الرضي ٢١٠/٢ ، الهمع ١٥/١ •

(٢٥٦) الشرح ٨ •

(٢٥٧) الكتاب ٣/١ ، المقتضب ١/٢ ، الاصول ٤١/١ـ٤٢ •

الا الاعراب كما في المسألة لا تأكل السمك وتشرب اللبن فلما كان الاسم والفعل شريكين في قبول المعاني بصيغة اشتركا في الاعراب »[٢٥٨] .

٢ ـ وذهب ابن الناظم الى أن الفعل المضارع المجزوم في نحو : زرني أزرك ، مجزوم عند سقوط الفاء بأن مقدرة حذفت مع فعلها[٢٥٩] . وما ذهب اليه موافق لمذهب الجمهور[٢٦٠] . وذهب ابن مالك الى أن الفعل المضارع المجزوم في المثال المذكور يجزم عند سقوطها (يعني الفاء) بما قبلها (أي بالطلب) ، لما فيه من معنى الشرط لا بـ (أن) مضمرة ، خلافا لمن زعم ذلك »[٢٦١] . وما ذهب اليه ابن مالك ، موافق لمذهب الخليل وسيبويه[٢٦٢] .

ورد ابن الناظم مذهب الخليل ومن تابعه بأنه «مشكل لأن معنى الشرط لابد له من فعل الشرط ولا يجوز أن يكون هو الطلب بنفسه ولا مضمنا له مع معنى حرف الشرط لما في ذلك من التعسُّف ولما فيه من زيادة مخالفة الأصل ، ولا مُقدَّرا بعده لقبح اظهاره بدون حرف الشرط بخلاف إظهاره معه»[٢٦٣] .

وذكر الصبَّان أن ابن مالك أبطل مذهب الجمهور «بقوله تعالى : (قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلاةَ) قال : لأن تقدير أداة الشرط يستلزم أن لا يتخلف أحد من المقول له ذلك عن الامتثال ، لكن التخلف واقع»[٢٦٤] . وأجاب ابنه عن اعتراضه فقال : «جوابه من وجهين : أحدهما

---

(٢٥٨) الهمع ١٨/١ ، وانظر أيضا شرح التسهيل ق٦ ، حاشية الانصاري ق١١ـ١٢ .

(٢٥٩) الشرح ٢٦٨ .

(٢٦٠) المقتضب ٨٤/٢ ، المفصل ٢٥٢ ، الامالي الشجرية ١٩٢/٢ ، الرضى ٢٤٧/٢ ، البحر المحيط ٤٢٦/٥ ، التصريح ٢٤١/٢ .

(٢٦١) التسهيل ٢٣٢ . وانظر ايضا : شرح العمدة ٨٧ـ٨٨ .

(٢٦٢) الكتاب ٤٤٩/١ .

(٢٦٣) الشرح ٢٦٨ .

(٢٦٤) الصبان ٣١٤/٣ .

لا نسلم أن الحمل على ذلك يستلزم ألا يتخلف أحد من المقول لهم عن الطاعة ، لأن الفعل مسند اليهم على سبيل الاجمال لا الى كل واحد منهم ، فيجوز أن يكون التقدير : (قُلْ لِعِبَادِي أَقِيموا الصَّلاةَ) يقمها أكثرهم ثم حذف المضاف وأتيم المضاف اليه مقامه فاتصل الضمير تقديرا موافقا لغرض الشارع وهو انقياد الجمهور . الثاني سلمنا أن الحمل على ذلك يستلزم ألا يتخلَّف أحد من المقول لهم عن الطاعة لكن لا نسلم أن الواقع بخلاف ذلك لجواز ألا يكون المراد بالعباد المقول لهم كل من أظهر الايمان ودخل في زمرة أهله بل خلَّص المؤمنين ونجباؤهم وأولئك لا يتخلف أحد منهم عن الطاعة أصلا»[٢٦٥] .

ما ومهما :

ذهب ابن مالك الى أنه «قد ترد (ما) و (مهما) ظرفي زمان»[٢٦٦] . ونقل الأشموني عنه أنه «قال في شرح الكافية : جميع النحويين يجعلون (ما) و(مهما) مثل (من) في لزوم التجرد عن الظرفية مع أن استعمالهما ظرفين ثابت في اشعار الفصحاء من العرب»[٢٦٧] وبعد ما نقل قول ابن مالك قال الاشموني : «وأنشد أبياتا منها في (ما) قول الفرزدق :

وَمَا تَحْيَ لا أَرْهَبْ وإنْ كُنْتُ جَارِماً
وَلَوْ عَدَّ أَعْدَائِي عَلَيَّ لَهُمْ دَخْلا

(٢٦٥) الشرح ٢٧١ .

(٢٦٦) التسهيل ٢٣٦ .

(٢٦٧) الاشمونى ٤/١١ . وفي دعوى ابن مالك أن « جميع النحويين يجعلون (ما) و (مهما) في لزوم التجرد عن الظرفية .. » نظر . فقد قال الزمخشري في الكشاف (٢/١٤٦) وهو يتكلم عن مهما : « وهذه الكلمة في عداد الكلمات التي يحرفها من لا يد له في علم العربية ، فيضعها غير موضعها. ويحسب مهما بمعنى متى ما ، ويقول مهما جئتني أعطيتك ، وهذا من موضعه، وليس من كلام واضع العربية في شيء ، ثم يذهب فيفسر (مَهْمَا تَأتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ) بمعنى الوقت ، فيلحد في آيات الله وهو لايشعر ... » .

وقول ابن الزبير :

فَمَا تَحْيَ لا تَسْأَمْ حَيَاةً وَإِنْ تَمُتْ
فَلا خَيْرَ فِي الدُّنْيَا وَلا الْعَيْشَ أَجْمَعَا

وفي (مهما) قول حاتم :

وَإِنَّكَ مَهْمَا تُعْطِ بَطْنَكَ سُؤْلَهُ
وَفَرْجَكَ نَالا مُنْتَهَى الذَّمِّ أَجْمَعَا

وقول طفيل الغنوي :

نُبِّئْتُ أَنَّ أَبَا شُتَيْمٍ يَدَّعِي
مَهْمَا يَعِشْ يَسْمَعْ بِمَا لَمْ يَسْمَعِ

وخالفه ابنه بدرالدين ، في شرحه على التسهيل وأورد الأبيات التي استشهد بها أبوه وقال : «ولا أرى في هذه الأبيات حجة لأنه كما يصح تقدير (ما) و (مهما) فقط بظرف زمان ، كذلك يصح تقديرهما بالمصدر .... لكن يتعين جعل (ما) و (مهما) في الأبيات المذكورة مصدرين لأن في كونهما ظرفين شذوذ أو قد لا يعرفه جميع النحويين بخلاف ما كونهما مصدرين لأنه لا مانع من أن يكنى بـ (ما) و (مهما) عن مصدر فعل الشرط . ثم لا مانع من أن يكنى بهما عن المفعول ونحوه ... »(٢٦٨) .

وقد تقفى أبو حيان أثر ابن الناظم ونقد ابن مالك . قال : « ... وهذا الذي أنكره الزمخشري من أن (مهما) لا تأتي ظرف زمان ، قد ذهب اليه ابن مالك . ذكره في التسهيل وغيره من تصانيفه الا أنه لم يقصر مدلولها على أنها ظرف زمان بل قال : (وقد ترد ما و مهما ظرفي زمان ، وقال في أرجوزته الطويلة المسماة بالشافية الكافية :

وَقَدْ أَتَتْ (مَهْمَا) وَ (مَا) ظَرْفَيْنِ فِي
شَوَاهِدٍ مَنْ يَعْتَضِدْ بِهَا كُفِي

---

(٢٦٨) اشرح التسهيل ق٢٢٤ .

وقال في شرح هذا البيت : جميع النحويين يجعلون (ما) و (مهما) مثل (من) في لزوم التجرد عن الظرف مع أن استعمالهما ظرفين ثابت في استعمال الفصحاء من العرب وأنشد أبياتا عن العرب زعم فيها أن (ما) و (مهما) ظرفا زمان . وكفانا الرد عليه فيها ابنه الشيخ بدرالدين محمد ...ه[269] .

وأرى أن ماذهب اليه ابن مالك أسلم ، لأن في تأويل المستشهد به تكلف لا داعي له .

(٢٦٩) البحر المحيط ٤/٣٧١-٣٧٢ ، وقد أعاد كلامه هذا في النهر الماد ٤/٣٧١ وفي البحر المحيط أيضا (٢/٢٣١) كلام شبيه بكلامه هذا ، فقد ذكر راي ابن مالك ، واشار الى تأويل ابنه .

الباب الثالث

آراؤه ومذهبه النحوي

الفصـــل الأول
آراؤه
وموقف النحاة منــه

كان عصر النحاة واللغويين المتقدمين ، كأبي عمرو بن العلاء والخليل ويونس وسيبويه والكسائي والفراء ، عصـر نهوض حضاري ، شـمل جميع مجالات الحياة عند العرب والمسلمين • وكانت الجهود الضخمة التي حققهـا أولئك النحاة واللغويون في مجال الدراسات اللغوية والنحوية من أهم معالم ذلك النهوض •

وكان «الكتاب» لسيبويه و «معاني القرآن» للفراء تتويجا لتلك الجهود ، حتى يكاد النحو يكون مكتملا في «الكتاب» ، لأنه حصيلة جهود طائفـة كبيرة من الدارسين النحويين ، وفي مقدمتهم الخليل •

وقد امتازت الآراء النحويـة في «الكتاب» و «معاني القرآن» بطـابعها اللغوي ، على الرغم مما شاب طائفة منها من أصول علم المنطق ، حيث تأثرت الحياة الفكرية وقتذاك بهذا العلم •

وقد اعتمد النحاة الأوائل في وضع قواعد اللغة على أصول لغوية ، كان في مقدمتها القرآن الكريم والفصيح من كلام العرب منظومه ومنثوره • فأبو عمرو بن العلاء والكسائي من القراء السبعة ، ومن الذين شافهوا الأعراب وأخذوا عنهم • ولم يستطع النحاة الذين جاؤا بعدهم أن يضيفوا الى ماورثوه من أعمـال الأوائل الا قليلا من الآراء التي كانت ذات طـابع اجتهـادي غلب عليـه التعليل والتـأويل • وعلى الرغم من الجهود الضخمـة المفيدة التي بذلوها ، فانهم لم يخرجوا فيها عن الاصول التي أرسى دعائمها الخليل وسيبويه في الكتاب ، وبقيت جهودهم ذات طبيعـة تعليمية • ومن ينظر في طائفة منها كالمقتضب والاصول يتبين هذه الظاهرة •

وعلى اية حال ، فان النحاة المتقدمين قد أشبعوا مسائل النحو درسا وتمحيصا ، ونفذوا الى آراء في أغلبها • وهذا أبو الحسن الرماني ، أحد النحاة المبرزين في القرن الرابع للهجرة ، لم يثبت له الدكتور مازن المبارك الا سبع مسائل انفرد بها في مخالفته لسيبويه ، أما المسائل الاخرى التي نسبها اليه المتأخرون ـ وهي اثنتا عشرة مسألة ـ فقد كان مسبوقا بها[1] •

ولقد ورث النحاة المتأخرون ، ومنهم ابن الناظم ، عن المتقدمين ثروة نحوية ضخمة ، ومدروسة دراسة مستفاضا فيها ، حتى لم يعد لهم كبير مجال لأن ينفذوا الى آراء جديدة كثيرة تتسم بطابع لغوي أصيل • وقد عكفوا على هذه الثروة النحوية يدرسونها ويأخذون من آراء المتقدمين طائفة ثم يوجهونها توجيها يتفق وثقافة كل منهم ، ولا تخلو جهودهم من قدحات فكر تتسم بالألمعية والذكاء ، فيما تلمحه عند ابن يعيش وابن مالك والرضي الاستربادي •

وكان المصنفون المتأخرون ، يرون أن الآراء التي تابع فيها المتأخرون المتقدمين ، تعد من جملة آراء هؤلاء المتأخرين أيضا ، وقد نسبوا الى ابن الناظم آراء كثيرة[2] ، كانت لنحاة متقدمين عليه كالزمخشري • وكان صنيعه

---

(١) الرماني النحوي ٢٨١ـ٢٨٢ ، ٢٩٩ـ٣٠٨ ، وكان المسوّغ لاعتمادي على ماذهب اليه الدكتور مازن المبارك ، أنه كان دارسا لشرح الرماني على الكتاب وهو في ظني أوعب كتب الرماني لآرائه •

(٢) كان ابن هشام ، وهو من حذاق النحاة في عصره ، ينسب الى ابن الناظم آراء ، هي في حقيقتها لنحاة متقدمين عليه • وقد نسب آراء في كتبه الى نحاة متقدمين ومتأخرين من دون ان ينص على تبعية المتأخرين للمتقدمين • فكثيرا ما ترد عنده عبارات تشير الى ذلك نحو : ـ وعند الناظم والرماني وابن الطراوة (٢٠) ، و ـ عند الكوفيين وابن مالك (٣٠) ، و ـ وفاقا للخليل وسيبويه (٣٢) ، ـ و وفاقا للزجاج والناظم (٣٣) ، ـ و ـ خلافا للحريري وابن مالك (٧٢) ، و ـ وفاقا للجرمي وابن جني (٧٩) ، و ـ أجاز الاخفش وابن جني والطوّال وابن مالك (٨٣) ، و ـ الاخفش والسيرافي يمنعان (٩٢)،

فيها أن وجهها ، توجيها خاصا حتى بدا لكثير من المصنفين أنها له حقا .

وهذه طائفة من الآراء التي أحسبها أنهـــا من آرائه على الوجه الذي ذكرت ، وسأشير الى موقف المتأخرين منه .

اي المعــارف أعرف ؟

ذهب ابن الناظم الى انه : « قد يكون ضمير الغائب ، ولفظ العلم أعرف الكل (يقصد المعارف) اذا كان ممتنع الالباس . مثاله : الله له ملك السماوات والأرض . بخلاف قول واحد من جماعة مشتبهي الأصوات في ظلمة أنا وأنت لعدم التعيين إذْ ذاك »[٣] .

وكان رأيه هذا نقضا لما ذهب اليه ابن الحاجب . فقد ذهــب الى أنّ أعرف المعارف «المضمر المتكلم ثم المخاطب»[٤] .

إنّ الضمير الغائب في مثال ابن الناظم ، لم يكن أعرف المعارف إلاّ لأنه عاد على لفظ الجلالة ، ولفظ الجلالة أعرف المعارف باتفاق .

نون الوقاية :

١ ـ الحاق نون الوقاية ب «ليت ولعلّ»

وذهب الى أنه يجب الحــاق النون ب «ليت» «نحو : (يا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ)[٥] ولم تترك الا فيما ندر من نحو قوله :

و ـ الكسائي وهشام والسهيلي يوجبون الحذف (٩٨) ، و ـ قال الزجاجي وابن مالك (١١٢) ، و ـ قال الرماني والعكبري (١١٣) ، و ـ قال عيسى والرماني والجرمي (٢٢٢) ، و ـ قال الكوفيون والمبرد والزجاج والزمخشري (٢٣٩) ، و ـ الناظم وابنه (٢٦٥،٢٩١،٢٩٨،٣١٠) . وانظر أيضا : شرح ابن الناظم باب ما لا ينصرف (٣٥٩) .

(٣) ابن الناظم على الكافية ق٥٤ .

(٤) مجموع مهمات المتون ٤٠٨ . وأنظر ايضــا : الرضي ٢/١٣٥ ، والجامي على الكافية ٩٨ . وانظر : الانصاف المسألة ١٠١ ، الاشباه والنظائر ٢/٢٦ وانظر ايضا ١٨٥ من هذه الرسالة .

(٥) النساء/٧٣ .

كَمُنْيَةِ جَابِرٍ إذْ قَالَ لَيْتِي
أُصَادِفُهُ وأَفْقِدُ بَعْضَ مَالِي[6]

وذهب أيضا الى أن الوجه تجرّدُ (لعلّ)من النون نحو قوله تعالى : (لَعَلِّي اطّلِعُ إلى إلهِ موسى)[7] وقوله تعالى : (لَعَلِّي أَبْلُغُ الأسباب)[8] ولا تلحقها النون الاّ في الضرورة كقوله :

فقلت اعيراني القَدُومَ لَعَلَّني
أَخُطُّ بِهَا قبراً لأَبْيَضَ مَاجِدِ[9]

وكان ما قاله ابن الناظم في شرح الألفية ، مبعث نقد ابن هشام ، فقد عدّ ما ذهب ابن الناظم غلطا[10] سهوا[11] ، لأن حذف لنون من ليت لا يكون الا في ضرورة الشعر ، ولأن لحاقها بلعل قليل[12] ، وفاقا لجمهور البصريين[13] . وكان ابن الناظم في (ليتي) ، تابعا لأبيه في قوله :

وَلَيْتَنِي فَشَا وَلَيْتِي نَدَرَا ....

ولا أدري علام اعتمد الناظم وابنه فيما ذهبا اليه ، أعلى السماع الصحيح أم على شيء آخر ؟ . إنّ قول الجمهور ، قول قوي لأنه يعتمد على مجيء حذف النون من ليت في الشعر ضرورة .

---

(٦) الشرح ٢٦ ، ورواية الكتاب ١/٣٨٦ ، ونوادر أبي زيد ٦٨ : «أتلف» بدل «افقد» .

(٧) القصص/٣٨ .

(٨) غافر/٣٦ .

(٩) الشرح ٢٦ ، وانظر ابن الناظم على الكافية ق٤٤ .

(١٠) أوضح المسالك ٢٢ .

(١١) تخليص الشواهد ٣٦ـ٣٩ ، وانظر أيضا : حاشية العبادي باب النكرة والمعرفة (الضمير) ، حاشية الانصاري ق٣٦ـ٣٧ ، شرح التصريح ١/١١١ـ١١٢ ، حاشية السجاعي على ابن عقيل ٣٧ ، فقد نقلت هذه المصادر قول ابن هشام .

(١٢) اوضح المسالك ٢١ ، تخليص الشواهد ٣٦ـ٣٩ .

٢ ـ الحاق نون الوقاية بـ «قد وقط» :

وذهب الى أن حذف نون الوقاية في قَدْ وقَطْ أعرف من إثباتها فيهما، وذكر من شواهدهما قول الشاعر :

إِذَا قَالَ قَدْنِي قَالَ بِاللهِ حِلْفَةً
لِتُغْنِيَ عَنِّي ذَا إِنَائِكَ أَجْمَعَا(١٤)

وقول الآخر :

قَدْنِيَ مِنْ نَصْرِ الْخُبَيْبَيْنِ قَدِي
لَيْسَ الإِمَامُ بِالشَّحِيحِ الْمُلْحِدِ

قال : « فجمع بين اللغتين وفي الحديث قَطْ قَطْ بِعِزَّتِكَ وكَرَمِكَ ».
ويروى بسكون الطاء وكسرها مع ياء ودونها . ويروى قطني وقط قطِ . قال الشاعر :

امْتَلأَ الْحَوْضُ وَقَالَ قَطْنِي
مَهْلاً رُوَيْداً قَدْ مَلأْتَ بَطْنِي(١٥)

---

(١٣) الكتاب ١/٣٨٦ ، نوادر أبي زيد ٦٨ ، المقتضب ١/٢٥٠ . وانظر أيضا : مجالس ثعلب ١/١٠٦ ، منهج السالك ٢٠ ، الهمع ١/٦٤ ، الاشموني ١/١٣٤ ، الخزانة ٢/٤٤٦ .

(١٤) هذه رواية ابن الناظم في شرحه (٢٦) . وذكرها ابن هشام في تخليص الشواهد (٤٢) . وقال : فيكون الشاعر لا ضيفا ولا مضيفا بل حاكيا عن شخصين غيره وأورده بعضهم : اذا قلت قدني قال بالله ...
فيكون الشاعر هو الضيف والصواب العكس . وفي مجالس ثعلب (٢/٥٣٨ـ٥٣٩) وردت الرواية هكذا :

إِذَا قَالَ قَطْنِي قُلْتُ آلَيْتُ حِلْفَةً
لِتُغْنِيَ عَنِّي ذَا إِنَائِكَ أَجْمَعَا

وقال ثعلب شارحا البيت : « قطني حسبي : أي قلت قد حلفت أن تشرب جميع ما في إنائك » .

(١٥) الشرح ٢٦ـ٢٧ . وانظر أيضا : شرح التسهيل للمرادي ١٤٧ ، الهمع ١/٧٤ .

(١٦) التصريح ١/١١٢ .

وغلّطه ابن هشام فيما ذهب اليه «لأن الصواب العكس» على حد قول الازهري[١٦] ، وهو ظاهر كلام الناظم[١٧] . قال ابن هشام : « فان كان لدن أو قط أو قد ، فالغالب الاثبات ، ويجوز الحذف فيه قليلا ، ولا يختص بالضرورة خلافا لسيبويه . غلط ابن الناظم فجعل الحذف في قد وقط أعرف من الاثبات ... وفي حديث النار : (قَطْنِي قَطْنِي و (قَطِي قَطِي) قال :

قَدْنِي مِنْ نَصْرِ الْخُبَيْبَيْنِ قَدِي ....»[١٨]

وعندي انّ القول ما قاله ابن هشام ، لأنه توسَّط في مذهبه بين مذهب الخليل وجمهور البصريين[١٩] المانعين حذف النون من قط وقد الا في ضرورة الشعر ، ومذهب ابن الناظم الذي ذهب الى أن الحذف أعرف من الاثبات . فابن هشام حكم بشذوذ الحذف في قط وقد ، ولم يعده ضرورة لوروده في الحديث الشريف[٢٠] ولم يجعله أعرف من الاثبات فيهما كما فعل ابن الناظم، لأن النصوص الفصيحة لم تكن كثيرة ، ولأن الحديث الشريف رُوِي بالحذف والاثبات .

وليت ابن هشام اقتصر على مذهبه هذا الذي أورده في أوضح المسالك ، ولم يتعسّف في تخليص الشواهد في تأويل قدى في قول الشاعر :

قَدْنِيَ مِنْ نَصْرِ الْخُبَيْبَيْنِ قَدِي
لَيْسَ الامَامُ بِالشَّحِيحِ الْمُلْحِدِ

قال : « ... وأما قوله قدى ، فقال الشارح (يعني ابن الناظم) وغيره انه

---

(١٧) ابن عقيل ١/١٠١ ، الاشموني ١/١٣٥ .
(١٨) اوضح المسالك ٢٢ .
(١٩) الكتاب ١/٣٨٦-٣٨٧ .
(٢٠) كان ابن هشام من النحاة الذين يعتدون بالحديث الشريف أصلا من اصول الاستشهاد النحوي .

شاهد على ترك النون وليس كما قالوا لجواز أن يكون أصله قد ثم ألحق ياء القافية وكسر الدال للساكنين »[٢١] •

وأورد البغدادي قول ابن هشام وقال : « ولا يخفى فساد قوله ثم ألحق ياء القافية فانها دالية لا يائية »[٢٢] •

علة تعريف المنادي النكرة المقصودة :

وذهب الى أن التعريف عارض في النداء ، بسبب القصد والاقبال نحو : يا رجل تريد به معينـا[٢٣] • وذهب غيره الى أن تعريفه «بأل محذوفة ، ونابت (يا) عنها »[٢٤] • وأرى أن ما قاله ابن الناظم هو أقرب الى الصحة ، لما في قول غيره من التكلف •

علة زيادة الألف واللام في الحال :

وجوز زيادة الألف واللام في (الأَذَلَّ) في قراءة الحسن البصري وابراهيم ابن أبي عبلة : « لِنَخْرُجَنَّ الأَعَزَّ مِنْهَا الأَذَلَّ »[٢٥] بالنون ، ونصب (الأعزَّ) على المفعولية و (الأذلَّ) على الحالية[٢٦] «ومعناه : خروج الأذل أو إخراج الأذلَّ أو مثل الأذلَّ»[٢٧] •

وقراءة الجمهور : «لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ» بالياء ، برفع «الأعزُّ» على الفاعلية ونصب «الأَذَلَّ» على المفعولية[٢٨] • وعلل ابن

---

(٢١) تخليص الشواهد ٤١ • وانظر أيضا : المغني ١/١٧١ ، حاشية الانصاري ٣٨ •

(٢٢) الخزانة ١/٤٥١ •

(٢٣) ابن الناظم على الكافية ق٥٤ ، وانظر (١٨٦) من هذه الرسالة •

(٢٤) التصريح ٢/١٦٦ •

(٢٥) المنافقون/٨ •

(٢٦) الشرح ٣٩ •

(٢٧) الكشاف ٤/٥٤٣ •

(٢٨) الكشاف ٤/٥٤٣ ، البحر المحيط ٨/٢٧٤ •

الناظم تجويزه زيادة الألف واللام في «الأذل» بـ «أن الحال كالتمييز ، في وجوب التنكير والشاذ قد يلحق بالمجوز»[٢٩] .

تعدد الخبر :

وذهب الى أن من باب تعدد الخبر لتعدد ما هو له حقيقة والعطف فيه واجب قول الشاعر :

يَدَاكَ يَدٌ خَيْرُهَا يُرْتَجَى
وَأُخْرَى لِأَعْدَائِهَا غَائِظَةْ

ومن باب تعدد الخبر في اللفظ دون المعنى ، (حلو حامض) في نحو : الرمان حلو حامض بمعنى مز ، وضابطه أن لا يصدق الاخبار ببعضه عن المبتدأ[٣٠] ولم يرتض ابن هشام بهذا المذهب ، وزعم أن ما ذهب اليه ابن الناظم ليس من باب تعدد الخبر ، بحجة أن (يداك) في البيت المذكور «في قوة مبتدأين لكل منهما خبر .. وأن (حلو حامض) في المثال «بمعنى خبر واحد أي مز»[٣١] . وبين الصبّان الخلاف بين ابن الناظم وابن هشام فقال : «والمفهوم من اعتراض الموضّح قصر تعدد الخبر على تعدده لفظا ومعنى ، مع اتحاد المبتدأ لفظا .وابن الناظم لايقصره على ذلك»[٣٢] . وانتصر الأنصاري[٣٣] والعبادي[٣٤] والاشموني[٣٥] واللقاني[٣٦] لابن الناظم وردوا ابن هشام بأن ماذكره هو عين ما اعترض به على ابن الناظم .

---

(٢٩) الشرح ٣٩ .
(٣٠) نفسه ٥٠ .
(٣١) اوضح المسالك ٤٢ .
(٣٢) الصبان ١/٢٣٣ .
(٣٣) حاشيته ق ٧٥ .
(٣٤) حاشيته ، باب المبتدأ والخبر .
(٣٥) الاشموني ١/٢٣٢-٢٣٣ .
(٣٦) العليمي على التصريح ١/١٨٢ .

وعندي أنَّ اعتراض ابن هشام سديد وقوي • ويقويه أن الخليل[٣٧] ذهب الى أن كلا اللفظين (حلو" حامض") في نحو : هذا حلو حامض ، خبر لهذا ، لأن معناهما جميعا مز ، أي أنه جمع الطعمين •

تقديم خبر ليس عليها :

تابع ابن الناظم البصريين[٣٨] فأجاز تقديم خبر ليس عليها ، خلافا للكوفيين[٣٩] وابن السراج[٤٠] والناظم[٤١] • ونقل رأي كل من البصريين والكوفيين ، وحججهم ، ثم أورد رأيه • قال : «وأما ليس فمذهب سيبويه[٤٢] وأبي علي[٤٣] وابن بَرهَان جواز تقديم خبرها عليها بدليل جواز تقديم معمول خبرها عليها في نحو قوله تعالى : (أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ

---

(٣٧) الكتاب ٢٥٨/١ ، وانظر أيضا : المقتضب ٣٠٨/٤ •

(٣٨) انظر تفصيل الخلاف بين البصريين والكوفيين في هذه المسألة في : الانصاف المسألة ١٨ ، شرح ابن يعيش ١١٤/٧ ، الرضي ٢٧٦/٢ ، ابن عقيل ٢٤٠/١ ، التصريح ١٨٨/١ ، الهمع ١١٧/١ ، الاشباه والنظائر ٥٧/٢ ، الاشموني ٢٤٦/١ •

(٣٩) لم أجد في معاني القرآن للفراء ومجالس ثعلب وشرح القصائد السبع الطوال والصاحبي والازهية ، رأيا للكوفيين في هذه المسألة •

(٤٠) الاصول ١٠٢/١ • قال ابن السراج : « ولا يتقدم خبر (ليس) قبلها لأنها لم تصرف تصرف كان ••• » •

(٤١) التسهيل ٥٤ ، وقال ابن مالك في منظومته :

ومنع سبق خبر ليس اصطفي •••••••••

(٤٢) لم أجد في الكتاب مايشير الى هذه المسألة ، ولم ترد الآية الكريمة « الا يوم يأتيهم ليس مصروفا عنهم » فيه أيضا •

(٤٣) قال أبو علي في الايضاح العضدي (١٠٠ـ١٠١) : « •• ويستقيم أن تقدم الخبر على الاسم فتقول كان أخاك زيد ••• ويجوز أيضا : منطلقا كان زيد ••• وهكذا خبر ليس في قول المتقدمين من البصريين وهو عندي القياس فتقول : منطلقا ليس زيد • وقد ذهب قوم الى أن تقديم خبر ليس على ليس لا يجوز ••• » •

مَصْرُوفًا عَنْهُمْ»[٤٤] ... وذهب الكوفيون والمبرد[٤٥] وابن السراج الى منع ذلك . قاسوها على عسى ونعم وبئس وفعل التعجب . قال السيرافي بين ليس وفعل التعجب ونعم وبئس فرق ، لأن ليس تدخل على الاسماء كلها مظهرها ومضمرها ومعرفتها ونكرتها ويتقدم خبرها على اسمها ، ونعم وبئس لا يتصل بها ضمير المتكلم ولا العلم وفعل التعجب يلزم طريقة واحدة ولا يكون فاعله الا ضميرا ، فكانت ليس أقوى منهما . قلت : وبين ليس وعسى فرق لأن عسى متضمنة معنى ماله صدر الكلام وهو معنى الترجي في نحو لعل ، وليس بخلاف ذلك لأنها دالة على النفي ، وليس هو في لزوم صدر الكلام كالترجي لأن النفي وان لزم صدر الكلام فيما لم يلزمه فيما عداها فلا يلزم من امتناع التقديم على هذه الافعال امتناع تقديم خبر ليس عليها»[٤٦] .

وليس ما قاله البصريون بجيِّد ، لأن تصحيحهم جواز تقديم خبرها عليها ، حملا على مجيء معمول خبرها متقدما عليها ، غير متجهة لغويا ، ولأنهم لم يعزوا مذهبهم بنقل فصيح .

وعندي أن رأى الكوفيين أقرب الى الصواب ، لأن قياسهم (ليس) على عسى ونعم وبئس وفعل التعجب ، مقبول لغويا ، إذْ أَنَّ هذه الافعال شذت عن التطور ولم تلحق بالافعال الاخرى التي تطورت ، فكانت لها أحكام خاصة . وكان من هذه الاحكام عدم تقدم المنصوب بعدها عليها . وهو مايؤيده واقع الاستعمال اللغوي .

---

(٤٤) هود/٨ .

(٤٥) في شرح ابن الناظم ، وفي أغلب المصادر التي ذكرت هذه المسألة ، أن المبرد ممن وافقوا الكوفيين فيها ، ورجعت الى المقتضب ، فوجدت ظاهر كلامه في (الجزء الاول الصفحة ٤٠٦) ، موافقا للبصريين . قال : « ... الا أن (ليس) يجوز ان تنصب بها مابعد (الا) لانها فعل فتقدم خبرها وتؤخره » .

(٤٦) الشرح ٥٣ .

لات :

وذهب الى أن التاء قد تزاد مع لا النافية العاملة عمل ليس ، « لتأنيث اللفظ والمبالغة في معناه فتعمل العمل المذكور (أي رفع الاسم ونصب الخبر) في أسماء الاحيان لا غير نحو حين وساعة وأوان • والأعرف حينئذ حذف الاسم كقوله تعالى : (وَلاتَ حِينَ مَنَاصٍ)[٤٧] • المعنى ليس هذا الحين حين مناص أي فرار[٤٨] • وأما الساعة والأوان قال الشاعر :

نَدِمَ البُغَاةُ وَلاتَ سَاعَةَ مَنْدَمٍ
وَالبَغْيُ مَرْتَعُ مُبْتَغِيهِ وَخِيمُ

وقال الآخر :

طَلَبُوا صُلْحَنَا وَلاتَ أَوَانٍ
فَأَجَبْنَا أَنْ لَيْسَ حِينَ بَقَاء »

وأورد رأيه في عمل لات في أوان ، وفيما طرأ عليها ، فقال : « أراد ولات أوان صلح • فقطع أوان عن الاضافة في اللفظ ، فبناها وآثر بناءها على الكسر تشبها بنزال ونونها للضرورة»[٤٩] • وعندي ان ما قاله ليس

---

(٤٧) ص/٣ •

(٤٨) وقال ابن الناظم ايضاً في شرحه (٥٨) : « وقد يحذفون خبر لات، ويبقون اسمها كقراءة بعضهم (ولات حين مناص) وهي قراءة عيسى بن عمر كما ذكر ابن السراج في الاصول (١/١١١) والازهري في التصريح (١/٢٠٠)• وما ذهب اليه ابن الناظم هو مذهب سيبويه • قال في (الكتاب ١/٢٩) : « ••• كما أن لات حين مناص لا يكاد يعرف » • وانظر آراء الاخفش والفراء والفارسي في لات واسمها وخبرها في : الاصول ١/١١٢ ، مجمع البيان ٨/٤٨٦ ، الكشاف ٤/٧١ ، منهج السالك ٦٦ ، ابن عقيل ١/٢٧٥-٢٧٦ ، التصريح ١/٢٠٠ ، الهمع ١/١٣٦ ، الاشموني وحاشيته ١/٢٦٦ •

(٤٩) الشرح ٥٨ ، وانظر أيضا شذور الذهب ١٩٩-٢٠١ • واغلب الظن ان ابن الناظم تأثر برأي الزمخشري في الكشاف (٤/٧١) فيما ذهب اليه•

بشيء ، وفيه من التكلف ما لا يخفى • وأولى منه أن نعدُّ لات حرف إضافة في البيت ، وما بعدها مخفوض ، كما قال الفراء(٥٠) •

دخول اللام في خبر (إنَّ) :

وذهب الى أنَّ اللام تدخل على خبر (إنَّ) «بشرط ألا يتقدم معموله عليه»(٥١) نحو : إنَّ زيداً طعامَكَ لآكلٌ • قال الانصاري : « ولم أره لغيره»(٥٢) • ووهَّمه ابن هشام وذكر المثال المذكور ، وزعم أن الوارد منه في التنزيل كثير نحو : «إنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَخَبِيرٌ»(٥٣) • واعتذر الدسوقي عن ابن الناظم فقال : «لبدرالدين أن يجيب عن الآية بأنَّ المعمول ظرف فيغتفر فيه»(٥٤) • وهذا الاعتذار وجيه (ان سلمنا جدلا بنظرية العامل) ، لأن الظروف والمجرورات يتوسع فيها ما لا يتسع في غيرها(٥٥) ، ولأن ابن هشام لم يأت بنصوص فصيحة تؤيد زعمه ، وكل ما جاء به هو مثال مصنوع •

---

(٥٠) معاني القرآن ٢/٣٩٧–٣٩٨ • قال الفراء : وقوله : (فَنَادَوْا وَلاتَ حِينَ مَنَاصٍ) يقول ليس بحين فرار ••• ومن العرب من يضيف لات فيخفض • انشدوني : ••••••• لاتَ ساعةِ مَنْدَمِ •

••• والكلام أن ينصب بها لانها في معنى ليس • أنشدني المفضل :

تَذَكَّرُ حُبَّ لَيْلَى لاتَ
وأَضْحَى الشَّيْبُ قَدْ قَطَعَ القَرِينَا

فهذا نصب • وأنشدني بعضهم :

طَلَبُوا صُلْحَنَا وَلاتَ أَوَانٍ
فَأَجَبْنَا أَنْ لَيْسَ حِينَ بَقَاءِ

فخفض (أوان) فهذا خفض » •

(٥١) الشرح ٦٦ •

(٥٢) حاشيته ق ٦٥ •

(٥٣) حاشية الدسوقي على المغني ١/٢٤٢ •

(٥٤) نفسه •

(٥٥) ابن عقيل ١/٢٦٣ •

معنى اللام في نحو : قلت له :

وذهب إلى أنّ اللام في نحو قولك «قلت له : افعل كذا» للتعدية[٥٦]. ولم يرتض ابن هشام مذهب ابن الناظم ، وعد اللام في المثال للتبليغ[٥٧] ، ووافقه الأشموني[٥٨] . وما قاله ابن هشام أقرب الى الصواب ، لأنّ المفهوم من قولك : قلت له ، بلغته ، فاللام هي التي أفادت التبليغ .

المصدر واسم المصدر :

ذهب الى أن ما «كان أوله ميماً مزيدة لغير المفاعلة كالمَضْرِب والمَحْمَدَة أو كان لغير ثلاثي بوزن الثلاثي كالوضوء والغسل ... اسم مصدر»[٥٩] . وتابعه على مذهبه هذا ابن هشام في التوضيح[٦٠] . أما في شرح الشذور ، فجزم بأن ما كان أوّله ميما مزيدة لغيرة المفاعلة «مصدر في الحقيقة ، ويسمّى المصدر الميمي ، وإنّما سمَّوه أحيانا اسم مصدر تجوزا »[٦١] .

والحق مع ابن هشام في شذوره . ويؤيد ما ذهب اليه أنّ سيبويه قال: «وربما بنوا المصدر على المَفْعِل كما بنوا المكان عليه ...»[٦٢] .

ونقل أبو حيان كلام ابن الناظم نصا وقال : «وهذا الثاني (يقصد ماكان لغير الثلاثي بوزن الثلاثي) عندنا نحن مصدر لا اسم مصدر»[٦٣] .

---

(٥٦) الشرح ١٤٣ .
(٥٧) المغني ١/٢١٥ .
(٥٨) الاشموني ٢/٢٢١ .
(٥٩) الشرح ١٦٠ ، وانظر ايضا : المكودي ١٢١ـ١٢٢ .
(٦٠) اوضح المسالك ١٥٤ ، وانظر ايضا : التصريح ٢/٦٢ .
(٦١) شرح شذور الذهب ٤١٠ـ٤١١ ، وانظر ايضا : التصريح ٣/٦٢ .
(٦٢) الكتاب ٢/٢٤٧ ، وانظر أيضاً : شرح السيرافي لكلام سيبويه ، وما نقله عن الكسائي ، ورده عليه .

نعت الاسم المقترن بلام الجنس :

أوجب ابن الناظم نصب المفعول الثاني باسم الفاعل الكائن بمعنى المضي، المضاف الى المفعول الأول في نحو : «هذا معطي زيدٍ أمسِ درهماً ، وهذا ظانُّ زيدٍ أمسِ منطلقاً» . وذكر رأي السيرافي في جواز النصب وعقب برأيه بعد ذلك ، فقال : « ... فتنصب درهما ومنطلقا باضمار فعل لأنك لا تقدر على الاضافة . وأجاز السيرافي نصبه باسم الفاعل الماضي لأنه اكتسب بالاضافة الى الأول شبها بمصحوب الالف واللام بالمنوَّن . وعندي أن المصحح لنصب اسم الفاعل بمعنى المضي لغير المفعول الأول هو اقتضاء اسم الفاعل إيَّاه ، فلا بد من عمله فيه قياسا على غيره من المقتضيات . ولا يجوز أنْ يعمل فيه الجر لأن الاضافة الى الأول تمنع الاضافة الى الثاني فوجب نصبه لمكان الضرورة»[٦٤] .

نعت الاسم المقترن بلام الجنس :

وذهب ابن الناظم الى أنَّ المعرَّف بلام الجنس « لقرب مسافته من التنكير يجوز نعته بالنكرة المخصوصة ، ولذلك تسمع النحويين يقولون في قوله :

وَلَقَدْ أَمُرُّ عَلَى اللَّئِيمِ يَسُبُّنِي
فَأَعِفُّ ثُمَّ أَقُولُ لا يَعْنِينِي

أن (يسبني) صفة لا حال ، لأن المعنى : ولقد أمر على لئيم من اللئام . ومنه قوله تعالى : (وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ)[٦٥] ، وقولهم

---

(٦٣) منهج السالك ٣١٧ . وانظر أيضا : مجلة مجمع اللغة العربية ، القاهرة ، الجزء الثامن ١٤٧-١٥٦ ففيه بحث مفيد للشيخ محمد الخضر حسين عن اسم المصدر في المعاجم العربية .

(٦٤) الشرح ١٦٥ .

(٦٥) يس/٣٧ .

ما ينبغي للرجل مثلك أو خير منك أن يفعل كذا»[٦٦] •

توكيد المثنى :

وذهب الى أنه «لا يؤكد المثنى فيما سمع من العرب الا بالنفس او بالعين أو بكلا في التذكير وبكلتا في التأنيث»[٦٧] وفاقا للبصريين[٦٨] • وذكر رأي الكوفيين ورد عليهم • قال : «وأجاز الكوفيون في القياس أن يؤكد المثنى في التذكير بأجمعين وفي التأنيث بجمعاوين مع اعترافهم بكونه لم ينقل عن العرب وأشار ابن خروف الى أن ذلك لا مانع منه • وعندي أن ثم ما يمنع منه وهو أن من صحة استعمال المثنى جواز تجريده من علامة التثنية وعطف مثله عليه ، وعلى هذا لايجوز جاء زيد وعمرو أجمعان ، لأنه لا يصح أن تقول جاء أجمع وأجمع لأن المؤكد بأجمع كالمؤكد بكل في كونه لابد أن

---

(٦٦) الشرح ١٩٢ • وانظر ايضا : الاشموني ٦٢/٣ • وظاهر كلام الاشموني أن الرأي لابن الناظم ، وأغلب الظن ان ابن الناظم تأثر فيما ذهب اليه برأي الزمخشري في الكشاف (٥٥٦/١ ، ١٤/٤ـ١٥) • قال الزمخشري في الجزء الرابع (١٤ـ١٥) : « ••• وكذلك نسلخ ، يجوز أن توصف الارض والليل بالفعل ، لانه أريد بهما الجنسان مطلقين لا أرض وليل بأعيانهما ، فعوملا معاملة النكرات في وصفهما بالافعال ونحوه :

وَلَقَدْ أمُرُ عَلَى اللَّئِيمِ يَسُبُّنِي

وقد أورد أبو حيان في (البحر المحيط ٣٣٤/٧ـ٣٣٥) كلام الزمخشري المار ذكره وقال : « ••• انتهى (يقصد كلام الزمخشري) وهذا هدم لما استقر عند ائمة النحويين من أن النكرة لا تنعت الا بالنكرة والمعرفة لا تنعت الا بالمعرفة ولا دليل لمن ذهب الى ذلك • وأما سبني فحال أي سابا لي • وقد تبع الزمخشري ابن مالك في التسهيل من تاليفه » • وانظر : التسهيل ١٦٧ • ولم يستشهد سيبويه في الكتاب (٤١٦/١) بالبيت على الوجه الذي ذكره ابن الناظم وابو حيان • وما قاله أبو حيان أقرب للصحة •

(٦٧) الشرح ١٩٩ •

(٦٨) الاشموني ٨٠/٣ •

يكون ذا أجزاء يصح وقوع بعضها موقعه • فلو قلت جاء الجيشان أجمعان لم يأبَه القياس »[٦٩] •

التحذير والاغراء :

١ ـ رد ابن الناظم الزمخشري[٧٠] وابن الحاجب[٧١] في ذهابهما الى أنَّ (الطريقَ الطريقَ) من باب التحذير ، فقال : «ليس من باب التحذير (يقصد : الطريقَ الطريقَ) بل من باب الاغراء وهو مقابل التحذير»[٧٢] •

وعندي أن القرينة الحالية هي التي تحدد كون صيغة (الطريقَ الطريقَ) من باب التحذير أو الاغراء ، وإنْ كان استعماله في التحذير اكثر •

٢ ـ أجاز مجيء المحذَّر منه غير معطوف على المحذَّر نحو إيّاكَ الأسد[٧٣] على أن الناصب بـ «إيّاك» فعل مضمر تقديره أحذر ، وهو يتعدى الى المفعول الثاني بنفسه كما يتعدى اليه بـ (من)[٧٤] • ومما سهل كلامه ـ عند العليمي ـ ما زُعِم : «أن ابن أبي اسحاق أجاز هذا البيت في شعر :

إيّاكَ إيّاكَ المِراءَ فإنَّه
إلى الشَّرِّ دَعَّاءٌ ولِلشَّرِّ جَالِبُ

كأنه قال إيّاك ثم أضمر بعد إيّاك فعلا آخر»[٧٥] •

---

(٦٩) الشرح ١٩٨ـ١٩٩ •

(٧٠) قال الزمخشري في (المفصل ٤٩) : «••• ويقولون الأسدَ الأسدَ ••• اذا حذّروه الاسد ••• ومنه أخاكَ أخاكَ أي الزمه والطريقَ الطريقَ أي خلّه» • وعد الحريري في (شرح ملحة الاعراب ٩٥) (الطريقَ الطريقَ) من باب التحذير •

(٧١) مجموع مهمات المتون ٣٩٢ •

(٧٢) ابن الناظم على الكافية ق٢٧ •

(٧٣) الشرح ٢٣٥ ، وانظر أيضا : أوضح المسالك ٢١٠ ، الاشموني ٣/١٩١ـ١٩٢ •

(٧٤) الصبان ٣/١٩٢ •

(٧٥) الكتاب ١/١٤١ ، وانظر أيضا : حاشية العليمي على التصريح

ومنع سيبويه مجيء المحذر منه غير المعطوف على المحذر ، فقال « ... ولو قلت إيَّاك الأسد تريد من الاسد لم يجز »(٧٦) .

إعراب الفصل :

١ ـ معنى الفاء في قوله تعالى : «وَلا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ»(٧٧).

ذهب ابن الناظم الى أن الفاء العاطفة تفيد الاستئناف ، في قوله تعالى : «وَلا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ» أي فهم يعتذرون(٧٨) . واعترضه ابن هشام ، فقال : إنَّ ما قاله «مشكل على مذهب الجماعة لاقتضائه ثبوت الاعتذار مع انتفاء اذن كما في قولك ما تؤذينا فنحبك بالرفع ولصحة الاستئناف يحمل بثبوت الاعتذار مع مجيء لا تعتذروا اليوم على اختلاف المواقف ...»(٧٩) .

واعتراض ابن هشام على ابن الناظم وجيه . فالفاء عاطفة على مذهب جماعة المفسرين كالطبرسي(٨٠) والزمخشري(٨١) والفخر الرازي(٨٢) والقرطبي(٨٣) وأبي حيان(٨٤) ، والفعل «يعتذرون» رفع عطفا على قوله «ولا

١٩٣/٢ ، وفيه (أبا اسحاق) بدل من ابن أبي اسحاق كما هو في الكتاب .

(٧٦) الكتاب ١٤١/١ ، وانظر أيضا : المقتضب ٢١٥/٣ ، الرضي ١٦٧/١ .

(٧٧) المرسلات/٣٦ .

(٧٨) الشرح ٢٦٧ .

(٧٩) مغني اللبيب ٩٩/٢ (ط/الحلبي) . ويقصد ابن هشام بمذهب الجماعة ، مذهب جماعة المفسرين . أنظر حاشية الامير ٩٩/٢ ، وحاشية الخضري على المغني ١٢٧/١ .

(٨٠) مجمع البيان ٤١٨/١٠ .

(٨١) الكشاف ٦٨١/٤ .

(٨٢) تفسيره ٢٨٠/٣٠ (بحاشية الشهاب) .

(٨٣) تفسيره ١٦٦/١ .

(٨٤) البحر المحيط ٤٠٨/٨ .

يؤذن لهم» تقديره فلا يعتذرون»[٨٥] ، «وهو منخرط في سلك النفي ، والمعنى ولا يكون لهم اذن واعتذار متعقب له»[٨٦] .

٢ ـ حذف الشرط مع « إنْ » :

وجعل ابن الناظم ، من باب حذف الشرط مع إنّ ، قوله تعالى : «فلم تقتلوهم «تقديره إنْ افتخرتم بقتلهم فلم تقتلوهم أنتم ولكن الله قتلهم»[٨٧] ونقض ابن هشام عليه تقديره هذا بقوله : «ويرده أن الجواب المنفي بلم لا تدخل عليه الفاء»[٨٨] .

٣ ـ حذف الفاء من الجزاء اذا لم يصلح شرطا :

وذهب الى أن حذف الفاء ، ندورا ، من الجزاء ، وذلك اذا لم يصلح شرطا[٨٩] ، واستشهد بما ذهب اليه بالحديث الشريف . قال : «وحذفها (يعني الفاء) في الندور كما أخرجه البخاري من قوله صلى الله عليه وسلم لأبي

---

(٨٥) مجمع البيان ٤١٨/١٠ .

(٨٦) الكشاف ٦٨٢/٤ .

(٨٧) الشرح ٢٧٦ .

(٨٨) المغني ١٧٤/٢ـ١٧٥ (ط/الحلبي) .

وذكر ابن هشام أن ابن الناظم قد تابع الزمخشري فيما ذهب اليه . وقد وهم في نقله عن الزمخشري . فقد جاء في الكشاف : «فقيل لهم (فلم تقتلوهم) والفاء جواب شرط محذوف تقديره : ان افتخرتم بقتلهم فأنتم لم تقتلوهم» فبين تقدير الزمخشري وتقدير ابن الناظم فرق . فالفاء دخلت على جملة اسمية عند الزمخشري ، على حين انها دخلت على جملة فعلية منفية بلم عند ابن الناظم .

وقد نبه الدماميني ، فيما نقله الامير عنه في حاشيته على المغني (١٧٥/٢) على ماوقع فيه ابن هشام من وهم على الزمخشري .

(٨٩) أورد الصبّان في حاشيته (١٩/٤) بيتا يجمع مواضع حذف الفاء وهو :

طَلَبِيَّةٌ واسْمِيَّةٌ وَبِجَامِدٍ
وَبِمَا وَقَدْ وَبِلَنْ وَبِالتَّسْوِيفِ

كعب (فَإِنْ جَاءَ صَاحِبُهَا ، وإلاّ اسْتَمْتِع بِهَا) »[٩٠] . وقد توسط فيما ذهب اليـه بين سيبويه والجمهور الذين ذهبوا الى أن حذف الفـاء من الجزاء ضرورة[٩١] ، وأبيه الذي ذهب الى أن حذفهـا قليل في السعة[٩٢] . وهو الصحيح .

٤ ـ حذف الفاء من جواب « أمّا » :

ذهب ابن الناظم الى أن حذف الفاء من جمله جواب «أما» نادر ، واستشهد على صحـة مذهبـه بالحـديث الشريف : « أمّـا بعْدُ مَـا بَالُ رِجَالٍ يَشْتَرِطُونَ شُرُوطاً لَيْسَتْ فِي كِتَابِ الله »[٩٣] ، وقد توسط فيما ذهب اليه بين مذهب سـيبويه وجمهور النحاة[٩٤] الذين لا يجيزون حذف

---

(٩٠) الشرح ٢٧٤ .

(٩٠) الكتاب ١/٤٣٥ ، المقتضب ٤/٧٢ـ٧٣ . ونسب الاشموني في شرحه (١٩/٤) الى المبرد القول باجازة حذفها في الاختيار . ومـا نسبه الى المبرد مخالف لما هو في المقتضب . قال المبرد بعد أن ذكر البيت :

مَـنْ يَفْعَـلْ الْحَسَنَاتِ اللهُ يَشْكُرُهـا
وَالشَّـرُّ بالشَّـرِّ عِنْـدَ اللهِ مِثْـلانِ

«فلا اختلاف بين النحويين في أنه على ارادة الفاء لأن التقديم فيه لايصلح» .

(٩٢) خالف ابن مالك في (شـواهد التوضيح ١٣٣) سيبويه وجمهور البصريين فيما ذهبوا اليه في هذه المسألة واستدل على صحة مذهبـه بأحاديث ثلاثة ثم قال : «وهو ممـا زعم النحويون أنه مخصوص بالضرورة ، وليس مخصوصا بها بل يكثر استعماله في الشعر ويقل في غيره .. ومن خص هـذا الحذف بالشعر حاد عن التحقيق ، وضيّق حيث لا تضييق ، بل هو في غير الشعر قليل وهو فيه كثير» .

(٩٣) الشرح ٢٧٩ .

(٩٤) الكتاب ٢/٣١٢ . قال سيبويه : «وأما (أما) ففيهـا معنى الجزاء كأنه يقول عبدالله مهما يكن من أمره فمنطلق . ألا ترى أن الفاء لازمة لهـا أبدا» . وأنشد المبرد في المقتضب (٢/٧١) على حذفها ضرورة قول الشاعر :

فَأَمّـا الْقِتَـالُ لا قِتَـالَ لَـدَيْكُـمُ
وَلَـكِنَّ سَيْراً فِـي عِرَاضِ الْمَنَاكِبِ

وانظر أيضا : سر صناعة الاعراب ١/٢٦٨ ، الخزانة ١/٢١٧ .

الفاء في السعة ، ومذهب أبيه الذي أجاز حذفها على قلة في السعة لوروده في الحديث[٩٥] • وهو الصحيح • وكان على ابن الناظم أن يأخذ به كما فعل في مسألة (مجيء فعل الشرط ماضيا وجوابه مضارعا في السعة)[٩٦] •

حـالات اعرابيـة :

١ ـ اعراب الحروف والاعداد وبناؤها :

ذهب ابن الناظم الى أن حروف الهجاء والاعداد نحو : « أ،ب،ت، ث، وواحد ، واثنـان ، مجردات عن الاعراب والبنـاء ، مهيئـات للاعراب اذا ضم اليهن ما تتم به الجملة • ويدل على ذلك أنه لم يبن على السكون من الاسماء والحروف ماقبل آخره حرف مد فراً من اجتماع الساكنين • ولذلك قالوا : أين وكيف • فدل على أن السـكون في مثل قاف ، واثنـان وشـبهه ليس بسكون بناء »[٩٧] •

وليس ما ذهب اليه بسديد ، لأن موجب اعراب أيّة كلمة ، هو انتظامها

---

(٩٥) لم يرتض ابن مالك بمذهب سيبويه وجمهور النحاة • وردهم في (شواهد التوضيح ١٣٦) واستدل على صحة مذهبه بما ورد في الحديث الذي استشهد به ابنه • ثم قال : «ولا تحذف هذه الفاء غالبا الا في شـعر أو في قول أغنـى عنـه مقوله نحـو : (فَأَمَّا الَّذِيـنَ اسْـوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ) أي فيقال لهم أكفرتم • ومن حذفها في الشعر قول الشاعر :

فَـأَمَّـا الْقِتَـالُ لا قِتَـالَ لَـدَيْكُـمُ
وَلَـكِنَّ سَيْـراً فِي عِرَاضِ الْمَوَاكِـبِ

أراد : فلا قتال لديكم ، فحذف الفاء لاقامة الوزن • وقد خولفت القـاعدة في هذه الاحاديث ، فعلـم بتحقيق عـدم التضييق ، وإنَّ من خصه بالشعر أو بالصورة المعينة في النثر مقصر في فتواه ، عاجز عن نصر دعواه» •

(٩٦) أنظر ١٧٦ـ١٧٧ من هذه الرسالة •

(٩٧) شرح ابن الناظم على الكافية ق٤ـ٥ • قال ابن النـاظم في معرض الرد على ابن الحاجب في ذهـابه الى أن «المعرب المركب الذي لا يشبه مبني الاصل» (مجموع مهمات المتون ٣٨١) : وأحسب أن قول ابن الحاجب مستفاد من كلام الخليل وسيبويه في الكتاب (٣٤/٢) •

في جملة مفيدة ، بحيث تكون طرفا في الاسناد • وعليه فان الحروف والاعداد مبنيات ، لأنها تجردت عن ذلك الموجب[٩٨] •

٢ ـ وافهم كلامه أن الضمير في «عمله» يعود الى «حالا» في قول الناظم :

وَلا تُجِزْ حَالاً مِنَ الْمُضَافِ لَهْ
إلا إذَا اقْتَضَى الْمُضَافُ عَمَلَهْ

قال : « العامل في الحال هو العامل في صاحبها حقيقة كما في : جاء زيد راكبا أو حكما كما في نحو هذا زيد قائما ، فان (قائما) حال من زيد ، والعامل فيها مافي هذا من معنى أشير وليس بعامل في زيد حقيقة بل حكما ••••• ولا يجوز أن يكون العامل في الحال غير العامل في صاحبها حقيقة او حكما البتة »[٩٩] •

وقد تابعه المرادي والمكودي فيما ذهب اليه[١٠٠] • أما الشاطبي ، فذهب الى أن الضمير في (عملَه) يعود الى المضاف اليه[١٠١] • وما ذهب ابن الناظم اليه أسدُّ وأقوى ، لأن قصد الناظم في البيت واضح وهو أنه يريد بقوله

---

(٩٨) وشرح الرضي قول ابن الحاجب ، فقال : « ••• وانما ذكر في حدّ المعرب التركيب وكونه غير مشابه لمبني الاصل احترازا من قسمي المبني وذلك لأن الاسم أما أن يبني لعدم موجب الاعراب اعني المعاني المتعاقبة على الاسم الواحد كالفاعلية والمفعولية والاضافة وهو الاسماء المعدّدة تعديدا كأسماء العدد نحو واحد اثنان ثلاثة وأسماء حروف التهجي نحو ألف با تا ثا ••• والمعاني الموجبة للاعراب إنّما تحدث في الاسم عند تركيبه مع العامل فالتركيب شرط حصول موجب الاعراب فلهذا قال المركب أي الاسم الذي فيه سبب الاعراب فتخرج هذه الاسماء المجردة عن السبب» • (الرضي ١/١٤ ـ ١٥) • وأنظر أيضا : شرح ركن الدين على الكافية ٢٦ •

(٩٩) الشرح ١٢٩ •

(١٠٠) اعراب الالفية ٦١ ـ ٦٢ •

(١٠١) نفسه •

«عملـه» أي عمل الحال وهو نصبه نحو : «إِلَيْهِ مَرْجِعُكُم جَمِيعا»[١٠٢]
وقولـه :

تَقُـولُ ابْنَتِي إنَّ انْطِـلاقَكَ وَاحِـداً
إلى الرَّوْعِ يَـوْمـاً تَـارِكِي لا أبَالِيـا

ونحو : هذا شارب السويق ملتوتا . هذا اتفاق كما ذكره في شرحي التسهيل والـكافية[١٠٣] .

٣ ـ واعرب (يستعن) ، بدل اشتمال من (يصل) في قول الناظم :

وَيُبْدَلُ الْفِعْلُ مِـنَ الْفِعْلِ كَمَنْ
يَصِـلْ إِلَيْنَـا يَسْتَعِنْ بِنَـا يُعَنْ

قال : « ... فالجزم في (يَسْتَعِنْ) بالابدال من يصـل . فان قلت من أي أنواع البدل يُعَدُّ هذا المثال ؟ قلت من بدل الاشتمال ، لأن الاستعانة تستلزم معنى الوصول وهو نجحه .... »[١٠٤] . ولم يرتضِ ابن هشام برأيه هذا ، على ماذكره السيوطي[١٠٥] . فقال : « فقد يستعين ولا يعان فلا يكون الوصول منجحا . قال فالواجب رفع (يَسْتَعِينُ) حالا كتعشو في قوله :

مَتَى تَأْتِهِ تَعشو إلى ضَوْءِ نَارِهِ » .

وتابع المكودي ابن الناظم على ماذهب اليه[١٠٦] ، « أما الشاطبي ، فذهب الى أن (يستعن) بدل اضراب أو غلط الا أن يكون قصد وصولا معنويا وهو

---

(١٠٢) يونس/٤ (٥)
(١٠٣) الاشموني ٢/١٨٥ .
(١٠٤) الشرح ١٢٩ .
(١٠٥) البهجة المرضية ١٣٨ (بهامش ابن عقيل) . ولم أجده في أوضح المسالك (١٩٣ـ١٩٥) .
(١٠٦) المكودي ١٤٨ ، وانظر أيضا اعراب الالفية ٩٥ـ٩٦ .

وصول الاستعانة فيكون واقعا على بدل الكل »[١٠٧] .

٤ ـ وأجاز في نصب (ترخيما) ثلاثة اوجه في قول الناظم :

تَرْخِيما احْذِفْ آخِرَ الْمُنَادَى ......

قال : « ونصبه ترخيما يجوز أن يكون مفعولا له ، أو مصدرا في موضع الحال ، أو ظرفا على حذف المضاف »[١٠٨] . وذكر الاشموني رأي ابن الناظم ، وقال : « وأجاز المرادي وجها رابعا ، وهو أن يكون مفعولا مطلقا ، وناصبه (احذف) لأنه يلاقيه في المعنى ، وأجاز المكودي وجها خامسا ، وهو أن يكون مفعولا مطلقا لعامل محذوف أي : رخم ترخيما »[١٠٩] .

وأرى ان نصبه على أنه مفعول لأجله ، هو أقرب هذه الاوجه الى الصحة .

مسائل متفرقة :

تنوين الترنم :

أنشد ابن الناظم على تنوين الترنم قول العجاج :

يَا صَاحِ مَا هَاجَ الْعُيُونَ الذُّرَّفَنْ

مِنْ طَلَلٍ كَالأَحْتَمِيِّ أَنْهَجَنْ[١١٠]

واعترضه ابن هشام . فبعد أن أورد البيت وقول ابن الناظم قال : « كذا قال الشارح . وقد وقع له ولغيره[١١١] في هذا الموضع وهمان ، أحدهما : تسمية هذا التنوين تنوين الترنم . والصواب تنوين ترك الترنم ، اذ الترنم انما هو

---

(١٠٧) اعراب الالفية ٩٥ـ٩٦ .

(١٠٨) الشرح ٢٣١ .

(١٠٩) الاشموني ٣/١٧٤ـ١٧٥ ، وانظر ايضا : المكودي ١٧٠ .

(١١٠) الشرح ٥ ، وأنظر (٨٩) من هذه الرسالة .

(١١١) ذكر العاملي في شرح الشواهد (٧) أن ابن مالك وغيره وقع فيما وقع فيه ابن الناظم من وهم في رواية البيت .

في أحرف الاطلاق • قال سيبويه[112] : أما اذا ترنموا فانهم يلحقون الالف والواو والياء لأنهم ارادوا مد الصوت ، واذا أنشدوا ولم يترنموا فأهل الحجاز يدعون القوافي على حالهـا في الترنم • وناس كثير من بني تميم يبدلون مكان المدة نونا انتهى • وكذا قال ابن السراج[113] وغيرهما • الوهم الثاني : اعتقاد أن المصراعين من أرجوزة واحدة • وذلك غير مأتٍّ لاختلاف رويهما بالفـاء والجيم • ويتضح لك ذلك اذا استعملتهما بحرف الاطلاق • والصـواب أنهما من أرجوزتين ، الأول صدر أرجوزة وبعده :

مِنْ طَلَلٍ أَمْسَى يَخَالُ الْمُصْحَفَا

والثاني : ثاني شطرى الاخرى وقبله :

مَاهَاجَ أَشْجَانًا وشَجْوًا قَدْ شَجَا

وكلاهما للعجاج »[114] •

واعتراض ابن هشام على ابن النـاظم وأبيـه وغيرهما وجيه ، لأن مافي الكتاب[115] ومافي ديوان العجاج[116] يؤيد مقالته : ولعل وهم ابن النـاظم وغيره جاء من سقوط كلمة العجاج الثانية من نسخة الكتاب التي اعتمدوها في روايتهم • فقد جاء في الكتاب : « وللعجاج :

يَاصَـاحِ مَاهَـاجَ الدُّمُوعَ الذُّرَّفَنْ

وقال العجاج : مِـنْ طَلَلٍ كَالأَتْحَمِـيِّ أَنْهَجَـنْ

---

(١١٢) بين مافي الكتاب (٢/٢٩٨ـ٢٩٩) وما نقله ابن هشام منـه اختلاف يسير اقتضى التنبيه عليه •

(١١٣) الاصول ٢/٣٢٦ـ٣٢٩ (من غير المطبوع) •

(١١٤) تخليص الشواهد ٦ـ٧ • وانظر أيضا : حاشية الانصاري ق٥ •

(١١٥) الكتاب ٢/٢٩٨ـ٢٩٩ •

(١١٦) ديوان العجاج ٣٤٨ ، ٤٨٨ •

وعلّق الأعلم على هذين البيتين[117] وهو يشرحهما فقال : « ووقع هذان البيتان متصلين مع اختلاف قوافيهما ، فأما ان يكون سيبويه وصلهما وان لم يكونا من أرجوزة واحدة لأن قائلهما واحد وهو العجاج[118] . وأما أن يكون فصل بينهما بذكر العجاج مرة أخرى فسقط ذلك من الكتاب »[119] .

الابتداء :

١ ـ ذهب ابن الناظم الى أن الوصف اذا جاء مبتدأ وأسند الى فاعل أو نائبه ، استغنى عن الخبر ، لشدة شبهه بالفعل ، وحسُن أن يعتمد على النفي أو الاستفهام لأنهما يقربانه من الفعل . « واذا لم يعتمد عليهما كان الابداء به قبيحا وهو جائز على قبحه ... » . واستشهد على ماذهب اليه بقول الشاعر :

خَبِيرٌ بَنُو لَهْبٍ فَلا تَكُ مُلْغِياً
مَقَالَةَ لِهبيٍّ إذا الطَّيْرُ مَرَّت

وقال : « فهذا مثل قوله فائز أولو الرشد فان قلت : فلِمَ لم يجعل الوصف في مثل هذا المقال خبرا مقدما وما بعده مبتدأ ؟ قلت : لعدم المطابقة . فان الوصف في هذا لو كان خبرا مقدما لتحمل ضمير ما بعده وطابقه في التثنية والجمع فلما لم يطابقه علم أنه لم يتحمل ضميره بل اسند اليه اسناد الفعل الى الفاعل »[120] .

---

(١١٧) ومما تجدر الاشارة اليه ، ان ابن هشام عدّ كل بيت شطرا ، على حين جعل محقق ديوان العجاج الدكتور عزة حسن ماعده ابن هشام شطرا ، بيتا تاما ، وهو الصحيح عروضيا .

(١١٨) في حاشية الكتاب (٢/٢٩٩ اسفل) كتب مصححه : «قول صاحب الشواهد ، وأما أن يكون فصل بينهما .. الخ جميع نسخ الكتاب التي بيدنا مفصول فيها بين البيتين بذكر العجاج كما ترى» .

(١١٩) الكتاب ٢/٢٩٩ ، وانظر أيضا : المقاصد النحوية للعيني ١/٢٦ ، ٣٨ (بهامش الخزانة) .

(١٢٠) الشرح ٤١ ، وانظر (١٠٨) من هذه الرسالة . وانظر أيضا : ابن عقيل ١/١٦٧-١٦٩ .

وخالفه ابن هشام فيما استشهد به هو وأبوه « لجواز كون الوصف خبرا مقدما وانما صح الاخبار به عن الجمع لأنه على فعيل ، فهو على حد ﴿والمَلائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾[121] »[122] .

والحق مع ابن هشام لأن (خبير) على بناء (فعيل) ، وصيغة (فعيل) بمعنى فاعل مما يستوى فيه المذكر والمؤنث . فتمثيل ابن الناظم وأبوه بهذا البيت غير متجه .

٢ ـ واستشهد ابن الناظم على جواز تقديم الخبر على المبتدأ ، وكل منهما معرفة بقول الفرزدق :

بَنُونَا بَنُو أبْنَائِنَا وبَنَاتُنَا
بَنُوهُنَّ أبْنَاءُ الرِّجَالِ الأبَاعِدِ[123]

ولم يرتض ابن هشام باستشهاد ابن الناظم بهذا البيت . فبعد ان أورده ، قال : « أصله بنو أبنائنا مثل بنينا ، فقدم وأخر ، وترك كلمة مثل للعلم بقصد التشبيه وبأن المراد تشبيه أبناء الأبناء بالابناء لا العكس . وقد يقال هذا البيت لا تقديم فيه ولا تأخير ، وأنه على عكس التشبيه للمبالغة كقول ذي الرمة :

ورَمْلٍ كأوْرَاكِ العَذَارَى قَطَعْتُهُ ......

فكان ينبغي للشارح أن يستدل بما أنشده والده في شرح التسهيل من قوله :

---

(١٢١) التحريم/٤ .

(١٢٢) أوضح المسالك ٣٥ ، وانظر أيضا تخليص الشواهد ٨١ .وأورد العبادي في حاشيته على ابن الناظم ـ باب الابتداء ـ ماقاله ابن هشام بعد أن قال : «قال في التوضيح ... »على حين نقل الاشموني (١/٢٠٠) كلام ابن هشام بنصه ، ولم يعزه اليه . وانظر أيضا : الكشاف ٥٦٦/٤ .

(١٢٣) الشرح ٤٥ .

فبلغنا لام الأحياء أكرمها
وأعذر الناس بالجيران وافيها[١٢٤]

ولبت ابن هشام اقتصد في نقده ابن الناظم ، وليت روح الانصاف ، لا روح الخلاف ، هي التي تحكمت في كلامه على ما قاله ابن الناظم • أقول : فهلا استشهد ابن هشام نفسه على وجوب الحكم بابتدائية المؤخر بالبيت الذي أنشده ابن الناظم كما ذكر في المغني[١٢٥] وتوضيح[١٢٦] وشرح الشذور والقطر ؟• أو لم يستشهد هو نفسه أيضا في أوضح المسالك بما استشهد به ابن الناظم ؟• أو ليس هو القائل في المغني : «ويجب الحكم بابتدائية المؤخر في نحو : أبو يوسف أبو حنيفة ، و :

بنونا بنو أبنائنا وبناتنا
بنوهن أبناء الرجال الأباعد

رعيا للمعنى ، ويضعف أن تقدر الأول مبتدأ بناء على أنه من التشبيه المعكوس للمبالغة ، لأن ذلك نادر الوقوع ومخالف للأصول ، اللهم لا أن يقتضي المقام المبالغة» ؟

٣ ـ واستشهد ابن الناظم على صحة مذهب الكوفيين في جواز حذف الضمير على غير من هو له ، إذا أمن اللبس ، بقول الشاعر :

قومي ذرى المجد بانوها وقد علمت
بكنه ذلك عدنان وقحطان

وقال : «اذ لم يقل بانوها هم»[١٢٧] •

---

(١٢٤) تخليص الشواهد ٨٩ •
(١٢٥) المغني ٢/٤٥٢ •
(١٢٦) أوضح المسالك ٣٨ • وراجعت شذور الذهب ١٧٩ـ١٨٤ والقطر ١٣٤ ، فلم أجد ابن هشام يستشهد بالبيت الذي أنشده ابن مالك •
(١٢٧) الشرح ٤٣ ، وأنظر : (١٤٠ـ١٤١) من هذه الرسالة •

ولم يرتض ابن هشام ما استشهد به ابن الناظم فقال : «وفي الشرح (يقصد شرح ابن الناظم) انه لو ابرز لقال بانوها هم وهذا سهو لان افراد الوصف حين الابراز واجب الا على لغة اكلوني البراغيث والجواب إنما نمنع كون ذرى مبتدا بل مفعولا لوصف حذف على شريطة التفسير وذلك الوصف هو الخبر وهو جار على من هو له والوصف المذكور بدل منه ...»[128] .

وليس اعتراض ابن هشام بوجيه ، وفيه من التكلف في التأويل ما لا يخفى ، وما قاله ابن الناظم أقرب الى طبيعة اللغة ، لبعده عن التكلف في التأويل ، الذي التجأ اليه ابن هشام لأن البيت لا يندرج تحت الأصول العقلية التي وضعها جمهور البصريين .

٤ ـ استشهد ابن الناظم على جواز ذكر الخبر وهو يدل على كون خاص ، ببيت الزبير :

وَلَوْلاَ بَنُوهَا حَوْلَهَا لَخَطَبْتُهَا
كَخَبْطَةِ عُصْفُورٍ وَلَمْ أَتَلَعْثَمِ

ونقده ابن هشام ـ وهو على حق ـ على وقوع التحريف في البيت فقال : «والصواب لخبطتها من الخبط لا من الخطبة لأن تمامه كخطبة عصفور ولم أتلعثم»[129] .

وأغلب الظن ، إنّ الذي أوقعه في هذا التحريف ، هو رواية أبيه للبيت محرفا[130] .

حد اللفظ :

نسب السيوطي الى ابن الناظم القول بأن اللفظ ، هو الصوت المشتمل على

---

(١٢٨) تخليص الشواهد ٨٢ـ٨٣ ، وانظر أيضا : اوضح المسالك ٣٦ .
(١٢٩) تخليص الشواهد ٩٤ـ٩٥ ، وانظر أيضا : العيني ١/٥٧١ (هامش الخزانة) .
(١٣٠) شواهد التوضيح ١٥٥ ، فقد ورد فيه البيت كما ورد في شرح ابن الناظم ، شرح شواهد ابن الناظم للعاملي ٧٠ .

بعض الحروف[١٣١] ، وذكر أنَّ المحققين اعترضوا بذلك على ابن الناظم ، في حيابه ويسلم لهم به ، «لانه يخرج عنه الحرف الواحد كواو العطف وفائه وباء الجر ولامه اذ لا يُقال في الجر[١٣٢] ، انه مشتمل على نفسه»[١٣٣] ، ثم قال : «قال بعضهم فالاحسن تعريف اللفظ بالصوت المعتمد على مقطع فانه تعريف سالم من كل ايراد ، ولهذا عبرت به في شرحي»[١٣٤] .

وقدر المصدر نكرة في نحو : «سرت أحسن السير» تقديره : سرت سيرا أحسن السير[١٣٥] . ونقض اللقاني هذا التقدير بقوله : « يلزم على تقديره نكرةً ووصف النكرة بالمعرفة»[١٣٦] . وتقدير ابن الناظم متفق ومذهبه وهو أن الالف واللام في «السير» للجنس ، والمقترن بها ـ عنده ـ أقرب الى التنكير[١٣٧] ولذا جاز ـ بناء على مذهبه ـ أن يقدر (سيرا) في المثال .

أفهم بيتا الناظم :

بِالنَّفْسِ أَوْ بِالْعَيْنِ الاِسْمُ أُكِّدَا
مَعَ ضَمِيرٍ طَابَقَ الْمُؤَكَّدَا
وَاجْمَعْهُمَا بِأَفْعُلٍ إنْ تَبِعَا
مَا لَيْسَ وَاحِداً تَكُنْ مُتَّبِعَا

---

(١٣١) انظر تعريف الاشموني للفظ في شرحه ١/٢٣ـ٢٤ .
(١٣٢) هكذا في النص ولعل الصواب هو (باء الجر) .
(١٣٣) الحاوى للفتاوى ٢/٤٧٣ . ولم أجد في شرح ابن الناظم على الكافية والالفية وفيما شرحه من التسهيل مايشير الى ماذكره السيوطي ، فلعله نقله عن مصدر لم أهتد اليه .
(١٣٤) نفسه ٢/٤٧٣ ، وانظر أيضا : البهجة المرضية ٣ (بهامش ابن عقيل) .
(١٣٥) الشرح ١٠٣ .
(١٣٦) حاشية العليمي على التصريح ١/٣٢٥ .
(١٣٧) انظر ٢٢٠ من هذه الرسالة .

أنه يمنع توكيد المثنى والمجموع بإفراد وتثنية النفس والعين وقصره على الجمع منهما على أفعل[138] . وقال ابنه ، إن ما قاله أبوه هو المختار ، «ويجوز فيهما أيضا الافراد والتثنية نحو جاء الزيدان نفساهما»[139] . ووهّمه أبو حيان ، ونعى أنه «لم يقل أحد من النحويين به»[140] . وانتصر الاشموني لابن الناظم وقال : «وفيما قاله أبو حيّان نظر ، فقد قال ابن إياز في شرح الفصول ، ولو قلت نفساهما ، لجاز ، فصرح بجواز التثنية»[141] . وذكر خالد الأزهري[142] أنّ ابن إياز قد تبع ابن معط في ذلك ، وجوّزه الرضي اعتماداً على رواية ابن كيسان . قال : «... وقد يقال نفساهما وعيناهما على ما حكى ابن كيسان عن بعض العرب»[143] .

جعل ابن الناظم (دارج) وهو اسم فاعل معطوفا على (حبا) وهو فعل في قول الراجز :

يَا رُبَّ بَيْضَاءَ مِنَ الْعَوَاهِجِ
أُمِّ صَبِيٍّ قَدْ حَبَا أو دارج

والمبيح لهذا العطف ، هو أن دارج بمعنى درج[144] .

ولم يرتض الأشموني بما ذهب اليه ابن الناظم فقال : «... الذي يظهر

---

(١٣٨) الاشمونى ٣/٧٦ ، وانظر أيضا : التسهيل ١٦٤ ، ابن عقيل ٢/١٦٥ .

(١٣٩) الشرح ١٩٦ .

(١٤٠) الهمع ٢/١٢٢ .

(١٤١) الاشمونى ٣/٧٦ ، وانظر أيضا : الهمع ٢/١٢٢ . وقد نسب السيوطى لابن مالك وابنه ، تجويزهما التثنية ، وقوله هذا صحيح بالنسبة الى ابن الناظم أما بالنسبة الى ابن مالك ، فهو غير صحيح ، على ما أفهمه من النظم والتسهيل .

(١٤٢) التصريح ٢/١٢١ .

(١٤٣) الرضي ١/٣٠٩ .

(١٤٤) الشرح ٢١٥ .

عكسه لأن المعطوف عليه وقع نعتا ، والأصل ان يكون اسما»[١٤٥] . وانتصف الصبان لابن الناظم ورد الاشموني فقال : «ان ما علل به (يعني الاشموني) معارض بوجود ف .. بل وجودها اقوى مما علل به لأنها تبعد كون الفعل في تأويل الاسم ...» ثم قال : «فعليك بالانصاف»[١٤٦] .

وذهب ابن الناظم الى ان رفع الفعل تشرب في نحو : لا تأكلِ السمكَ وتشربُ اللبنَ ، على معنى وجه النصب أي على النهي عن الجمع بين الفعلين على تقدير لا تأكلِ السمك وانت تشرب اللبن[١٤٧] . ورد عليه ابن هشام فقال : « وكأنه قدر الواو للحال وفيه بعد لدخولها في اللفظ على المضارع المثبت ثم هو مخالف لقولهم إذ جعلوا لكل من اوجه الاعراب معنى »[١٤٨] .

شرح ابن الناظم قول أبيه :

كَلامُنَا لَفْظٌ مُفِيدٌ كَاسْتَقِمْ ......

فقال : « الكلام عند النحويين هو اللفظ الدال على معنى يحسن السكوت عليه . وهذا ما أراد بقوله مفيد كاستقم كأنه قال : الكلام لفظ مفيد فائدة تامة يصح الاكتفاء بها كالفائدة في استقم فاكتفى عن تتميم الحد بالتمثيل »[١٤٩] . ف «اسْتَقِمْ» عنده تتميم للحد لا تمثيل في قول الناظم . وذكر المكودي[١٥٠] والأنصاري[١٥١] ، ان المرادي خالفه فقال : «بل هو (يعني اسْتَقِمْ) تمثيل لا تتميم» .

---

(١٤٥) الاشموني ٣/١٢٢ـ١٢٣ .
(١٤٦) الصبان ٣/١٢٢ـ١٢٣ .
(١٤٧) الشرح ٢٦٨ .
(١٤٨) المغني ٢/٩٩ (ط/الحلبي) .
(١٤٩) الشرح ٣ .
(١٥٠) شرحه ٧ .
(١٥١) حاشيته على ابن الناظم ٣ .

وتابع المكودي[152] والاشموني[153] والخضري[154] ابن الناظم فيما ذهب اليه .

وحمل المسند على الاسناد اليه في قول ابن مالك :

بِالجَرِّ والتَّنْوِينِ والنِّدَا وَأَلْ

وَمُسْنَدٍ لِلاسْمِ تَمْيِيزٌ حَصَلْ

قال : « ... فأقام اسم المفعول مقام المصدر ، واللام مقام الى وحذف صلته اعتمادا على التوقيف »[155] . ونقده الاشموني فقال : « ولا حاجة الى هذا التكلف ، فان تركه على ظاهره كاف »[156] . أما الصبان فكان اكثر دقة في ردّه على ابن الناظم . قال : « إنّ صيغة (مُفْعَل) كمُسْنَد تأتي مصدرا ميميا لأفعل كأسنَد ، كما تأتي اسم مفعول واسم زمان واسم مكان ، فهلا جعل مسندا من أول الأمر ، واستغنى عن تكلف هذه الاقامة »[157] . وهذا الرد وجيه ، اذ لا حاجة لما تكلفه ابن الناظم .

دلالة الجمع :

وذهب ابن الناظم الى أن الجمع هو « أن يكون موضوعا للآحاد المجتمعة دالا عليها دلالة تكرار الواحد بالعطف »[158] .

---

(١٥٢) شرحه ٧ .
(١٥٣) شرحه ١/٢٤-٢٥ .
(١٥٤) حاشيته على ابن عقيل ١/١٥ .
(١٥٥) الشرح ٥ .
(١٥٦) الاشموني ١/٤٢ ، وانظر أيضا رد السجاعي في (حاشيته على ابن عقيل ٧-٨) على ابن عقيل، في متابعته لابن الناظم ، وهو عين رد الاشموني .
(١٥٧) الصبان ١/٤٢ ، وانظر رد الخضري في (حاشيته على ابن عقيل ١/٢١) ، وهو قريب من رد الصبان على ابن الناظم .
(١٥٨) الشرح ١٤ .

وأورد السبكي ما ذهب اليه ابن الناظم وقال : «وهو حق»[١٥٩] .

معنى « كيف » :

نقل السبكي رأي النحاة في معنى كيف ، ومخالفة ابن الناظم لهم في عروس الافراح ، قال : « .. وفي كلام النحاة وغيرهم أن معنى كيف : على أي حال .... قال بدرالدين بن مالك ، ليست كيف موضوعة لهذا المعنى بل تستلزمه . ألا ترى أن جوابها انما هو بالصفات لا بالمصادر أ هـ . قال شيخنا أبو حيان وهو كلام جيد »[١٦٠] .

أقول : ما المعنى الاصطلاحي المحدد لكيف ، إنْ لم يكن على أية حال ؟

ابن الناظم والأشموني :

ذكرت - فيما سبق[١٦١] - أن الاشموني أخذ كثيرا من المسائل والنقول ، واودعها شرحه من دون ان يشير الى مصدر أخذه ، وكان من بين من أخذ عنهم ، ابن الناظم . فقد اخذ عنه نصوصا بتعليلاتها وبتأويلاتها وشواهدها . وقد تنبه الى هذه الظاهرة محمد محي الدين عبدالحميد فقال معلقا على أخذ الاشموني مبحث الحال من شرح ابن الناظم : « وقد أخذ الشارح الاشموني رحمه الله هذا البحث كله بذكر أقواله وتعليلاته عن ابن الناظم في شرحه على الالفية ، وترك شيئا يجمل بك ان تعرفه . ونحن نسوق لك الكلام بنصه . قال :.... »[١٦٢] ثم نقل نصا طويلا .

---

(١٥٩) عروس الافراح/٣٣١ .

ولم أجد في كتاب «الجموع في اللغة العربية» للدكتورة باكيزة رفيق ، مايعينني على معرفة حد الجمع في العربية .

(١٦٠) عروس الافراح ٤/٢٨٦-٢٨٧ . ولم أجد ذكر لما نسبه السبكي الى ابن الناظم فيما تيسر لي من كتبه .

(١٦١) انظر ٧٠-٧١ من هذه الرسالة .

(١٦٢) الاشموني ٢/٤٣١ (ط/عبدالحميد) .وانظر:الشرح ١١٥-١١٦ .

ملاحظة : الرقم الاول هو رقم الصفحة في شرح ابن الناظم ، والرقم الثاني هو

وقد تجمعت لدي نصوص كثيرة أخذها الأشموني من شرح ابن الناظم ، نصا او غير فيها تغييرا يسيرا من دون أن يشير الى انه اخذها منـه • ولا يسعني ايرادها جميعا واكتفي بذكر هذا النص منها •

قال ابن الناظم : « ومن النحويين من يحمل ما ورد من ذلك (يشير بذلك الى الحديث الشريف : « يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار » ونحوه) على أنه خبر مقدم ، ومبتدأ مؤخر ، ومنهم من يحمله على ابدال الظاهر من المضمر وكلا المحملين غير ممتنع فيما سمع من غير أصحاب اللغة المذكورة ولا يجوز حمل جميع ما جاء من ذلك على الابدال او التقديم والتأخير لأن أئمة العربية اتفقوا على ان قوما من العرب يجعلون الالف والواو والنون علامات للتثنية والجمع كأنهم بنوا ذلك على أن من العرب من يلتزم مع تأخير الاسم الظاهر الالف في فعل الاثنين والواو في فعل جميع المذكر والنون في فعل جمع المؤنث فوجب أن تكون عند هؤلاء حروفا • ولقد لزمت للدلالة على التثنية والجمع كما قد تلزم التاء للدلالة على التأنيث لانها لو كانت اسما للزم أما وجوب الابدال أو التقديم والتأخير وأما اسناد الفعل مرتين • وكل ذلك باطل لا يقول به أحد »(١٦٣) •

أخذ الاشموني(١٦٤) كلام ابن الناظم هذا وغير فيه تغييرا يسيرا ، وأودعه شرحه •

رقم الصفحة في شرح الاشموني :

١/١٤ : ٨٧-٨٨ ، ٨٤-٨٥ : ٢/٤٧-٤٨ ، ٩١-٩٢ : ٢/٧١-٧٢ ، ١٠٢ : ٢/١٠٩-١١٠ ، ١٠٨ : ٣/١٣٢ ، ١٧٥ : ٣/١٠-١١ ، ٢٣٥ : ٣/٢٣٠ ، ٢٤٦ : ٣/٢٣٥ ، ٢٣٦ ، ٢٥١ : ٣/٢٤٤ ، ٢٤٥ ، ٢٤٦ ، ٢٥٠ : ٣٤١-٣٤٢ ، ٢٥٤ : ٣/٢٥٧ ، ٢٦٠ ، ٢٥٥ : ٣/٢٦٢-٢٦٣ ، ٢٦٤-٢٦٥ ، ٢٦٦ ، ٣١١ : ٣/٣١١ •

(١٦٣) الشرح ٨٤ •

(١٦٤) الاشموني ٢/٤٥ •

الفصل الثاني
مذهب النحوي

ألممنا ـ فيما سبق ـ بطائفة من الآراء النحوية التي تابع فيها ابن الناظم البصريين والكوفيين ، ورأينا أنه كان مع البصريين في أغلبها ، وعرفنا أيضا أنه تابع الكوفيين في كثير منهـا في الطور الاول من دراسته النحوية ، ثم عدل عن متابعتهم فيها في الطور الثاني منها . وبعد كل ذلك ، يرد سؤال لابد من أن نجيب عنه وهو : الى أي مدرسة نحوية ينتمي ابن الناظم ؟

للاجابة عن هذا السؤال ، علينا ان نعرض لما قيل من أنَّ هنالك مدرسة نحوية في الشام ، كان ابن الناظم أحد نحاتها . فقد ذهب نفر من الدارسين الى تعدد المدارس النحوية والى قيام مدارس في بغداد والاندلس ومصر والشام وغيرها الى جانب مدرستي البصرة والكوفة . ومن هؤلاء الدارسين من المعاصرين محمد الطنطاوي[1] ، والدكتـور شـوقي ضيف[2] ، والدكتورة خديجـة الحديثي[3] . لقد ذهبوا الى وجود مدرسـة أندلسية . وعدَّ الطنطاويُ ابن مالك وابنَه بدرالدين من نحاتها في الشام . أمـا الدكتور ضيف والدكتورة الحديثي ، فقد عدَّا ابن مالك وأبا حيَّان من نحاتهـا . فهل كانت هنالك في الحقيقة مدرســة أندلسية ؟ واذا كانت موجودة ، فمـا آراؤها ومصادرها ومصطلحاتها ومـا منهجها الذي سارت عليـه ؟ والذي تنماز به عن غيره في دراسة النحو ؟

لقد أثبت الدارســون المحدثون للمدرستين النحويتين ، أعني مدرستي

---

(١) نشأة النحو ١٩٠ .
(٢) المدارس النحوية ٢٨٨ـ٣٢٦ .
(٣) أبو حيان النحوي ٣١٣ .

البصرة والكوفه ، اسسا ذات طابع عام ، توحد بين أتباعهما ، وتكسبهم شخصية علمية متميزة عن غيرها ، كالآراء والمصطلحات النحوية ومصادر ومنهج دراسة النحو . فهل بيّن الباحثون ، الطنطاوي وضيف والحديثي ، هذه الاسس للمدرسة الاندلسية النحوية المزعومة ؟*

أرى ان ماذكروه من أحكام تعميمية غير محددة المعالم ، لا تعطي النحاة الاندلسيين شخصية علمية مستقلة ، تؤهلهم لأن يكوّنوا تيارا نحويا ، واضح المعالم بيّن الاصول . فدعوى الاختيار من آراء النحويين البصريين والكوفيين وممن سمّوا بالبغداديين ، وترسم خطا الاخيرين في البحث[4] ، دعوى لا تسندها حقائق الدراسة العلمية الجادة للنحاة الاندلسيين ، بله البغداديين والمصريين والشاميين[5] . ف (كثرة التعليلات) و (النفوذ الى آراء جديدة) وغيرهما من العبارات من الاحكام العامة التي لا تتسم بالدقة . فقد كانت التعليلات من أهم الظواهر التي لازمت النحو العربي منذ مراحل نشأته الاولى، وكان الخليل من أقدم الداعين اليها[6] . وتعمقت جذورها عند الدارسين النحويين من بعده ، وعند نحاة القرن الرابع للهجرة خاصة ، حيث كثرت

(*) انظر : مدرسة الكوفة ٢٣٧ــ٣٢٧ ، مدرسة البصرة النحوية ١٤٥ ، الدراسات النحوية واللغوية عند الزمخشري ٣٢٠ ، الاصول ــ المقدمة ــ ١٩ بقلم الدكتور عبدالحسين الفتلي .

(٤) المدارس النحوية ٢٩٢ .

(٥) لا مجال للخوض في هذا المضمار هنا . أنظر : النحو العربي للدكتور ابراهيم السامرائي ٣٣ــ٥٧ ، ٦٦ــ٧٠ ، محاضرات الدكتور مهدي المخزومي على طلبة الماجستير سنة ٧٠ــ٧١ ، الرماني النحوي للدكتور مازن المبارك ٣٤ ، الدراسات النحوية واللغوية عند الزمخشري للدكتور فاضل السامرائي ٣١٤ ، مجلة مجمع اللغة العربية في القاهرة (العدد/٢٥ الصفحة/١٨٠) .

(٦) الايضاح في علل النحو ٦٥ــ٦٦ . وانظر أيضا : مقدمته بقلم الدكتور شوقي ضيف (ب) .

واكتسبت صبغة منطقية[٧] ، نتيجة لغلبة الطـــابع العقلـي على مجـال النشاط الفكري لذلك القرن • وأما الآراء التي أضافها النحاة الاندلسيون ، إنْ صحت انها لهم حقيقة ، فهي اراء فردية اجتهـــاديه ، قليلة ، لا تكسبهم كيانا علميا مستقلا لانهم لا يصدرون عن منهج نحوي خاص بهـم • والآراء النحوية في الحقيقة محصلة طبيعية للمنهج النحوي الذي ينهجه النحاة في دراساتهم • فان فُقد المنهج ، فُقدت الآراء النحوية ، ذات الســـمة العـــامة الشاملة الموحدة لمجموعة نحوية في مدرسة نحوية تتميز عن غيرها • وما ذكره الطنطاوي من آراء نسبها الى نحـــاة مغاربة وأندلسيين ، لا ترقى الى اصالة آراء البصريين والكوفيين ، لأن آراء هـــؤلاء كانت تصدر عن منهجين مختلفين في دراســـة النحو ، لهما معالم بينة انماز بها فريق من فريق ، على حين ان آراء الاولين، عدمت المنهج المستقل المتميز •

ومما تجدر الاشارة اليه ، هو أن ابن مالك ، وابنه بدرالدين ، وهمـا اللذان عُدّا من أصحاب المدرسة الاندلسية ، لم يذكرا ، فيما تيسّـر لي من كتبهما ، اســـم الاندلسيين ، ولا المغاربة ، على حين ذكرا اســـم البصريين والكوفيين كثيرا[٨] • فلو كان للاندلسيين كيان نحوي مستقل ، ومدرسة نحويه متميزة ، لورد ذكر لهم في كتبهما •

---

(٧) انظر : النحو العربي ـ العلة النحوية ـ للدكتور مازن المبارك ٩٨ •

(٨) ورد ذكر للبغداديين عند ابن الناظم مرة واحدة فقط ، في شرحـه على الالفية (٢٢٢) ، في مبحث النداء • وعند دراستي الموازنة لهـــذا الشرح وللتسهيل وجدت ان ابن مالك في مبحث النداء (التســـهيل ١٨١) يذكـر الكوفيين بدل البغداديين • وتفسير ذلك ، أن قدماء النحاة في بغدادهم الكوفيون أنفسهم ، ولذلك ورد اسم (البغداديين) على أقلام طائفة من النحاة المتأخرين ، والحقيقة هم الكوفيون ليس غيرهم • وكان ابن جني يطلق اســم البغداديين ، ويقصد بهم الكوفيين أحيانا • أنظر : ابن جني النحوي ٢٤٥ـ٥٢١ ، الدراسات النحوية واللغوية عند الزمخشري ٣١٦ـ٣١٧ ، المدارس النحوية ٢٤٦ • وأنظر أيضا ١٠١ من هذه الرسالة •

ويغلب على الظن ان آخر من كان يطلق لفظ (أصحابنا) ، ويعني به البصريين ابن يعيش[٩] (ت ٦٤٣هـ) وابن الحاجب[١٠] (ت ٦٤٦هـ) • أما ابن مالك (ت ٦٧٢هـ) ومن جاء بعده من النحاة ، كابنه بدرالدين وأبي حيّان وابن هشام وابن عقيل والازهري والاشموني والسيوطي وغيرهم ، فلم يصرح أحد منهم ببصريته ، ولم يطلق لفظ (اصحابنا) ويقصد به البصريين ، على ما اعلم •

ومر بنا أن ابن الناظم اختصر مفتاح العلوم في كتابه المصباح • وعند الموازنة بين المفتاح والمصباح ، رأيت نصّا يذكر فيه السكاكي عبارة « على قول اصحابنا البصريين »[١١] • وقد أثبت ابن الناظم معظم نص المفتاح في مصباحه ، واسقط لفظ (أصحابنا) لئلا يقال انه عَدّ البصريين من أصحابه[١٢] •

وأغلب الظن ان ابن مالك ، ومن جاء بعده من النحاة ، توسّموا في انفسهم انهم ينهجون منهجا مستقلا عن منهج البصريين والكوفيين يظهر ذلك من قول ابن هشام والسيوطي في ابن مالك • زعم السيوطي أنّ : « لابن مالك في النحو طريقه سلكها بين طريقي البصريين والكوفيين ، فإنّ مذهب الكوفيين القياس على الشاذ ، ومذهب البصريين اتباع التأويلات البعيدة التي خالفها الظاهر • وابن مالك يعلم بوقوع ذلك من غير حكم عليه بقياس ، ولا تأويل ، بل يقول إنه شاذ أو ضرورة كقوله في التمييز •

•••••• والفِعْلُ ذُو التَّصْرِيفِ نَزْراً سُبِقا

وقوله في مد المقصور :

•••••• وَالعَكْسُ فِي شِعْرٍ يَقَعْ

---

(٩) شرح المفصل ٨/١١ ، ٤٥ •

(١٠) ابن الحاجب النحوي ١٠٤ـ١٤١ •

(١١) كان السكاكي صريحا في بصريته • انظر : المفتاح ٧ ، ٤٠ ، ٦٤ ، ٧٠ ، ١٢٥ ، ٠٠ الخ •

(١٢) المفتاح ١٢٥ •

قال ابن هشام وهذه الطريقة طريقة المحققين وهي احسن الطريقين »[١٣] •

والحقيقة هي غير ماذهب اليه ابن هشام والسيوطي ، لأن ابن مالك في دراساته النحوية ، كان بصريا في أغلب آرائه واصطلاحاته ، وكان بصريا في منهجه في البحث أيضا ، ولذا عده ابراهيم مصطفى في متأخري البصريين[١٤] •

إنّ ابن مالك نحوي مجتهد له آراؤه واختياراته التي لا مجال للتوسع في بحثها وتبيان معالمها هنا[١٥] ، وهي على أية حال ، لا تخرجه عن المدرسة البصرية •

وكان ابن الناظم ، أحد نحاة ذلك العصر النابهين • ولذا آمل أن تسهم دراستي هذه في تبيين حقيقة المدرسة النحوية التي ينتمي اليها نحاة ذلك العصر •

ولا بد للدارس ، من أجل الوقوف على طبيعة المهج الذي اتبعه ابن الناظم في دراسة النحو ، أن يعرض للاسس التي بُنيت عليها دراسته ، وأهم هذه الاسس :

١ ـ مصادر دراسته النحوية •

٢ ـ الاصول المنهجية التي بنيت عليها •

٣ ـ المصطلحات النحوية التي اصطنعها •

٤ ـ موقفه من آراء البصريين والكوفيين اضافة الى مسائل الخلاف المذكورة في الانصاف •

١ ـ مصادر دراسته :

إنّ شيوخه الذين قرأ عليهم ، ومصنفات النحاة الذين سبقوه ،

---

(١٣) الاقتراح ٨٦ •

(١٤) احياء النحو ٥٧ •

(١٥) ألممنا فيما مر بنا بمعالم من منهج ابن مالك النحوي وبطائفة من آرائه واختياراته النحوية •

ومروياته عن النحاة واللغويين المتقدمين ، من أهم المصادر التي استقى منها مادته النحوية •

اما شيوخه : فقد مر بنا ان المترجمين لابن الناظم ، لم يذكروا غير أبيه شيخا له • وأشرنا الى أن ابن مالك ، كان بصريا في أغلب آرائه ومصطلحاته ، وكان منهجه ، بصريا في أصوله العامة • وأود أن أضيف أصلا الى الاصول التي اعتمدتها في زعمي ببصرية ابن مالك ، ومن ثم ببصرية ابنه ، وهو ان سند الدراسة النحوية في الشام ، كان متصلا ب «سيبويه» • وهذا السند معتبر عند النحاة المتقدمين[١٦] ، وعند الدارسين المحدثين[١٧] • فابن الناظم تخرّج بأبيه ، وأبوه جالس ابن يعيش[١٨] ، وأخذ عن السخاوي[١٩] ، وكلا الاخيرين ، أخذا عن التاج الكندي وجالساه • والكندي[٢٠] تخرّج بأبي البركات الانباري ، تلميذ ابن الشجري ، وابن الشجري « من أتباع المدرسة البصرية لأن سلسلة شيوخه التي ذكرها ابن الانباري له بصرية ، فهي تنتهي بسيبويه ، مارة فيمن مرت به من شيوخ بصريين ، بأبي علي الفارسي ، وبأبي بكر بن السراج ، وبأبي العباس المبرد ، وأبي عثمان المازني »[٢١] •

---

(١٦) ينظر شرح التصريح ١/٤ـ٥ • ففيه سلسلة صلة الدراسة النحوية منذ نشأتها الى ابن هشام ، مع ملاحظة وجود فجوات في تلك السلسلة ، كالانتقال من أبي الفتح بن جني الى عبدالقاهر الجرجاني ثم الزمخشري ثم ابن الحاجب ثم ابن مالك ثم ابن هشام ، وفي استعمال أداة العطف « ثم » اشارة الى ذلك •

(١٧) مدرسة الكوفة ٧٤ـ٩٥ ، ٣٦٠ ، مدرسة البصرة النحوية ٥٢٦ ـ ٥٣١ ، الدراسات النحوية واللغوية عند الزمخشري ٢٣ـ٣١ •

(١٨) طبقات الشافعية الكبرى ٥/٢٨ ، البغية ١/١٣٠ •

(١٩) الوافي بالوفيات ٣/٣٥٩ •

(٢٠) ذكر عبدالمنعم أحمد ، آراء قليلة للكندي في : ابن الشجري ومنهجه في النحو (٣٢٣ـ٣٢٥) •

(٢١) مدرسة الكوفة ٣٦٠ ، وانظر ايضا : نزهة الالباء ٣٠٢ ، ابن الشجري ومنهجه في النحو ٣٠٥ •

ومن هنا نخلص الى أن ابن الناظم كان واحدا من النحاة الذين اتصل سند تلقيهم المادة النحوية بسيبويه :

أما المصنفات التي أخذ عنها ، وأفاد منها فكثيرة ، منها مصنفات أبيه ، ومر بنا خبر عنايته بها ، ومنها أيضا كتب البصريين وهي الكتب الوحيدة التي ذكرها ونقل عنها في كتبه ، وفي مقدمتها الكتاب ، والقسم الخاص بالمعاني من مفتاح العلوم للسكاكي ، وكتب أبيه . ولاهمية هذه الكتب في نحو ابن الناظم سأذكر نصوصا أخذها منها .

ووردت أسماء كتب للنحاة البصريين كمعاني الحروف[٢٢] للزجاجي والتذكرة[٢٣] لأبي علي الفارسي ، والمحتسب[٢٤] ، والخصائص[*] لابن جني ، والمفصل[٢٥] والكشاف[٢٦] للزمخشري ، وشرح لمع ابن جني[٢٧] لابن برهان ، وشرح الكافية[٢٨] لمصنفها ابن الحاجب . وفي الاقتصار على ذكر كتب البصريين فقط دليل على بصريته .

وفي شرح النظم[٢٩] ، رأي للفراء في « لا جرم » من دون أن يشير الى كتابه معاني القرآن[٣٠] ، وعند مراجعتي له ، وقعت على النص الذي ذكره

---

(٢٢) الشرح ٢١٠ . وقال الدكتور مازن المبارك في مقدمة الايضاح ٧ : « لم ينسب أحد الى الزجاجي كتابا بهذا الاسم غير ابن خير الاشبيلي ، على أن بروكلمن عد بين كتب الزجاجي كتابا باسم حروف المعاني » .

(٢٣) الشرح ١٤٣ .

(٢٤) نفسه ٢٣٤ .

(*) نفسه ١٧٧ .

(٢٥) ابن الناظم على الكافية ق١٤ .

(٢٦) الشرح ٢١١ ، ٢١٤ .

(٢٧) نفسه ٢٠٨ .

(٢٨) ابن الناظم على الكافية ق٦٤ .

(٢٩) الشرح ٦٥ .

(٣٠) معاني القرآن ٨/٢ . وانظر أيضا راي سيبويه في «لا جرم» في الكتاب ٤٦٩/١ ، الصاحبي ١٥٠ .

ابن الناظم • وبين النصين ـ نص ابن الناظم ، ونص الفراء ـ اختلاف يسير•

وقد احتل كتاب سيبويه ، مكانا بارزا في دراسة ابن الناظم النحوية • فقد نقل عنه ، واعتمد عليه في كثير من أمثلته وشواهده ، وهو القائل فيه : « ••••• كتاب سيبويه لا نظير له ، ولا غنى لامرىء في اقتناء العلوم الاسلامية عنه ، انه أساس أي أساس •••• »[٣١] •

ومما يدل على معرفته التامة بما في كتاب سيبويه ، هو أنه قال في مسألة الفصل بين فعل التعجب والمتعجب منه ، بالظرف والجار والمجرور : « وليس لسيبويه نص »[٣٢] • ورجعت الى الكتاب[٣٣] ، فلم أجد فيه لسيبويه نصّا كما قال • وقال في باب الترخيم : « وأكثر النحويين لا يجيز ترخيم المركب من جملة وهو جائز لأن سيبويه قال في بعض أبواب النسب ، تقول في النسب الى تأبط شرا تابطي لأن من العرب من يقول يا تأبط ، ومنع من ترخيمه في باب الترخيم •• »[٣٤] ورجعت الى الكتاب[٣٥] ، فوجدت أن ما قاله ابن الناظم صحيح •

ولم يكن ابن الناظم بدعا بين الدارسين الجادين ، في اكباره للكتاب ، فهو المعين الذي استقت منه كل الدراسات النحوية الاصيلة عبر تاريخها الطويل •

وقد تتبعت طائفة من النصوص أخذها ابن الناظم من الكتاب فوجدتها غاية في الدقة والامانة • واكتفي هنا بذكر هذه النصوص ، نقلها ابن الناظم نصا ، متوخيا فيها القصر •

---

(٣١) المصباح ٠١ ، ومما هو جدير بالذكر ان هذا النص في الاصل في المفتاح (٣٠) وادخل عليه ابن الناظم تغييرا يسيرا •

(٣٢) الشرح ١٨٠ •

(٣٣) الكتاب ٣٧/١ •

(٣٤) الشرح ٢٣٣ •

(٣٥) الكتاب ٨٨/٢ ، ٣٤٢/١ •

١ ـ قال ابن الناظم : « قال سيبويه (فأما الذي يبنى عليه شيء هو هو ، فان المبني عليه يرتفع كمـــا ارتفع هـــو بالابتداء ، وذلك كقولك عبدالله منطلق »[٣٦] .

٢ ـ وقال : « وسألت الخليل عـن قولـــه : إنْ تأتِني فتُحدِّثني أُحدِّثْكَ وإنْ تأتِني وتُحدِّثني أُحدِّثْكَ ، فقـــال هـــذا يجوز والجزم الوجه »[٣٧] .

٣ ـ وقال : « قال سيبويه : ومن العرب من يقول خمسةَ عشرُك وهي لغة رديئة »[٣٨] .

٤ ـ وقال : « حكى سيبويه : مررتُ برجلٍ سواءٍ والعدمُ »[٣٩] .

وهذه نصوص جاءت محرّفة في شرح ابن الناظم عمـــا هو في لنسخة المطبوعة من الكتاب ، ولعل من أسباب ذلك ان نسخة الكتاب التي اعتمدها ، فيها اختلاف عما هو مطبوع الآن[٤٠] ، ويجوز أن يكون التحريف جاء من فعل الوراقين والنساخ . ومن هذه النصوص :

١ ـ قوله : « قال سيبويه : حدثني يونس ان قوما يوثق بعربيتهم يقولون مالي الا ابوك ناصر ، فيجعلون ناصـرا بدلا »[٤١] . وورد هـــذا النص في

---

(٣٦) الشرح ٤٢ ، وانظر : الكتاب ١/٢٧٨ .

(٣٧) الشرح ٢٧٥ ، وانظر : الكتاب ١/٤٤٧ .

(٣٨) الشرح ٢٨٧ ، ٢٨٨ ، وانظر : الكتاب ٢/٥١ .

(٣٩) الشرح ٢١٢ ، وانظر الكتاب ١/٢٣٢ . وليس ماذكره ابن الناظم حكاية كما جاء في الكتاب ولكنه تمثيل في أكبر الظن .

(٤٠) انظر مقدمة كتاب الاصول ١/٢٢ـ٢٣ للدكتور عبدالحسين الفتلي، ففيه اشارة مفيدة عن نسخ الكتاب التي اعتمدها ابن السراج عند تاليف كتابه الاصول ، وما فيها من اختلاف . ومن يوازن بين طبعة بولاق ، وطبعة هارون للكتاب يرى اختلافا يسيرا بين الطبعتين . انظر مثلا (١/١٠٥ ، ط/بولاق) و (١/٢٠٤ـ٢٠٥ ، ط/هارون) .

(٤١) الشـرح ١١٨ .

الكتاب هكذا : « وحدثنا يونس أن بعض العرب الموثوق بهم يقولون : مالي لا أبوك أحد فيجعلون أحداً بدلا »[٤٢] .

٢ ـ قوله : « قال سيبويه : فاذا انقضى الكلام ثم جئت بثم فان شئت جزمت وان شئت رفعت وكذا الفاء والواو الا انه قد يجوز النصب بالفاء والواو ، وبلغنا ان بعضهم قرأ قوله تعالى : (يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللهُ فَيَغْفِرَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبَ مَنْ يَشَاءُ) »[٤٣] . وورد هذا النص في الكتاب هكذا : « فاذا انقضى الكلام ثم جئت بثم فان شئت جزمت وان شئت رفعت وكذلك الواو والفاء ... وبلغنا ان بعضهم قرأ (يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللهُ فَيَغْفِرَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبَ مَنْ يَشَاءُ واللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) »[٤٤] .

٣ ـ قوله : « قال سيبويه : وحدثنا من يوثق به أنه سمع من يقول إنْ عَمْراً لمنطلق[٤٤] » . وعبارة الكتاب : « من نثق به » لا « من يوثق به »[٤٥] .

٤ ـ وجاء المثل في الكتاب : « حينئذ الآن »[٤٦] . أما في شرح ابن

---

(٤٢) الكتاب (١/٣٢٤ط/باريس) ، (١/٣٧٢ ، ط/بولاق) ، (٢/٣٢٧، ط/هارون) .
(٤٣) الشرح ٢٧٥ .
(٤٤) الكتاب (١/٣٩٧ـ٣٩٨ ط/باريس) ، (١/٤٤٧ـ٤٤٨ط/بولاق) ، (٣/٨٩ ، ط/هارون) .
(*) الشرح ٦٨ .
(٤٥) الكتاب (١/٢٤٤ ط/باريس) ، (١/٢٨٣ ط/بولاق) ، (٢/١٤٠ ط/هارون) .
(٤٦) الكتاب (١/٢٤٠ ط/باريس) ، (١/٢٧٩ ط/بولاق) ، (٢/١٢٩ ط/هارون) .

الناظم(٤٧) ، فقد جاء محرفا باقحام «واو» بين الكلمتين .

والكتاب الثاني الذي أفاد منه ابن الناظم في مادته النحوية هو «الكشاف» للزمخشري(٤٨) . ومر بنا أنّ ابن الناظم كانت له معــرفة بالكشاف(٤٩) ، وقد أخذ منه(٥٠) .

والكتاب الثالث الذي أفاد منه ابن الناظم في مادته النحــوية ، هــو «مفاح العلوم» للسكاكي(٥١) . وظهر لي بعد قراءة المفتــاح ان بدرالدين لم يفد من قسم الصرف والنحو ، وهو المتوقع ، في دراسته النحوية ، وانمــا أفاد من قسم المعاني ، وهو القسم الذي لخصه في كتابه المصباح كما أسلفت .

ومن أهم ما أفاد من المفتاح هو أنه :

١ ـ أفاد من باب الفصل والوصل من مفتاح العلوم في باب الحال ، بكل مافيه من صيغ نحوية واستشهادات شعرية ، ونَقْل عن كتــاب الاغفال لأبي علي ، وأودعه شرحه على الالفية ، بعد أن أدخل عليــه قليلا من التغيير ، أعرض عن ايراده لطوله(٥٢) .

٢ ـ أخذ هذا النص منه : « وعند النحويين أن (اذ) في (إذْما) مسلوب الدلالة على معناه الاصلي ... »(٥٣) .

---

(٤٧) الشرح ١٠٨ ، وراجعت مخطوطتين في مكتبــة المتحف العــراقي ورقماها (٣١٤ ، ٤٢٧) فوجدت الواو مقحمة كمــا هــو في النسخة المطبوعة . ويجوز أن تكون زيادة الواو من فعل الوراقين والنساخ .

(٤٨) كان الزمخشري صريحاً في بصريته . أنظر : الدراسات النحويـة واللغوية عند الزمخشري ٣٢٠ـ٣٢١ .

(٤٩) انظر ٣٥ من هذه الرسالة .

(٥٠) انظر : (٢٢٠) من هذه الرسالة .

(٥١) أشرت في ٢٤٤ من هذا البحث أن السكاكي كان صريحا في بصريته .

(٥٢) الشرح ١٣٤ـ١٣٥ ، وانظر أيضــا : المصباح ٣٥ ، المفتــاح ١٣٢ـ١٣٣ .

(٥٣) الشرح ٢٧٢ ، وانظر أيضا : المصباح ٢١ ، المفتاح ١١٧ .

٣ ـ أخذ منه أيضا نصا منطقيا ، وأودعه شرحه على الالفية ، بعد أن أدخل عليه تغييرا يسيرا ، وهو في صدد تقرير مسألة نحوية في باب لا التي لنفي الجنس • قال : « والشيء قد يحمل على ضدّه كما يحمل على نظيره ، لأن الوهم ينزل الضدين منزلة النظيرين ، وذلك تجد الضد أقرب حضورا في البال مع الضد »[٥٤] •

وكانت كتب أبيه من أهم مصادره ، التي نقل عنها نصوصا من دون أن يغير فيها ، أو انه اخذها ، وحوّرها ، لتكون موافقة لآرائه • واليك نماذج من هذه النصوص •

١ ـ نقل الاشموني عن شرح الكافية : « وكل معدول سُمّي بـه ، فعدله باق الا (سحر) و (أمس) ، في لغـة بني تميم ، فان عدلهما يزول بالتسمية فيصرفان بخلاف غيرهما من المعدولات ، فان عدله بالتسمية باقٍ ، فيجب منع صرفه للعدل والعلمية ، عددا كان أو غيره ، هـذا هـو مذهب سيبويه ••• وذهب الاخفش وأبو علي وابن بَرهَان الى صرف العدد المعدول مُسمّى به ••• هذا كلامه بلفظه »[٥٥] • أخذ ابن الناظم هذا النص في شرحه على الالفية وغير فيه تغييرا يسيرا فقال : « وكل معدول سمي به فعدله باقٍ الا (سَحَر) و (أَمْسِ) عند بني تميم فان عدلهما يزول بالتسمية وليس في اللفظ تغيير يُشعِرُ بالنقل عن معدولٍ فينصرفان بخلاف غيرهما من المعدولات ، فان في لفظه ما يشعر بعد التسمية به أنه منقول من معدول فيمنع من الصرف للتعريف والعدل ، ولا فرق في ذلك عند سيبويه بين العدد وغيره • وذهب الاخفش وأبو علي وابن برهان الى صرف العدد المعدول اذا سُمّي به »[٥٦] •

---

(٥٤) الشرح ٧٠ ، وانظر أيضا : المصباح ٣٢ ، المفتاح ١٢٢ •
(٥٥) الاشموني ٣/٢٧٦ •
(٥٦) الشرح ٢٥٨ •

٢ ـ وقال ابن مالك في التسهيل في باب الاستثناء : « فللمستثنى بـ (إلا) النصب مطلقا بها لا بما قبلها معدى بها ، ولا به مستقلا ، ولا بأستثني مضمرا، ولا بـ (ان) مقدرة بعدها ولا بـ (إن) مخففة مركبا منها ومن لا (إلا) خلافا لزاعمي ذلك ... »[٥٧] . أخذ منه بدرالدين كلامه هذا فقال : « والناصب لهذا المستثنى هو (إلا) لا ما قبلها بتعديتها ولا به مستقلا ، ولا باستثني مضمرا ، خلافا لزاعمي ذلك ... »[٥٨] .

٣ ـ ونقل الشيخ محمد محي الدين عبدالحميد ، في تحقيقاته على شرح الاشموني[٥٩] في باب التنازع ، نصا طويلا من شرح ابن مالك على كافيته . فهو على الرغم من طوله ، أخذه ابنه في الشرح[٦٠] نصا الا مواضع غيّر فيها تغييرا يسيرا ، ولا مجال هنا لذكر النصين لطولهما فليراجعا .

٤ ـ وأخذ نصا طويلا من شرح أبيه على كافيته[٦١] ، في باب ما لا ينصرف ، وردّ فيه على صدر الافاضل[٦٢] ، بعد أن غيّر فيه ، وأضاف اليه ردودا تجلّت فيها عقليته النحوية المصطبغة بصبغة منطقية واضحة[٦٣] .

وأما مروياته عن النحاة واللغويين ، فكانت ، عن بصريين ، في الغالب .

---

(٥٧) التسهيل ١٠١ .
(٥٨) الشرح ١١٥ـ١١٦ .
(٥٩) الاشموني ٢/ ٣٣٠ (ط/عبدالحميد) .
(٦٠) الشرح ١٠٠ـ١٠١ .
(٦١) نقل الاشموني في شرحه (٣/ ٢٧٢) نص ابن مالك المشار اليه .
(٦٢) هو : القاسم بن الحسين بن محمد الخوارزمي . له مؤلفات منها «المصباح» و «شرح الانموذج» وهما في النحو ، وشرح سقط الزند وغيرها . ولد (سنة ٥٥٥هـ) وتوفي (سنة ٦١٦هـ) . ترجمته في : ارشاد الاريب ٦/ ١٥٤ ـ ١٦٢ ، البغية ٢/ ٢٢٥ـ٢٢٦ .
(٦٣) الشرح ٢٥٧ . ولم أجد في المصباح ، ولا في شرح سقط الزند رأي صدر الافاضل ، الذي ذكره ابن مالك وابنه في علة بناء سحر على الفتح ، وهي تضمّنه معنى حرف التعريف .

وكان سيبويه[٦٤] اكثر اولئك النحاة استئثارا بمروياته ، ثم الاخفش[٦٥] • وحكى عن يونس[٦٦] ، وأبي عبيدة[٦٧] ، وأبي زيد[٦٨] ، والاصمعي[٦٩] ، والجرمي[٧٠] ، وأبي علي الفارسي[٧١] ، وأبي الفتح بن جني[٧٢] ، والحريري[٧٣] •

أما الكوفيون ، فقد روى عنهم ، وكان اكثرهم استئثارا بمروياته هو الكسائي[٧٤] ، والفراء[٧٥] • وقد حكى عن المفضل الضبي بوساطة المرزوقي ، وعن ابن السكيت[٧٦] ، وثعلب[٧٧] •

ومروياته عن الكوفيين ، لا تعني بأية حال أنه كان من مدرسة خاصة غير البصرية • إذ ان البصريين المتأخرين أخذوا عن الكوفيين ، على حين أن البصريين المتقدمين ، لم يأخذوا عنهم بدافع من العصبية ، وأنكروا على أبي زيد أخذه عن المفضل الضبي[٧٨] • والسبب في تغير موقف النحاة البصريين

---

(٦٤) الشرح ٢٤ ، ٤٨ ، ٥٠ ، ٥٣ ، ٦٨ ، ١٠٠ ، ١١٧ ١٥١،١٥٥، ١٦٤ •

(٦٥) نفسه ٥ ، ١٤١ ، ١٥٨ ، ١٦٨ ، ٢٣٧ ، ٢٤٧ •

(٦٦) نفسه ٢٢٥ ، ٢٨٥

(٦٧) نفسه ١٥٨ •

(٦٨) نفسه ٧٤ ، ١٤٠ •

(٦٩) نفسه ١٣٤ •

(٧٠) نفسه ١٢٣ •

(٧١) نفسه ١٣٥ ، ١٤٣ ، ١٧٦ •

(٧٢) نفسه ٢٤١ •

(٧٣) ابن الناظم على الكافية ق٧٦ •

(٧٤) الشرح ٥٢،٦٦،١٥٧،١٦٥،١٨١ •

(٧٥) ٣٤،٦٦،٦٩،١٢١ ، ١٤٠،٢٠٨،٢٣٢ ، ••

(٧٦) نفسه ١٢٣ •

(٧٧) نفسه ١٤١ •

(٧٨) أخبار النحويين البصريين ٤٤ـ٤٥ ، انظر أيضا : النوادر في اللغة لأبي زيد (١ـ٢) •

المتاخرين عن موقف متقدميهم ، ان دواعي العصبيـــة على الكوفيين قد زالت بعد ان سكن الفريقان بغداد واصبح مطلب النحاة الرئيس ، الشاهد الثبت ، مهما يكن مصدره .

ونقل ابن الناظم ايضا عن لغويين ، ونحـــاة اندلسيين ، كابن سيدة(٧٩) وابن القطاع(٨٠) ، وابن خروف(٨١) .

٢ ـ الاصول المنهجية التي بُنيت عليها دراسة ابن الناظم النحوية :

أ ـ موقفه من السماع والقياس :

رصد المصنفون المتأخرون كأبي البركات الانباري (ت ٥٧٧هـ) والسيوطي (ت ٩١١هـ) منهج الدراسة النحوية عند كل من البصريين والكوفيين ، وأشاروا الى أن لكل من الفريقين منهجـــا متميزا عن الآخر (٨٢) . وكان السـمـاع والقياس من أهم الاصول المنهجيـة التي اختلف الفريقان فيهما . فالبصريون كانوا يقيسون على الشـــائع الكثير ، ويحفظون الشـاذ النادر على حين كان الكوفيون يقيسون على ما عده البصريون شاذا أو نادرا .

---

(٧٩) الشـرح ١٦٩ .

(٨٠) نفسـه ٣٥٠ .

(٨١) نفسـه ٨٢ .

(٨٢) كانت رسالتا أبي البركات الانباري «الاغراب في جدول الاعراب» و «لمع الادلة» ، وكتابا السيوطي «الاقتراح في أصول النحو» و «الاشـباه والنظائر» من أهم الكتب التي تنـاولت أصول الدراسة النحوية عند النحاة المتقدمين من بصريين وكوفيين . وقد اعتمد أبو البركات الانباري والسيوطي وغيرهما من المصنفين المتأخرين فيمـا قرروه من أصول على ماوصل اليهم من تراث نحوي ضخـم . وكان لـكتب ابن جني كالخصـائص ، أهميـة خاصـة في هذا المجال .

وكانت كتب ابي البركات والسيوطي من أهـم الكتب التي اعتمدهـ الدارسون المحدثون في دراساتهم النحويـة لمنهجي البصريين والكوفيين ، ومن هذه الدراسات : مدرسة الكوفة ـ مهدي المخزومي ، مدرسة البصرة النحوية ـ عبدالرحمن السيد ، في أصول النحو ـ سعيد الافغاني ، أصول التفكير النحوي ـ علي أبي المكارم .

لقد ضيّق النحويون البصريون دائرة الاستشهاد النحوي ، وحصروه ببيئات لغوية معينة ، ومن ثم بنوا قواعد كليـــة على ماجاء عن قبائلها • ونجم عن ذلك أنهم طعنوا في طائفة من القراءات[٨٣] ، وفي كثير من أقوال العرب وأشعارهم ، والتجأوا الى تأويل كثير من النصوص الفصيحة ، لانها لا تندرج تحت أصولهم الكليّة •

وفيما مر بنا[٨٤] ، وضح لنا ان ابن الناظم ، كان يعتمد منهج البصريين في المرحلة الثانية من دراسته النحوية خاصة •

ومع ذلك يمكن أن نتبين موقف ابن النـــاظم في أصول النحو في هذه المسألة الخلافية •

ذهب الكوفيون الى أن « ليس » تأتي فعـــلا ، وتأتي حرف نســـق ، واستشهدوا على ما ذهبوا اليه بما ورد عن العرب نحو قول لبيد :

وإذَا جُوزِيـــتَ قَـرْضـــاً فَـاجْزِهِ
إنَّمـا يَجْزِي الْفَتَى لَيْسَ الجَمَل[٨٥]

أما البصريون ، فقد ذهبوا الى أن «ليس» لا تأتي إلاّ فعلا •وروى سيبويه قول لبيـد :

وَإذَا أَقْرَضْـــتَ قَـرْضـــاً فـاجْزِهِ
إنَّمـا يَجْزِي الفَتَـــى غَيْرُ الجَمَـل[٨٦]

واستشهد الكوفيون أيضا على صحة مذهبهم بقول الشاعر :

أَيْـــنَ المَفَـرُّ والإلَــهُ الطَّـــالِبُ
وَالأَشْرَمُ الْمَغْلُوبُ لَيْسَ الْغَـــالِبُ

---

(٨٣) أنظر : الدراسات النحوية واللغوية عند الزمخشري ٤٠ـ٤١ ففيه طائفة من القراءات التي ضعّفها النحاة البصريون أو شذّذوها •
(٨٤) انظر الباب الثاني والفصل الاول من هذه الرسالة •
(٨٥) انظر : الصاحبي ١٦٩ ، الأهية ٢٠٤ •
(٨٦) الكتاب ١/٣٧٠ •

وتابع ابن الناظم البصريين ، وذهب الى أنها لا تأتي نسقا • ورد مذهب الكوفيين • فبعد أنّ ذكر مذهبهم ، في مجيء ليس عاطفة كـ « بل ، ولا ، ولكن » ، وأورد البيت الذي استشهدوا به قال : « ولا حجة فيه لجواز أن يجعل الغالب اسم ليس وخبرها ضميرا متصلا عائدا على الأشرم ، ثم حُذف لاتصاله كما حذف في نحو : زيد ضربه عمرو اذا قلت زيدٌ ضَرَبَ عمروٌ وكما حذف في قول الشاعر :

فأطعمنَا مِنْ لَحْمِهَا وَسَنَامِهَا
شِواءً وَخَيرُ الْخَيْرِ مَاكَانَ عَاجِلُه

التقدير ماكانه عاجله على معنى عاجل الخير خيره »[87] •

وفي تأويل ابن الناظم مافيه من تمحّل •

ب ـ منهجه في عرض النحو :

أثر المنطق والعلوم الاسلامية المتأثرة به في الدراسة النحوية عامة ، وفي نحو البصريين خاصة قبل عصر ابن الناظم بزمن طويل[88] • وبلغ هذا التأثير ذروته في القرن الرابع للهجرة ، نتيجة لسيادة النزعة العقلية على النشاط العلمي آنذاك • وكان أثره في نحو البصريين ، أكثر منه في نحو الكوفيين • فقد كانت التعليلات والاستدلالات والمصطلحات والتراكيب المنطقية من أهم معالم الدراسة النحوية للزجاجي (ت ٣٣٧هـ) والفارسي (ت ٣٧٧هـ) والرماني (ت ٣٨٤هـ) ، على حين لا نجد من هذه المعالم فيما وصلنا من كتب أبي بكر بن الانباري (ت ٣٨٨هـ) •

---

(٨٧) الشرح ٢٠٤ • ويؤيد رواية الكوفيين لبيت لبيد ، رواية البيت في شرح ديوانه ، ١٧٩ تحقيق احسان عباس ، مطبعة الحكومة ، الكويت ١٩٦٣ •

(٨٨) لم يكن النحو العربي وحده متأثرا بالمنطق الارسطي • فقد ذكر فندريس في (اللغة ١٢٦) ان النحو الفرنسي قد تأثر به ، وبنيت قواعده وأصواله عليه • وانظر أيضا : دراسات نقدية ١٢٨/١ •

وظل المنطق يؤثر في الدراسة النحوية البصرية حتى زمن ابن الناظم وبعده • ومر بنا ان ابن الناظم كان من المشتغلين بالمنطق[89] ومن المصنفين فيه • ولذا كان الطابع المنطقي لدراسته النحوية من أهم معالمها ، فقد اكتسبت صبغة عقليــة ، وكان من مظاهرها ، ذكره لكثير من المصطلحات المنطقية والاصولية ، واستخدامه لاساليب المناطقة والاصوليين في الاستدلال على صحة مايذهب اليه ، كاستخدامه القسمة الرياضية وغيرها من طرائق الاستدلال التي اخذت طريقها الى الدراسة النحوية • فمن المصطلحات والتراكيب المنطقية والاصولية التي شاعت في دراسته النحوية : « لفظ بالقوة ولفظ بالفعل »[90] و «بين الكلم والكلام عموم من جهة وخصوص من جهة»[91] و «وكمال المناسبة»[92] و «الاستلزام»[93] و «الالتزام»[94] و «المؤثر والمتأثر غيران»[95] و «الاستحسان»[96] و «السلب»[97] و «النفي والايجاب»[98] و «الامر الاستحساني»[99] و «العدمي والوجودي»[100] و «المتعقَّل»[101] •

وكانت حدوده النحوية ، ذات طابع منطقي ، اتسمت بكونها جامعة مانعة، ومر بنا انه كان كَلِفاً بها منذ مراحل دراسته النحوية الاولى[102] ، وبقيت

---

(٨٩) انظر ٣٧ـ٣٨ من هذه الرسالة •
(٩٠) الشرح ٣ •
(٩١) نفسه ٤ ، ١٠٤ •
(٩٢) نفسه ١٤ •
(٩٣) نفسه ٨٤ •
(٩٤) نفسه ١٠٨ •
(٩٥) نفسه ١٠٥ـ١٠٦ •
(٩٦) نفسه ١٧٣ •
(٩٧) نفسه ٥٤ •
(٩٨) نفسه ١٧٩ •
(٩٩) نفسه ١٩٠ •
(١٠٠) نفسه ٢٦١ •
(١٠١) شرح ابن الناظم على الكافية ق١٢ •
(١٠٢) انظر ٦٦ ، ١٥١ ، ١٨٠ من هذه الرسالة •

هذه الظاهرة شاخصة في شــرحه على الالفية ، اذ اننا نجده يحد كثيرا من القضايا النحويه ، بل اخذ اباه على بعض الحدود[١٠٣] • وهـذا حد منهـا ، يظهر لنا طبيعتها •

قال في حد الكلمة : «والمراد بالكلمة لفظ بالقوة أو بالفعل مستقل دال بجملته على مفرد بالوضع • فاللفظ مخرج للخط والعقد والاشارة والنصب • وبالقوة مدخل للضمير في نحو : أفعل وتفعل ولفظ بالفعل مدخـل لنحو زيد في قام زيد ، ومستقل مخرج للابعاض الداله على معنىً كألف المفاعلة وحروف المضارعة ودال معمم لما دلالته ثابتـة كرجل ، ولما دلالتـه زائلة كأحد جزئي امرىء القيس لانه كلمة ، ولذلك أعرب باعرابين كل على حدة ، وبجملتـه مخرج للمركب كغلام زيد فانه دل بجزئيه على جزئي معناه ، وبالوضع مخرج للمهمل ولما دلالته عقلية كدلالة اللفظ على حال اللافظ به »[١٠٤] •

وعرض مسألة أقسام الكلمة في اللغة العربية عرضا منطقيـا لا نجده الا عند النحاة المتمنطقين كابن الحاجب[١٠٥] ، فقـال : « الكلمة إما أن تكون ركنا للاسناد أوْلا الثاني الحرف ، والاول إمـا أنْ يصح أن يسند اليـه أوْلا الثاني الفعل ، والاول الاسم ، وقد ظهر من هـذا انحصار الكلمة في ثلاثة أقسام »[١٠٦] •

وهذان نصان يُظهران منهج ابن النـاظم في عرضه لكثير من المسائل النحويـة •

---

(١٠٣) انظر (١٨١ـ١٨٤) من هذه الرسالة •

(١٠٤) الشرح ٢ـ٣ •

(١٠٥) أخذ ابن الناظم قوله في اقسام الكلمة من كافيـة ابن الحاجب (مجموع مهمّات المتون ٣٨١) • وغير فيه تغييرا يسيرا • قال ابن الحاجب : « الكلمة اما ان يصح أن تكون ركنا للاسناد أو لا الثاني الحرف ، والاول إما أن يصح أن يسند اليه اولا الثاني الفعل والاول الاسم وقد ظهر من هذا انحصار الكلمة في ثلاثة أقسام » •

(١٠٦) الشـرح ٣ •

١ ـ ذكر مسألة تكرير إلا مستثنى بها بعض ماقبلها فقال : « اذا كررت إلا مستثنى بها بعض لما قبلها ، فالمراد اخراج كل مستثنى من متلوه ، ولك في معرفة المتحصّل بعد ما يخرج بالاستثناء طريقان ، أحدهما أن تجعل كل وتر كالأول والثالث حطّا من المستثني منه ، وكل شفع كالثاني والرابع جبراً له ثم ما يحصل فهو الباقي • مثاله : له عليّ عشرة الا ستة الا أربعة الا اثنين الا واحدا فالباقي بعد الاستثناء بالعمل المذكور سبعة لانا أخرجنا من العشرة ستة لانها اول المستثنيات ، وأدخلنا أربعة لانها ثانية المستثنيات فصار الباقي ثمانية ثم أخرجنا اثنين لانها ثالثة المستثنيات فصار الباقي ستة ثم أدخلنا واحدا لانه رابع المستثنيات فصار الباقي سبعة • الطريق الثاني ان تحط الآخر مما يليه ثم باقيه مما يليه وكذا الى الاول فما يحصل فهو الباقي ولنعتبر ذلك في المثال المذكور فنحط واحدا من اثنين يبقى واحد تحطه من اربعة يبقى ثلاثة تحطها من سته يبقى ثلاثة تحطها من عشرة يبقى سبعة وهو الجواب »(١٠٧) •

وقال في بحث أسماء الأفعال : « ان الكلمة متى رادفت الفعل ولم تصلح لعلاماته فهي اسم لانتفاء الفعلية ، لانتفاء لازمها ، وهو القبول لعلامات الفعل ، وانتفاء الحرفيه لكون ما يرادف الفعل قد وقع أحد ركني الاسناد فوجب ان يكون اسما ، وان لم يحسن فيه العلامات المذكورة للاسماء ، لان الاسم أصل فالالحاق به عند التردد أولى »(١٠٨) •

بهذا الاسلوب المنطقي عرض ابن الناظم كثيرا من المسائل النحويه • وهذا الاسلوب لم يعرف الا عند متأخري البصريين المتمنطقين •

٣ ـ **المصطلحات النحوية(١٠٩) :**

نشأت المصطلحات النحوية ، مع نشوء الدراسة النحوية نفسها ، عند

---

(١٠٧) الشرح ١٢٠ •

(١٠٨) نفسه ٦ •

(١٠٩) افدت فيما كتبته هنا مما كتبه الدكتور مهدي المخزومي في مدرسة الكوفة ٣٠٣ـ٣١٦ ، ومدرسة البصرة النحوية ٣٢٤ـ٣٥٠ ، أبو زكريا الفراء =

البصريين والكوفيين ، غير انها ، كانت عند البصريين ، أسبق منها عند الكوفيين، لسبق الدراسة النحوية في البصرة •

وقد كتب للمصطلحات النحوية البصرية أن تشيع في الدراسات النحوية ، في القرن الرابع للهجرة ، وما بعده خاصة ، لسيادة المذهب البصري فيها ، أما المصطلحات النحوية الكوفية ، فلم يكتب لها الشيوع عند النحاة ، ومنهم المتأخرون ولئن ذكرت طائفة منها عندهم ، وذلك قليل ، إنما تذكر في الغالب ، مقرونة بما يناظرها من المصطلحات البصرية ، كما نجد ذلك في المطولات كشرح ابن يعيش على المفصل ، وشرح الرضي على الكافية ، وشرح التصريح وغيرها •

والملاحظ في دراسة المصطلحات النحوية ، ان طائفة من المصطلحات التي عرفت بأنها كوفية ، كانت في أصلها بصرية ، وردت في الكتاب ، كالنعت والاجراء وغيرهما ، وأن طائفة أخرى من المصطلحات الكوفية ، كالمفعول الذي لم يُسَمَّ فاعله ، والجحد والخفض[(١١٠)] وغيرها ، استعملها بصريون صريحون ببصريتهم •

إنَّ كلا الفريقين ، صدر في وضع مصطلحاته النحوية عن منهجه في دراسة النحو ، فالطابع العقلي هو السمة البارزة ، لاغلب المصطلحات البصرية، على حين غلب الطابع اللغوي على المصطلحات الكوفية •

وسأذكر مصطلحات ابن الناظم النحوية ، من دون أن أخوض في

= ٤٣٦ـ٤٥٥ ، المدارس النحوية ١٦٥ـ١٧١ •

وفي مقدمة كتاب «العربية الفصحى» للاب هنري فليش اليسوعي ملاحظات مفيدة عن المصطلحات النحوية ووظيفتها اللغوية بقلم المعرب الدكتور عبدالصبور شاهين •

(١١٠) الواقع ان الخفض من أوضاع الخليل • أنظر : مفاتح العلوم للخوارزمي ٣٠ • وقد استأثر الكوفيون به ، انظر : معاني القرآن ٢/٣٩٧ـ٣٩٨ •

مدلولاتها اللغوية لنتبين على ضوئها ، مذهبه النحوي ، لان المصطلحات النحوية من أهم مشخصات مذاهب النحاة ، كما سبق أن ذكرت •

المصطلحات النحوية عند ابن الناظم :

اولا : وردت عنده مصطلحات بصرية ، لا يوجد ما يُقابلها عند الكوفيين نحو : لام الابتداء(١١١) ، واسم الفعل(١١٢) ، والمفاعيل (المطلق ، وله ، وفيه ، ومعه)(١١٣) وفعل الأمر(١١٤) •

ثانيا : ووردت عنده مصطلحات بصرية ، لها ما يقابلها عند الكوفيين ، ولم يرد مجرد ذكر للمصطلحات الكوفية هذه عنده • ومن المصطلحات البصرية الواردة عنده النفي(١١٥) ،

---

(١١١) الشرح ٤٦ ، ٦٥ • ولام الابتداء ، مصطلح بصري (الكتاب ١/٤٧٣ ، المقتضب ٢/٣٤٤ ، الاصول ١/٣٣٤) • واللام في : لزيد أفضل من عمرو ، عند الكوفيين لام قسم • انظر الانصاف المسألة ٥٨ •

(١١٢) الشرح ٦ ، ٢٣٦ ، وما سمّاه البصريون اسم فعل (الكتاب ١/١٢٢ ، المقتضب ٣/٢٠٢ ، الاصول ١/١٦٧) عده الكوفيون فعلا حقيقيا • أنظر : التصريح ٢/١٩٥ ، الاشموني ٣/١٩٨ •

(١١٣) الشرح ١٠١ ، ١٠٦ ، ١٠٧ ، ١١٠ على التوالي • قال الازهري في التصريح (١/٣٢٣) : «فان صدق المفعولية (يقصد في المفاعيل ماعدا المفعول المطلق) مقيدا بالجار كالمفعول به والمفعول له والمفعول فيه والمفعول معه •وهذه التسمية للبصريين ، وأما غيرهم (ويعني الكوفيين) فلا يسمى مفعولا الا المفعول به خاصة ، ويقول في غيره مشبه بالمفعول» • وانظر : الهمع ١/١٦٥ •

(١١٤) الشرح ٨ • وانظر ١٠٥–١٠٦ من هذه الرسالة •

(١١٥) الشرح ٥٦ ، ٧٠ ، ٢١٠ •

وقد ورد هذا المصطلح في الكتاب (١/٦٩ ، ٢/٣٠٥) ، والمقتضب (١/٤٧ ، ٦٢ ، ٣/١٩٠ ، ٤/١٨٨) ، والاصول (١/٤٦١) • وسمّاه الكوفيون «الجحد» • وورد كثيرا في معاني القرآن (١/٨ ، ٣٨٣ ، ٤٢٣ ، ٢/٣٧٧ ، ••• الخ) • وفي مجالس ثعلب (٢/٤٧٥) • ويظهر ان طائفة من نحاة القرن الرابع من كلتا المدرستين ، استعملوا المصطلحين : النفي والجحد • فالسيرافي استعمل مصطلح الجحد على الرغم من بصريته ، هامش الكتاب (١/٤٤٥ ، =

والضمير(١١٦) ، وضمير الشأن(١١٧) ، وضمير الفصل(١١٨) والظرف(١١٩)

٣١٢/٢) ، وكذلك الزجاجي ، الجمل (٣١ ، ٣٢ ، ٦٠ ، ٦١) • واستعمل ابن فارس المصطلحين ، الصاحبي (١٣٣ ، ١٤٤ ، ١٧١) •

(١١٦) الشرح ٢٠ •

وورد هذا المصطلح في الكتاب (١/٣٥ ، ٧٣) ، والمقتضب (١/٢٦٨ ، ٤/١٠٠) والاصول (١/٩٩) • وسمّاه الكوفيون «المكني» ، معاني القرآن (١/٢٥٣) ، مجالس ثعلب (١/٤٣ ، ٦٤ ، ٢/٥٥٧) ، اعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم (٢٧ ، ٣١ ، ٤٨ ، ٥٠) • واستعمل ثعلب ، وهو شيخ الكوفيين في عصره غير مدافع ، المصطلح البصري ، وهو «المضمر» ، المجالس (١/٣٧٤) • واستعمل ابن السراج على الرغم من بصريته ، المصطلح الكوفي «المكني» ، الاصول (١/٧٩ ، ١٠١ ، ١٧٦) • وانظر أيضا : شرح المفصل ٨٢/٣ ، الخضري على ابن عقيل ١/٥٤ •

(١١٧) الشرح ٥٤ •

وورد هذا المصطلح في الكتاب (١/٣٥،٥٤،٧٣،٣٠٠) ، والمقتضب (٢/١٤٤) والجمل (٦٣) وسمّاه الكوفيون «المجهول» • انظر مجالس ثعلب (١/١٢٥ ، ٢٣٠ ، ٢٣١) الاصول (١/٢١٨) • وانظر أيضا : شرح ابن الخباز على ألفية ابن معط (ق٦٨) ، شرح المفصل (٣/١١٤) ، الرضي (٢/٢٧٢ ، ٢٧٣) •

(١١٨) الشرح ٦٥ •

ورد هذا المصطلح في الكتاب (١/٣٩٤ ، ٣٩٧) • وسمّاه الكوفيون «العماد» انظر : معاني القرآن (١/٥١،٤٠٩) • وقال محقق معاني القرآن ، المرحوم النجار : ان بعض الكوفيين يسمونه دعامة أيضا •

وانظر أيضا : مجالس ثعلب (١/٤٣،١٣٣،٢/٥٩٢) • وعقد الزجاجي في الجمل (١٥٢) بابا سماه : (باب الفصل ، ويسميه الكوفيون العماد) • وانظر أيضا : الانصاف (٢/٧٠٤،٧٠٥،٧٠٦) ، الهمع (١/٦٨) •

(١١٩) الشرح ١٠٧ • وقد ورد هذا المصطلح في الكتاب (١/١١٠ ، ٢٠١،٢٠٤) ، والمقتضب (٢/١١٥،٣/١٧٦،٤/٣٢٨) ، والاصول (١/٢٢٨ ، ٢٣٩) • وسماه الكسائي «الصفة» والفراء ب «المحل» • انظر : الاصول (١/٢٤٦) • وفي لسان العرب ـ مادة ظرف ـ ان تسمية الظرف بالمحل للكسائي لا للفراء • والظاهر ان ثعلبا فرق بين ظرفي الزمان والمكان فسمى الاول وقت ، والثاني صفة • انظر مجالسه (١/١٧٥ ، ١/٦٤،٢٦٦) • وانظر

وحروف الزيادة[١٢٠] وحروف الجر[١٢١] ولا التي لنفي الجنس[١٢٢] **والصرف**[١٢٣]

أيضا : مفاتيح العلوم ٣٥ ، الانصاف ، المسألة ٦ ، شرح ابن الخباز علـى ألفية ابن معط (ق٥٣) ٠

(١٢٠) الشرح ٥٦،٥٧،١٤١ ٠ وهذه هي تسمية البصريين، انظر : الكتاب (٤٧٥/١ ، ٣٠٦/٢) ، والمقتضب (٤٧/١،٤٢١/٤) ٠ وسماها الكوفيون «حروف الحشو أو الصلة» ٠ أنظر : الازهية ٧٦ ، شرح المفصل ١٢٨/٨ ، وانظر ٨٩ـ٩٠ ، ١٥٩ من هذا البحث ٠

(١٢١) الشرح ١٣٩ ٠

وورد هذا المصطلح في الكتاب (٤٤٢/١،٤٤٣) والمقتضب (١٣٦/٤) ، والاصول (٤٩٧/١) ٠ وسمّاها الكوفيون حروف الصفة ، أو حروف الخفض أو حروف الاضافة ٠ أنظر مجالس ثعلب (٤٤٦/٢،٤٦٧) ، وانظر أيضا : شرح المفصل (٧٤/٤،٨/٧) ، الهمع ١٩/٢،١١٦ ٠ واستعمل المبرد مصطلح الكوفيين وهو (حروف الخفض) انظر : المقتضب ٦١/٣ ، والكامل ٩٢/٢ ٠ وكذلك استعمله الزجاج في الجمل ٥٣ ٠ واستعمل ابن خالويه وهو المعروف بميله للكوفيين المصطلح البصري وهو (حروف الجر) في اعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم (٣١،١٤٣،١٨٦،٢٠٥) ٠ وسمى الباء فقط « باء الصفة » انظر الكتاب نفسه (٥،١٣٣،١٧٧) ٠

(١٢٢) الشـرح ٧٠ ٠

وسمّى الكوفيون هذه الـ «لا» «لا التبرئة» ٠ انظر : معـاني القرآن (١٢٠/١) ، ومجالس ثعلب (١٣١/١ ، ١٣٢) ٠

(١٢٣) الشرح ١٨ ، ٢٤٤ ٠

وقد ورد هذا المصطلح في الكتاب (٣/٣) ، والمقتضـب (٣٠٩/٣) ٠ وسمّاه الكوفيون «الاجراء» ٠ أنظر : معـاني القرآن (٤٣٨/١ ، ٣٠/٣) ، وتعليق محققه النجار (٣٥٤/١) ، ومجـالس ثعلب (١٣٨/١) وتعليق محققه هارون في الصفحة نفسها ٠

ويغلب على ظني ان الكوفيين أخذوا هـذا المصطلح من الكتاب (٥/٢) ومن كلام الخليل ، قال سيبويه : « وكل أفعل يكون اسما ، تصرفه في النكرة قلت فكيف تصرفه ، وقد قلت لا أصرفه قال : لأن هذا بناء يمثّل به فزعمت أن هذا المثال ماكان عليه من الوصف لم يجر فان كان اسما وليس بوصف جرى » ٠ومعلوم أن القائل هو الخليل٠ أنظر : اخبار النحويين البصريين ٣١ ٠

والبدل[١٢٤] ، واسم الفاعل[١٢٥] ، و «الرفع والنصب والجر والجزم[١٢٦] وهي ما اطلق عليها القاب الاعراب ، و «الضم والفتح والكسر والسكون»[١٢٧] وهي ما أطلق عليها ألقاب البناء .

ثالثا : استعمل ابن الناظم مصطلحات كوفية ، مع استعماله ما يناظرها من المصطلحات البصرية . ولم يكن ابن الناظم أول نحوي بصري يستعمل

---

(١٢٤) الشرح ٢١٥ .

وورد هذا المصطلح في الكتاب (١/٢٢٥) ، والمقتضب (٤/٢٩٥) وسمّاه الكوفيون الترجمة والتبيين والتكرير . والغريب أن المبرد استعمل مصطلح البصريين في الكامل (٣/١٧-١٨) ، وعدد أقسامه ، واستعمل فيه أيضا مصطلح الكوفيين ، ثم ذكر مصطلح البصريين بعبارة تلفت النظر ، قال في الكامل (١/٢٣٤) عند كلامه على بيت الشاعر :

على ساعة لو أنّ في القوم حاتما
على جوده ما جاد بالماء حاتم

« جعل حاتم تبيينا في جوده ، وهو مايسميه البصريون البدل ... » . وانظر ايضا : التصريح ٢/١٥٥ ، الاشموني ٢/٢٦١ ، الخضري على ابن عقيل ٢/٦٨ .

(١٢٥) الشرح ١٦٢ .

وورد هذا المصطلح في الكتاب (١/٥٦) ، المقتضب (٢/١١٣) ، الاصول (١/١٤٤) . وهو اسم عند البصريين ، على حين أنه فعل عند الكوفيين وسمّوه «الدائم» . أنظر : معاني القرآن ١/١٦٥ ، مجالس العلماء ٣٤٩ ، مجالس ثعلب (١/٤٤) . وانظر أيضا : مدرسة الكوفة ٢٣٨-٢٤١ ، الفعل زمانه وأبنيته ١٨-٢٠ . وانظر أيضا : ١٩٦-١٩٧ من هذا البحث .

(١٢٦) ، (١٢٧) الشرح ٩ ، ١٠ .

وقد فرّق البصريون بين ألقاب الاعراب وألقاب البناء . أنظر : الكتاب (١/٢-٣) ، المقتضب (١/٤) ، الاصول (١/٤٧) . وأنظر أيضا : مفاتيح العلوم ٢٩ ، شرح المفصل ١/٣٢ ، الاشباه والنظائر ١/١٦٢ ، الخضري على ابن عقيل ١/٣٥ . وقال الرضي في شرحه على الكافية (٢/٣) «والتمييز بين ألقاب حركات الاعراب ، وحركات البناء ، وسكونهما ، في اصطلاح البصريين متقدميهم ومتأخريهم تقريبا على السامع . أما الكوفيون فيذكرون ألقاب الاعراب في المبني وعلى العكس ولا يفرقون بينهما» .

وانظر أيضا ماكتبه الشيخ عضيمة في مقدمة المقتضب (١/٤-٥) عن ألقاب الاعراب والقاب البناء عند سيبويه والمبرد .

المصطلحات الكوفية ، فقد ترددت طائفة منها عند المبرد وابن السراج[١٢٨] ، والنحاس[١٢٩] ، وابن الحاجب[١٣٠] .

من هذه المصطلحات : (الصفة والنعت)[١٣١] ، و(التمييز والتفسير)[١٣٢] ، و (الجر والخفض)[١٣٣] .

ولنأخذ مصطلح الخفض مثلا ، وهو مصطلح استأثر به الكوفيون ، فان ابن الناظم[١٣٤] لم يستعمله الا نادرا على حين استعمله بصريون متقدمون

---

(١٢٨) مقدمة الاصول ـ للدكتور الفتلي ٢٠ .

(١٢٩) مقدمة شرح المعلقات العشر ـ للنحاس ، لاحمد خطاب العمر ٣٠ .

(١٣٠) ابن الحاجب النحوي ١٤١ـ١٤٢ .

(١٣١) أنظر : شرح ابن الناظم ٢٢٤ ، ١٩١ .
وورد المصطلحان : الصفة والنعت ، في الكتاب (١/٢١٩،٢٢٠) والمقتضب (١/٢٦،٤/٣١٥) وفي الكامل (٢/٢٣٢،٢٨٢،٣/١٧) ، وفي الجمل (١٨ ، ٢٦ ، ٣٠٤) ، وفي مجالس ثعلب (١/٢٨،٤٤،٢/٣٨٨) . وورد المصطلحان كذلك في شرح ابن الخباز ق ٨٠،٨١ . وانظر رأي الخليل في الفرق بين النعت والصفة في الصاحبي ٨٨ .

(١٣٢) انظر شرح ابن الناظم ١٣٦ .
وقد ورد مصطلح التفسير الكوفي في الاصول (١/٧،٢٧٢) ، وورد في مجالس ثعلب (١/٢٢٤،٢٦٥،٢/٤٣٧) .

(١٣٣) الشرح ١٠،١١،٢٤،٦٥،١٢٣،١٣٩ .
ورد مصطلح الجر في الكتاب (١/٢٦١،٢/٢٦٦ وغيرها) ، المقتضب (٤/١٣٦) والخفض من مصطلحات الخليل أخذه عنه الكوفيون ، أنظر مفاتيح العلوم ٣٠ . وانظر الفرق بين معنى الجر والخفض عند الاصمعي ، في رده على سؤال الخليل في مجالس العلماء ١١٨ ، وانظر ايضا انباه الرواة ٢/٢٦٧ ، ففيه أن الكسائي يذكر مصطلح الخفض . ونص ابن الخباز في شرحه على الفية ابن معط (ق ٣٢) على أن «الجر من عبارات البصريين والخفض من عبارات الكوفيين» وقد استعمل ابن الخباز نفسه كلا المصطلحين عند شرحه لبيت ابن معط :

وعِنْدَ سِيبَوَيْهِ حَاشَا تَخْفِضُ ... وَمَنْ سِوَاهُ الجَرُّ لا يَفْتَرِضُ

(١٣٤) الشرح ٣٧ .

كالمبرد[١٣٥] ، وابن السراج[١٣٦] ، والزجاجي[١٣٧] ، وابن الحاجب[١٣٨] .

ومما تجدر الاشارة اليه ان ابن الناظم عند شرحه قول الناظم :

كَذاكَ حَذْفُ مَا بِوَصْفٍ خُفِضَا
كَأَنْتَ قَاضٍ بَعْدَ أَمْرٍ مِنْ قَضَى

لم يستعمل مصطلح « الخفض » الوارد في النظم ، وآثر عليه مصطلح « الجر » انسياقا مع مذهبه البصري[١٣٩] .

رابعا : ولم ترد عنده مصطلحات كوفية ، لا يوجد ما يقابلها عند البصريين من مصطلحات ، نحو :

الخلاف[١٤٠] ، والصرف[١٤١] ، والتقريب[١٤٢] .

---

(١٣٥) انظر الكامل ٢/٩٢،١٠٧،٣/١٨ ، المقتضب ٣/٦١ .

(١٣٦) انظر الاصول ١/٤٠،٤٢،٤٦ .

(١٣٧) انظر الجمل ١٣٠،١٣٢،١٤٦ .

(١٣٨) مجموع مهمات المتون ـ الكافية ـ ٤١٠ .

(١٣٩) الشرح ٣٧ .

(١٤٠) انظر : معاني القرآن ١/٣٣ـ٣٤،١١٥،٢٣٥ ، الانصاف المسألة ٢٩،٣٠ . وانظر (١٢٠) من هذا البحث .

ومن الجدير بالذكر قول الزجاجي في الجمل ٢٠٣ : « وجميع ماينصب من الجوابات بالفاء والواو ، فانما ينصب بمخالفة الثاني الاول ، وانه لايمكن عطفه عليه » .

(١٤١) انظر : معاني القرآن ١/٣٣،١١٥،٢٣٥،٢٧٦ ، تهذيب اللغة ١٥/٦٧٤ ، الازهية ٢٤٢ ، المغني ١/٣٦١ . وانظر أيضا : الانصاف المسائل ٣٠ ، ٧٥ ، ٧٦ .

(١٤٢) وهو مصطلح ، اطلقه الكوفيون على «هذا» ، فقد أعملوا «هذا» عمل «كان» . قال ثعلب في مجالسه ١/٤٣ : «قال : وقال سيبويه هذا زيد منطلقا ، فأراد ان يخبر عن هذا بالانطلاق ، ولا يخبر عن زيد ، ولكنه ذكر زيدا ليعلم لمن فعل . قال أبو العباس : وهذا لا يكون الا تقريبا . وهو لا يعرف التقريب . والتقريب مثل كان ، الا انه لا يقدم في كان ، لانه رد كلام فلا يكون قبله شيء» . وانظر المجالس نفسه (١/٤٤،٢/٤٢٧،٥٢٥) . وقال ابن السراج في الاصول (١/١٨١) : «وقال قوم : ان كلام العرب أن يجعلوا هذه الاسماء المكنية بين «ها وذا» وينصبون على الحال ... ويسميه الكوفيون التقريب» . وانظر أيضا : الهمع ١/١١٣ .

٤ ـ ابن الناظم بين المدرستين البصرية والكوفية :

مر بنا في الباب الثاني ، أنّ ابن الناظم ، كان بصريا في أغلب آرائه النحوية ، ولتعزيز زعمي هذا ، أعتمد مسائل الخلاف المذكورة في كتاب « الانصاف في مسائل الخلاف »[١٤٣] لأبي البركات الأنباري ، معيارا لمعرفة موقعه من كلتا المدرستين البصرية والكوفية ، وهو معيار اعتمده كل من الدكتور مهدي المخزومي[١٤٤] والدكتور عبدالرحمن السيّد[١٤٥]، في دراستهما المسائل الخلافية بين المدرستين المذكورتين ، وهو في ظني ، معيار سليم •

المسائل الخلافية المذكورة في الانصاف هي « احدى وعشرون ومئة » مسألة ، وازنت بينها وبين ما تناوله ابن الناظم منها ، في شرحه على ألفية والده ، فتبين لي أنه تابع البصريين تصريحا أو ايماء في « اثنتين وتسعين » مسألة[١٤٦]

---

(١٤٣) لم تكن المسائل المذكورة في الانصاف ، هي جميع المسائل الخلافية التي شجر بين البصريين والكوفيين خلاف طويل حولها ، وقد أشار أبو البركات الى ذلك في مقدمة كتابه الانصاف • وقد جمع الدكتور محيالدين توفيق ابراهيم مسائل خلافية عددها (٥٢) ، وقد ذكرها في آخر كتابه «ابن الانباري في رسالته الموسومة الانصاف» ص٤١٢ وما بعدها •

(١٤٤) مدرسة الكوفة ٣٦٢ •

(١٤٥) مدرسة البصرة النحوية ١١٢ـ١٤٤ •

(١٤٦) ملاحظة : الرقم المنفرد يشير الى رقم المسألة في الانصاف ،والرقم الموضوع فوق الحرف (ص) يشير الى رقم الصفحة في الشرح ، وهي : ٢/ص١١، ٣/ ص١٣ (عنده ان الاعراب بالانقلاب ، وفاقا للجرمي) ، ٤/ص١٦ ، ٥/ص ٤١ـ٤٢ ، ٦/ص ٤٤ـ٤٦ ، ٧/ص ٤٣ ، ٩/ص ٤٥ ، ١٠/ص ٤٨ ، ٢٨٠ ، ١١ / ص٩٥ ، ١٢ / ص٩١ ، ١٣/ص١٠٠ ، ١٤/ص ١٨١ ـ ١٨٢ (وقال الفراء بفعلية نعم وبئس • معاني القرآن ٢/١٤١ـ١٤٢ ، وذكر ابن الشجري ٢/١٤٧ وما بعدها ، أقوالا ونقولا توكد قول الفراء وغيره من الكوفيين باسميتها) ، ١٥/ص١٧٧ ، ١٦/ص ١٧٩ ، ١٧/ص ٥٣ ،

على حين تابع الكوفيين في تسع مسائل فقط[147] . ولم أقف

١٨/ص ٥٣ ، ١٩/ص ٥٦ ، ٢٠/ص ٥٦ ، ٢٢/ص ٦٢ ، ٢٣ / ص ٦٧ ، ٢٤/ص ٦٨ ، ٢٥/ص ٦٦ ، ٢٧/ص ٢٣٨ ، ٢٨/ص ١٠٢ ، ٢٩/ص ٤٣ - ٤٤ ، ١٠٨ ، ٣٠/ص ١١٠ ، ٣١/ص١٣٠ ، ٣٢/ص ١٣٥ ، ٣٨/ص١٢١ ، ٤٠/ص ٢٩١ ، ٤١/ص ٢٩١ ، ٤٢/ص ٢٨٧ - ٢٨٨ ، ٤٤ / ص ٢٨٩ ، ٤٥/ص ٢٢٠ - ٢٢١ ، ٤٦/ص ٢٢٢ ، ٤٧/ص ٢٢٣ ، ٤٨/ص ٢٣١ - ٢٣٢ ، ٤٩/ص ٢٣٢ ، ٥٠/ص ٢٣٢ - ٢٣٣ ، ٥١/ص ٢٣٩ ، ٥٣/ص ٧١ ، ٥٥ / ص١٤٥ - ١٤٦ ، ٥٦/ص ١٤٤ ، ٥٨/ص ٦٥ - ٦٦ ، ٥٩/ص ٣٣٥ ، ٦١/ص ١٥٠ ، ٦٢/ص ١٤ ، ١٥٣ ، ٦٤/ص ٢٠٤ - ٢٠٥ ، ٦٥/ص١١٢ ١١٣ ، ٢١٣ ، ٦٦/ص٢١٢ ، ٦٨/ص٢١٠ ، ٦٩/ص١٦٥ ، ٧١ / ص٣٩ ، ٧٢/ص ٨ ، ٧٣/ص٨ ، ٧٥ / ص ٢٦٧ ، ٧٦/ص ٢٦٧ ، ٧٧/ص ٢٧٠ ، ٧٨/ص ١٣٩ ، ٢٦١ ، ٧٩/ص ٢٦٤ ، ٨٠/ص ٢٦٥ ، ٨٢ / ص ٢٦٤ ، ٨٣/ص٢٦٥ ، ٨٤/ص٢٧١ ، ٨٥/ص٨٥ ، ٨٦/ص٢٧١ (ليس له نص صريح فيها غير أننا نلمح موافقته للبصريين في هذه المسألة ، اذا رجعنا الى رأيه في جزم جواب الشرط ص٢٧١) ، ٨٧/ص٩٢ ، ٨٨/ص١٥٢ ، ٢٧١ (ليس له نص صريح فيها ولكن عدم ذكره « اذ » من أدوات الشرط ص٢٧١ ، على حين عدها ظرفا في ص١٥٢ ، يشعرنا بموافقته للبصريين في هذه المسألة) ، ٨٩/ص ٥٦ ، ٩٠/ص٦٨ ، ٩١/ص٢٧١ - ٢٧٢ (ليس له نص صريح فيها ، ولكن عدم عدها من أدوات الشرط ، يشعرنا بموافقته للبصريين) ، ٩٤/ص٢٤٣ ، ٩٥/ص٣٠ ، ٣٢ ، ٩٦/ص٢٣ ، ٩٨/ص٢٣ ، ١٠٠/الورقة ٤٤-٤٥ من شرح ابن الناظم على الكافية ، ١٠١/ص٢٠ ، ١٠٢/ص٣٦ ، ١٠٣/ص٣٤ ، ١٠٤/ص٣٥ (ليس له نص صرح فيها ، الا أن كلامه على الالف واللام ، يشعرنا بموافقته للبصريين) ، ١٠٧/ص٣٣٤ (ليس له نص صريح ، الا أن كلامه على همزة الوصل يشعرنا بموافقته للبصريين) ، ١١٢/ص٣٤٩ ، ١١٣/ص١٣٩ ، ١١٤/ص٣٢٧ ، ٣٢٩ ، ٣٣١ ، ١١٥/ص٣٤٣ ، ١١٦/ص٣٤٠ (ليس له نص صريح فيها ، ولكن تخريجه ، تخريج بصرى ، يشعرنا بموافقته للبصريين) ، ١١٧/ص٣٠٨ (ليس له نص صريح فيها ، الا أن عد أناسي جمع تكسير لانسان ، وفاقا للبصريين يشعرنا بموافقته للبصريين) ، ١١٩/ص٥٠ ، ٧٤ ، ١٢٠/ص١٣٨-١٣٩ ، ١٢١/ص١٣٩ .

(١٤٧) وهي المسائل : ٨/٤٣ ، ٣٩/ص١٢١-١٢٢ ، ٥٢/ص٢٢٩ ، ٥٤/ص١٤١ ، ٦٣/ص١٩٨ ، ٦٧/ص٢٠٨-٢٠٩ ، ٧٠/ص٢٥٩ ، ٧٤/ص٢٠٦ ، ١٠٩/ص٢٩٨ .

على راي له في الست عشرة مسالة[١٤٨] ، وكان له راي في مسالة واحدة تبعا لابيه[١٤٩] ، وتابع المبرد في مسالة واحدة ، خلافا للبصريين والكوفيين جميعا[١٥٠] ، ومسالة واحدة ايضا ذكر فيها اراء الفريقين من دون ان يقطع براي[١٥١] ، ومسالة واحدة ايضا لم يكن نقل المتأخرين عن المتقدمين بأمين[١٥٢] • فاذا أسقطنا المسائل التي لم يتابع بها كلا الفريقين ، البصريين والكوفيين ، من حساب النسبة في متابعة الفريقين ، نخلص الى أن نسبة متابعة ابن الناظم للبصريين هي أكثر من (٩١٪) ، والنسبة الباقية ، وهي أقل من (٩٪) ، تابع فيها الكوفيين • ألا تكفي هذه النسبة العالية في متابعته للبصريين من أن نعدّه بصريا ؟

ان متابعته للكوفيين في هذه المسائل القليلة ، لا تبيح لنا أن نعدّه في أصحاب الاختيار من المدرستين البصرية والكوفية ، إذ أن متابعة الكوفيين للبصريين ، أو متابعة البصريين للكوفيين في طائفة من المسائل لا يخرج الاولين عن كوفيتهم ، ولا الاخيرين عن بصريتهم • وقد ذكر أبو البركات الانباري ، أن الكسائي ، رأس المدرسة الكوفية بلا منازع ، تابع البصريين في أربع مسائل[١٥٣] ، والمبرد رأس المدرسة البصرية في زمانه ، أيد الكوفيين في سبع من تلك المسائل[١٥٤] ، والاخفش ، أحد متقدمي البصريين ، وافق

(١٤٨) وهي المسائل : ١ ، ٢١ ، ٢٦ ، ٣٣ ، ٣٥ ، ٣٦ ، ٤٣ ، ٥٧ ، ٨١ ، ٩٢ ، ٩٣ ، ٩٧ ، ٩٩ ، ١٠٥ ، ١٠٨ ، ١١٨ •

(١٤٩) وهي المسألة ٦٠ •

(١٥٠) وهي المسألة ٣٧ •

(١٥١) وهي المسألة ١٠٦ •

(١٥٢) وهي المسألة ٣٤ • وقد حقق الاستاذ عبدالخالق عضيمه في المقتضب (٤/ ٣٩٠-٣٩١) فيما نسب الى المبرد من القول بنصب ما بعد الا بها، في الاستثناء الموجب ، وخرج بنتيجة مفادها أن المبرد لم يقل بمثل هذا القول •

(١٥٣) وهي المسائل : ١٤ ، ١٥ ، ٤٩ ، ٨٦ •

(١٥٤) وهي المسائل : ٦ ، ١٨ ، ٣٤ ، ٥٥ ، ٦٤ ، ٨١ ، ١٢٠ •

الكوفيين في كثير مما ذهبوا اليه(١٥٥) .

وبعد ، عسى أن يكون ماقدمته كافيا للدلالة على أن مذهب ابن الناظم ، هو مذهب أهل البصرة ، وعلى أن الدرس النحوي في الشام انما هو امتداد للدرس النحوي البصري على الرغم مما جاء في كلام ابن مالك وكلام ابنه أحيانا مما يوهم أنه خلاف ذلك .

---

(١٥٥) المدارس النحوية ٩٧ــ١٠٠ ، منهج الأخفش الاوسط في الدراسة النحوية ٣٢٤ .

خلاصة البحث وخاتمته

شهد القرن السابع للهجرة ، وهو القرن الذي عاش فيه ابن الناظم ، أحداثا مهمة ، كان لها أثر كبير في حياة العرب والمسلمين السياسية والاجتماعية والفكرية . وكان من هذه الاحداث ، انتهاء الحروب الصليبية ، وبداية غزو التتر لبلاد الاسلام ، وسقوط بغداد بأيديهم (سنة ٦٥٦هـ) ، واجتياحهم بلاد الشام ، وعزمهم على غزو مصر ، وانكسارهم عند «عين الجالوت» (سنة٦٥٨هـ).

وقد أثّرت هذه الاحداث وغيرها في الحياة الاجتماعية والفكرية في ذلك العصر . وعلى الرغم مما أصاب بلاد الشام ومصر من ويلات وقتذاك ، فقد كانتا اغزر انتاجا واوفر نشاطا من غيرها من البلدان الاسلامية كبلاد ماوراء النهر، وفارس والعراق والاندلس والشمال الافريقي ، لتضافر عدة عوامل منها :

١ ــ انّ الحالة الاقتصادية المتقدمة والمقترنة بالتقدم الثقافي كانت أحسن حالا مما كانت عليه بقية البلدان الاسلامية .

٢ ــ هجرة كثير من العلماء من البلدان الاسلامية ، واستيطانهم الشام ومصر ، طلبا للامان المفتقد في اوطانهم ، فكانوا قطب الرحى الذي دارت عليه الحركة العلمية الشامية والمصرية .

٣ ــ ان اشتداد الصراع العسكري ، بين المسلمين من جهة ، والصليبيين والتتر وغيرهم من جهة اخرى ، دفع العلماء المسلمين الى ان يقوموا بحركة احياء لتراث السلف ، ليكون سلاحا بأيديهم ، يناضلون به أعداءهم ، وزادا روحيا تتزود به الامة ، وهي في معركة الدفاع عن وجودها ، وكانت العناية الفائقة بتراث السلف ، وعلوم القراءات القرآنية والحديث

الشريف منه خاصة ، وهي من العلوم التي تعتمد على الحفظ والرواية ، هي التي هيَّأت المناخ المناسب لابن مالك ، وهو من أعـــلام ذلك العصر المتضلـِّعين فيها ، لان يجتهد ، فيطلق الاستشهاد بهما في النحو . وكان من أبرز الجهود العظيمة التي قام بهـــا وخدم الحديث الشريف فيها ، معاونته أبا الحسين ايونيني احـــد الاعلام المبرزين في علـوم الحديث آنذاك ، في ضبط صحيح البخاري ، وكان من نتاج هذا العمل المهم ، كتابه النفيس «شواهد لتوضيح والصحيح لمشكلات الجامع الصحيح» . هذا الكتاب الذي صحـَّح فيه ابن مالك كثيرا من الاحاديث التي لـــم يستشهد بها النحاة المتقدمون ، لانهـــم لم يعتدّوا بالحديث أصلا من أصول الاستشهاد النحوي .

وكانت المعاهد العلمية كالجوامع والمدارس ، منتجعات علمية ، يجد فيها شداة العلم ورادته ما يبتغونه .

وكانت علوم الشريعة كعلوم القرآن الكريم والحديث الشريف والفقـه وأصوله وعلوم العربية وغيرها الشغل الشاغل للعلماء وقتذاك .

واتسمت الحركة اللغوية والنحوية بسمات منها :

أ ـ النشاط الدائب في تأليف المصنَّفات اللغوية والنحوية ، واسهام طائفة من سلاطين البيت الايوبي وامرائه في الدراسات اللغوية ، تشجيعا ودراســة وتأليفـــا .

ب ـ أنّ الوافدين من دارسي النحو على الشام من المشرق بما فيه العراق ، ومن الاندلس ومصر كانوا عماد الدراسات النحوية واللغوية في الحوزات العلمية الشامية .

ج ـ وان أهم مصادر الدراسة النحوية في الشام ، كانت بصريـــة ، ككتاب سـيبويه ، وكتب المبرد ، والزجاجي ، وأبي علي الفـــارسي ، وابن جنّي والزمخشري .

د ـ شيوع انماط من التأليف ، لم تكن شائعة فيما قبل ذلك العصر ، كالمقدمات والمتون الشعرية والنثرية ، وشروحها والتعليقات عليها .

هـ ـ انّ معظم نتاج ذلك العصر لم يكن متّصفا بطابع الاصالة والعمق ، ومع ذلك ، فان له اهميـة عظيمـة في درء الاخطار التي كانت تحيق بالعربية الفصحى .

في هذه الظروف التاريخية وفي هـذه البيئات العلمية ، وُلد بدرالدين وترعرع . فقد نشا في كنف والده «ابن مالك» وهو يومئذ من أبرز علماء العربيه . الا ان معاشرته لمن لا يصلح اضرت بسمعته ، وجلبت له كلاما تزيد فيه ، مما دفع بابيه الى ان يقصيه ، ففارقه مغاضبا وسكن بعلبك وفيها تصدر للتدريس . وحينما توفي ابوه استدعي الى دمشق ليجلس مجلسه في المدرسة العادلية الكبرى ، وهو مجلس كانت لـه أهميتـه الكبيرة في البيئة العلمية الشامية .

وكان من تلاميذه بدرالدين بن جماعة وشمس‌الدين الاذرعي وأبو بكر محمد بن رضوان الكناني وكمال‌الدين بن الزملكاني ، وصدرالدين بن الوكيل، وبدرالدين بن زيد .

ولم ينل مكانته العلمية المتقدمة الا لانه مهر في كثير من علوم عصره العقلية منها والنقلية . فقد كان من المبرزين في النحو والمعـاني والبديع والعروض والمنطق ، ومـن المشـاركين في الفقـه والاصول ، ومن الملمين بالقراءات والتفسير والحديث ، غير ان أفضل ما مهر به هو علوم العربية حتى برز على أبيه في طائفة منها على ماذكره عصريّه القطب اليونيني الذي قال فيه أيضا : «ولم يترك بعده في هذا العلم (يعني علم العربية) مثله فيما علمنا» .

وكان أهم ما امتازت به ثقافته ، هو النزعة العقلية ، وهي بلا شك أثر من آثار دراسته لكتب المناطقة والاصوليين ، وللكتب المصطبغة بالصبغة المنطقية. وألف طائفة من الكتب في الاصول والمنطق والعروض والبلاغة والنحو .

وكان اغلبها شروحا لمتون أو مختصرات لكتب ألفها من تقدمه من العلماء ووالده خاصة ، تبغية الاريب وغنية الاديب ، في الاصول ، ومقدمة في المنطق ، وأخرى في العروض ، وكراسة في البديع ، وروض الاذهان في المعاني والبيان ، والمصباح في علم المعاني والبيان والبديع •

وشرح شافية ابن الحاجب وكافيته ، وملحة الاعراب للحريري ، وشرح لاميه والده وألفيته وتكملة شرح تسهيله • وكان معظمها ـ كما يظهر ـ في علوم العربية • وأهم كتابين منها في دراسته النحوية ، هما شرحه على كافية ابن الحاجب ، وشرحه على ألفية والده ، فقد كان الاول منهما باكورة أعماله النحوية ، وهو أقرب الى النكت منه الى الشرح ، على حين كان شرحه على الالفية ، أهم كتاب نحوي ألفه ، وفيه عُرف نحويا مبرزا في صناعة النحو حتى قال فيه الصفدي : « وهو شرح فاضل منقى منقح ••• ولم تشرح الخلاصة بأحسن ولا أسد ولا أجزل على كثرة شروحها ••• »•

لقد أودع ابن الناظم شرحه على الالفية عصارة جهوده الدراسية في عدد من العلوم التى ألمَّ بها •

وكان من أهم ما امتاز به هذا الشرح ، هو الطابع العقلي الاصولي ، ولذا وصف بأنه في غاية الاغلاق على حد تعبير المقَّري •

وكان من أهم معالم دراسته النحوية :

١ ـ تطورها • فقد انتقلت من طور تابع فيه الكوفيين في كثير من آرائهم في شرحه على الكافية وفاقا لأبيه ، الى طور عدل فيه عن متابعتهم في كثير منها ، في شرحه على الالفية • وكان أخذه بطائفة من آراء الكوفيين في شرحه على الكافية ، نتيجة لتأثره وتبعيَّته له في كثير من المسائل ، لأن الشرح نفسه صدى لآراء أبيه • فقد ألفه وأبوه حي وهو باحث ناشىء يتكىء على آراء أبيه وتوجيهاته ، على حين انه شرح الالفية بعد وفاة أبيه ، أي في زمن لم يعد لأبيه تأثير مباشر عليه ، وفي زمن نضجت عنده الدراسة النحوية ، وتأصَّل فيها الاتجاه البصري • وكان من نتاج هذا التأصّل ، أخذه برأي البصريين في

أغلب مسائل النحو ، واتهاجه منهجهم • ولم يأخذ برأي الكوفيين الا في قليل من المسائل •

٢ ـ مخالفته لابن الحاجب في كثير من الآراء النحوية في شرحه على كافيته ، وكانت تلك المخالفات بهدى من توجيهات أبيه ، لأن ما في هذا الشرح ، صدى لآراء أبيه • وقد أشرت الى ذلك • وكان ابن مالك يطعن في ابن الحاجب ـ على ما ذكره المقري ـ ويقول عنه « انه أخذ نحوه عن صاحب المفصل ، وصاحب المفصل نحوي صغير » •

ولم يتابع ابن الناظم ابن الحاجب ، ويخالف أباه فيه ، الا في مسألة واحدة ، وهي : هل ان «لو» تكون للشرط في المضي ام في المضي والاستقبال ؟ على حين دفعه نزوعه البصري الى أن يخالف اباه في كثير من الحدود والآراء النحوية ، في شرحه على الالفية • ومع ذلك فقد تابعه في طائفة من الآراء •

وكان ابن الناظم دارسا جيدا للنحو ، فأسلوب عرضه للمسائل النحويه وتعليلاته وتاويلاته ، وتخريجاته وتوجيهاته لها تنم عن تمكن بارع • وعلى الرغم من ذلك لا نجده ينفذ الى اراء نحوية أصيلة ، ذات طابع لغوي • فقد كانت ، كما هي عند معظم النحاة المتأخرين ، اراء غلب عليها طابع التعليل والتأويل والتوجيه • ومثل هذه الآراء قليلا ما ينتفع بها في بناء صرح نحو جديد لهذه اللغة الكريمة •

وكان الحديث الشريف ، أحد مصادر الاستشهاد النحوي ، عنده ، تبعا لأبيه • فقد صحح طائفة من المسائل النحوية ، استنادا الى ما ورد فيه • وقد يستشهد على صحة قاعدة نحوية بالحديث فقط ، لأن الوارد منه يبيح ذلك التصحيح •

وكان ابن الناظم ، نحويا على مذهب البصريين ، وفي شرحه على الالفية خاصة ، خلافا لمحمد الطنطاوي في ذهابه الى أنه كان على مذهب الاندلسيين ،

لان الدراسة النحوية في الشام كانت امتدادا للدراسة النحوية البصرية خلافا لشوقي ضيف وخديجة الحديثي • فقد كانت مصادر دراسته النحوية والاصول المنهجية التي بنيت عليها ومصطلحاته النحوية التي اصطنعها ، والآراء النحوية التي أخذ بها ، بصرية بوجه عام •

أرجو أن أكون قد وُفقت الى أن أعطي صورة واضحة عن ابن الناظم النحوي ، وان أضيف بعملي هذا دراسة تُسهم مع غيرها من الدراسات الجادة في خدمة هذه اللغة المباركة •

ثبت المصـادر والمراجـع

أ ـ المخطوطـة :

ـــ ابن الأنباري في كتابه الانصاف (رسالة دكتوراه) ـ محي الـدين توفيق ابراهيم •

ـــ ابن الحاجب النحوي ، آثاره ومذهبه (رسالة ماجستير) ـ طارق عبـدعون الجنابي •

ـــ ابن الشجري ومنهجه في دراسة النحو (رسالة ماجستير) ـ عبدالمنعم أحمد •

ـــ الاصول في النحو ـ ابن السراج ، أبو بكر محمد بن سهل (ت٣١٦) تحـ عبدالحسين الفتلي (رسالة دكتوراه) •

ـــ الانصاف والخلاف بين المدرستين (رسالة ماجستير) ـ محمد خير الحلواني •

ـــ تخليص الشواهد وتلخيص الفوائد ـ ابن هشام ، أبو عبدالله جمال الدين ابن يوسف (ت٧٦١هـ) • المتحف العراقي ، رقمها ٣٨٣٩ •

ـــ حاشية الأنصاري (الدرة السنية في شرح الالفية) ، أبو يحيى زكريا بن محمد (ت٩١٩هـ) ، المتحف العراقي ، رقمها ١٤٢٣ •

ـــ حاشية العبادي ـ شهاب الدين أحمد بن القاسم العبادي (ت٩٩٤هـ) • الاوقاف ، رقمها ٢٣٤٤ •

ـــ الحديث الشريف في الدراسات اللغوية والنحوية (رسـالة ماجستير) ـ محمد ضاري حمدان •

ـــ شرح ابن الخباز على ألفية ابن معط (الغرة المخفية على الدرة الالفية) ، أبو المعالي أحمد بن الحسين (ت٦٣٨هـ) ، المتحف العراقي ، رقمها ٢٣٦٣•

ـــ شرح التسهيل ـ ابن أم قاسم ، بدرالدين حسن بن القـاسم المرادي (ت ٧٤٩هـ) • تحـ • حسين تورال (رسالة ماجستير) •

ـــ شرح التسهيل ـ ابن مالك (ت٦٧٢هـ) وابنه بدرالدين (ت٦٨٦هـ) ، دار الكتب المصرية ، ١٠ ش (مصورة بحوزتي) •

ـــ شرح التسهيل (تعليق الفرائد على تسهيل الفوائد وتكميل المقاصـد) ـ الدماميني ، محمد بن أبي بكر (ت٨٣٧هـ) ، رقمها ٢٣٣١ •

— شرح عمدة الحافظ وعدة اللافظ ـ ابن مالك ، برلين ، ٦٦٣٢ (مصورة بحوزة الاستاذ عدنان عبدالرحمن الدوري) •
— شرح كافية ابن الحاجب (نكت الحاجبية) ـ ابن الناظم ، الاسكوربال ، رقمها ٢٠٠ (مصورة بحوزتي) •
— المذكر والمؤنث ـ ابن الأنباري ، محمد بن القاسم بن بشار (ت٣٢٨هـ) • بشير آغا أيوب ،استانبول ١٧٩ (مصورة بحوزة الاستاذ طارق عبدعون الجنابي) •
— مقدمة طراز الحلة وشفاء الغلة ، للغرناطي أحمد بن يوسف (ت٧٨٠هـ) (رسالة ماجستير) ـ حذام جمال الدين الآلوسي •
— منهج الاخفش الاوسط في الدراسات النحوية (رسالة ماجستير) عبدالامير الورد •

ب ـ المطبوعة :

— الالفية ـ ابن مالك ، تح • عبدالفتاح الصعيدي وحسن يوسف موسى ، مط دار الكتب المصرية ، القاهرة ١٩٣٢ •
— ابن جني النحوي ـ فاضل السامرائي، مط دار النذير ، بغداد ١٩٦٩ •
— أبو حيان النحوي ـ خديجة الحديثي ، ط١ ، مكتبة النهضة ، بغداد ١٩٦٦ •
— أبو زكريا الفراء ومذهبه في النحو واللغة ـ احمد مكي الانصاري ، القاهرة ١٩٦٤ •
— أبو عثمان المازني ومذاهبه في الصرف والنحو ـ رشيد عبدالرحمن العبيدي ، مط• سلمان الاعظمي ، بغداد ١٩٦٩ •
— الاتقان في علوم القرآن ـ السيوطي ، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١هـ) ، مط• المشهد الحسيني ، القاهرة ١٩٦٧ •
— احياء النحو ـ ابراهيم مصطفى ، مط لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٩٥٩ •
— أخبار النحويين البصريين ـ السيرافي ، أبو سعيد الحسن بن عبدالله

(ت ٣٦٨هـ) تحـ • طه محمد الزيني ومحمد عبدالمنعم خفاجي ، ط١ ، مطـ• مصطفى البابي الحلبي ، القاهرة ١٩٥٥ •

ـــ ارشاد الاريب الى معرفة الاديب ـ ياقوت الحموي (ت ٦٢٦هـ) ، تصحيح مارجليوث ، ط٢ ، مط • هندية بالموسكي ، القاهرة ١٩٢٣ •

ـــ الازهية ـ الهروى ، علي بن محمد (ت ٤١٥هـ) ، تحـ • عبدالمعين الملوحي ، مطـ• الترقي ، دمشق ١٩٧١ •

ـــ أسرار العربية ـ الانباري ، أبو البركات عبدالرحمن بن محمد(ت٥٧٧هـ)، تحـ• محمد بهجة البيطار ، مطـ• الترقي ، دمشق ١٩٥٧ •

ـــ الاشباه والنظائر في النحو ـ السيوطي ، ط٢ ، مط • دائرة المعارف العثمانية ، حيدر آباد الدكن ١٩٤٣ •

ـــ الاصول في النحو ـ ابن السراج ، تحـ• عبدالحسين الفتلي ، (طبع الجزء الاول بمطبعة النعمان ، النجف الاشرف ١٩٧٣ ، وطبع الجزء الثاني بمطبعة سلمان الاعظمي ، بغداد ١٩٧٣) •

ـــ اعراب الالفية (تمرين الطلاب في صناعة الاعراب) ـ الازهري ، خالد ابن عبدالله (ت ٩٠٥هـ) ، ط١ ، المطبعة الخيرية ، القاهرة ١٣٢٣هـ •

ـــ اعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم ـ ابن خالويه ، الحسين بن أحمد (ت ٣٧٠هـ) تحـ• عبدالرحيم محمود ، مط • دار الكتب المصرية ، القاهرة ١٩٤١ •

ـــ الاعلام ـ خيرالدين الزركلي ، ط٢ ، مطـ• كوستاتسوماس ، بيروت ١٩٥٤ •

ـــ الاغراب في جدل الاعراب (مع «لمع الأدلة») ـ ابو البركات الانباري ، تحـ• سعيد الافغاني ، مطـ• الجامعة السورية ، ١٩٥٧ •

ـــ الاقتراح في علم أصول النحو ـ السيوطي ، ط٢ ، حيدر آباد الدكن ١٣٥٩هـ •

ـــ اقليد الخزانة ـ عبدالعزيز الميمني الراجكوتي ، جامعة البنجاب ١٩٢٧ •

ـــ اللغة والنحو بين القـــديم والحديث ـ عبـاس حسن ، مطـ المعارف بمصر ١٩٦٦ ٠
ـــ الأمالي الشجرية ـ ابن الشجري ، هبةالله بن علي (ت ٥٤٢هـ) ، تحـ العلوي واليماني ، حيدر آباد الدكن ١٣٤٩هـ ٠
ـــ انباه الرواة بأنباه النحاة ـ القفطي ، أبو الحسن علـــي بن يوسـف (ت ٦٤٦هـ) ، تحـ محمد أبو الفضل ابراهيم ،القاهرة ١٩٥٠-١٩٥٣ ٠
ـــ الانتصاف فيما تضمنـه الكشـاف من الاعتزال ـ ابن المنير ، أحمد بن محمد الاسكندري (ت ٦٨٣هـ) ، بهامش الكشاف ٠ (اوفسيت) ٠
ـــ الأنس الجليل في تاريخ القـــدس والخليـل ـ العليلـي ، أبو اليمين عبدالرحمن الحنبلي (ت ٩٢٧هـ) ، النجف ، المطبعة الحيدرية،١٩٦٨ ٠
ـــ الانصاف في مسـائل الخـلاف بين النحويين البصريين والكوفيين ـ أبو البركات الانبـاري ، تحـ محمد محي الدين عبدالحميد ، ط٤ ، مطـ السعادة ، القاهرة ١٩٦١ ٠
ـــ أوضح المسالك الى ألفيـة ابن مالك ـ ابن هشـام ٠ تحـ عبدالمتعـال الصعيدي ، طـ مط محمدعلي صبيح وأولاده ، القاهرة ١٩٦٤ ٠
ـــ الايضاح العضدي ـ الفارسي ، أبو علـي (ت ٣٧٧هـ) ، تحـ حسـن شاذلي فرهود ، ط١ ، دار التأليف ـ مصر ١٩٦٩ ٠
ـــ الايضاح في علـل النحو ـ الزجاجي ، أبو الحسن عبدالرحمـن بـن اسـحاق (ت ٣٣٧هـ) ، تحـ مازن المبـارك ، ط١ ، مط المـدني ٠ دار العروبة ، القاهرة ١٩٥٩ ٠
ـــ البحث الادبي ـ شوقي ضيف ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٧٢ ٠
ـــ البحر المحيط ـ أبو حيان ، محمد بن يوسف بن علـي الاندلسي (ت ٧٤٥هـ) ٠ مطـ النصر الحديثة ، الرياض (أوفست) ٠
ـــ البداية والنهاية ـ ابن كثير ، اسماعيل بن عمـر (ت ٧٧٤هـ) ، مطـ السعادة ، مصر ٠ د٠ت٠

ـ بغية الوعاة في طبقـات اللغويين والنحاة ـ السيوطي ، تحـ محمد أبو الفضل ابراهيم ، ط١ ، مطـ عيسى البابي الحلبي ، ١٩٦٤ .
ـ البلاغة عند السكاني ـ احمد مطلوب ، مكتبة النهضة ، بغداد ١٩٦٤ .
ـ ابن تيمية ـ محمد ابو زهرة ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، د.ت.
ـ ابن تيمية ـ محمد يوسف موسى ، مطبعة كوستاتسوماس ، أعلام العرب ، القاهرة ١٩٦٢ .
ـ البهجة المرضية ـ السيوطي ، ط١ ، مطـ مصر ، القاهرة ١٩٥٤ . (بهامش شرح ابن عقيل) .
ـ تاج العروس في شرح القاموس ـ الزبيدي ، محمد مرتضى الحسيني (ت ١٢٠٥هـ) مطـ حكومة الكويت .
ـ تاريخ ابن الوردي ـ زين الدين ، عمر بن مظفر (ت ٧٤٩هـ) ، المطبعة الوهبية ، القاهرة ١٢٨٥هـ .
ـ تاريخ آداب اللغة العربية ـ جرجي زيدان ، مطـ الهلال ، ١٩٥٧ .
ـ تاريخ الادب العربي ـ بروكلمن (بالالمانية) ، ط٢ ، ليدن ١٩٤٣ .
ـ تاريخ علوم اللغـة العربية ـ طه الراوي ، ط١ ، مطبعـة الرشيد ، بغداد ١٩٤٩ .
ـ تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد ـ ابن مالك ، تحـ محمد كامل بركات ، دار الكاتب العربي ، القاهرة ١٩٦٧ .
ـ التصوير البياني ـ حفني محمد شرف ، مكتبة الشباب ، ١٩٧٠ .
ـ التعريفات ـ الجرجاني ، الشريف علي بن محمد ، المطبعة الخيرية ، القاهرة ١٣٠٦هـ .
ـ تطور الدرس النحوي ـ حسن عون ، معهد البحوث والدراسات العربية بجامعة الدول العربية ، ١٩٧٠ .
ـ التلخيص في علوم البـلاغة ـ الخطيب القزويني ، جلال الدين محمد بن عبد الرحمن (ت ٧٣٩هـ) ، تحـ . عبد الرحمن البرقوقـي ، ط٢ ، القاهرة ١٩٣٢ .

— تهذيب اللغة ، الازهري ، أبو منصور محمد بن احمد (ت ٣٧٠هـ) ، تحـ عبدالسلام هارون ، الدار القومية للطباعة ، القاهرة ١٩٦٤ .

— الجامع لاحكام القرآن ـ القرطبي ، أبو عبدالله محمد بن احمد الانصاري (ت ٦٧١هـ) ، دار الكاتب العربي ، القاهرة ١٩٦٧ .

— الجمل ـ الزجاجي ، تحـ محمد بن أبي شنب ، ط٢ باريس ١٩٥٧ .

— حاشية الامير على المغني ـ محمد الامير الازهري ، دار احياء الكتب العربية ، عيسى البابي الحلبي وشركاه ، القاهرة ، د.ت.

— حاشية الخضري على ابن عقيل ـ محمد الخضري الدمياطي (ت١٢٨٧هـ)، مطـ الاستقامة ، القاهرة ١٩٥٣ .

— حاشية الدسوقي على المغني ـ مصطفى محمد عرفة (ت ١٢٣٠هـ) ، ملتزم الطبع والنشر ، عبدالحميد احمد حنفي ، القاهرة ١٣٥٨هـ .

— حاشية السجاعي على شرح ابن عقيل (الفتح الجليل على شرح ابن عقيل، احمد بن محمد «ت ١٧٨٣م») ، المطبعة العامرة ، ١٣٠٧هـ .

— حاشية الشهاب على البيضاوي ـ الخفاجي ، احمد بن محمد بن عمر (ت ١٠٦٩هـ) . مطـ بولاق ، القاهرة ١٢٨٣هـ .

— حاشية الصبان على الاشموني ـ محمد بن علي الصبان (ت ١٢٠٦هـ) ، ط١ ، مطـ الاستقامة ، القاهرة ١٩٤٧ .

— حاشية العليمي على التصريح ـ الشيخ ياسين بن زين‌الدين الحمصي (ت ١٠٦١هـ) . دار الفكر ، بيروت د.ت (اوفسيت) .

— حاشية الملوي على المكودي على الالفية ـ مطـ مصطفى محمد ، دار العهد الجديد للطباعة ، القاهرة ١٣٥٤هـ (بهامش شرح المكودي) .

— الحاوي للفتاوي ـ السيوطي ، ط٣ ، المكتبة التجارية الكبرى ، القاهرة ١٩٥٩ .

— الحجّة في علل القراءات السبع ـ ابو علي الفارسي ، تحـ علي النجدي ناصف ، دار الكاتب العربي ، القاهرة ١٩٦٥ .

ـــ الحركة الفكريـة في العصـرين الايوبي والمملوكي الاول ـ عبداللطيف حمزة ، ط٨ ، دار الفكر العربي ، ١٩٦٨ ٠
ـــ حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة ـ السيوطي ، المطبعة الشرفية ، القاهرة ١٣٢٧ ٠
ـــ الحوادث الجامعة ـ ابن الفوطي ، عبدالرزاق بن احمد الصابوني (ت ٧٢٣هـ) ، تحـ مصطفى جواد ، المكتبة العربية ، بغداد ١٣٥١ ٠
ـــ الحياة العقلية في عصر الحروب الصليبية في مصر والشام ـ احمد احمد بدوي ، نهضة مصر ، القاهرة ، د٠ت٠
ـــ خزانة الادب وغاية الارب ـ ابن حجة الحموي ، تقي‌الدين أبو بكـر (ت ٨٣٧هـ) ، مط٠ الخيرية ، القاهرة ١٣٠٤هـ ٠
ـــ خزانة الادب ولب لباب لسان العرب ـ البغدادي ، عبدالقادر بن عمـر (ت ١٠٩٣هـ) ، مط٠ بولاق ، القاهرة ١٢٩٩هـ ٠
ـــ الخصائص ـ ابن جني ، أبو الفتح عثمان بن جني (ت ٣٩٢هـ) ، تحـ محمدعلي النجار ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ١٩٥٢ ٠
ـــ خطط الشام ـ محمد كردعلي (ت ١٩٣٥م) ، المطبعـــة الحديثـة ، دمشق ١٩٣٥ ٠
ـــ دائرة المعارف ـ البستاني ، فؤاد افرام ، بيروت ١٩٥٦ ٠
ـــ دائرة المعارف الاسلامية ـ ترجمة محمد ثابت الفندي وجماعته ، وزارة المعارف ، القاهرة ١٩٣٣ ٠
ـــ الدارس في تاريخ المدارس (تنبيـــه الطالب) ـ النعيمي ، عبدالقادر بن محمد (ت ٩٢٧هـ) ، تحـ جعفر الحسني ، المجمع العلمي العـربي ، دمشق ١٩٤٨ ٠
ـــ دراسات في فقه اللغة ـ السيد يعقوب بكر ، مكتبة لبنان ، بيروت١٩٦٩ ٠
ـــ الدراسات النحوية واللغوية عند الزمخشري ـ فاضل السامرائي ، مط٠ الارشاد ، بغداد ١٩٧١ ٠

- الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة ـ ابن حجر العسقلاني ، احمد بن علي (ت ٨٥٢هـ) ، تحـ• محمد سيد جاد الحق ، دار الكتب الحديثة ، القاهرة ١٩٦٦ •
- الدرر اللوامع على همع الهوامع ـ الشنقيطي ، احمد بن الامين ، ط١ ، مطـ• كردستان العلمية ، القاهرة ١٣٢٨هـ •
- دلائل الاعجاز ـ الجرجاني ، أبو بكر عبدالقاهر بن عبدالرحمن (ت ٤٧١هـ) ، الطبعة الثالثة ، دار المنار ، القاهرة ١٣٦٦هـ •
- ديوان جرير ـ (ت ١١٦هـ) ، تحـ• محمد اسماعيل الصاوي (اوفست) •
- ديوان العجاج ـ (ت ٩٠هـ) ، تحـ• عزة حسن ، مكتبة دار الشروق ، بيروت ١٩٧١ •
- الذريعة الى تصانيف الشيعة ـ أغا بزرك ، محمد محسن الطهراني ، طهران ١٩٦٧ •
- الذيل على طبقات الحنابلة ـ ابن رجب البغدادي ، زين الدين أبو الفرج (ت ٧٩٥هـ) ، تحـ• محمد حامد الفقي ، مطبعة السنة المحمدية ، القاهرة ١٩٥٢ •
- ذيل مرآة الزمان ـ اليونيني ، قطب الدين موسى بن محمد (ت ٧٢٦هـ) ، ط١ ، مطـ• مجلس دائرة المعارف العثمانية ، حيدر آباد الدكن ١٩٦١ •
- رأي في بعض الاصول اللغوية والنحوية ـ عباس حسن ، مطـ• العالم العربي ، القاهرة ١٩٥١ •
- الرماني النحوي ـ مازن المبارك ، ط١ ، مطـ• جامعة دمشق ١٩٦٣ •
- روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات ـ الخوانساري ، محمد باقر بن زين العابدين (ت ١٨١١م) ، طبع حجر ، ايران ١٨٥٣-١٨٨٦ •
- سر صناعة الاعراب ـ ابن جني ، تحـ• مصطفى السقا وجماعته ، ط١ ، مطـ• مصطفى البابي الحلبي ، ١٩٥٤ •

— السلوك لمعرفة دول الملوك ـ المقريزي ، تقي الدين ابو العباس احمد (ت ٨٤٥هـ) • تحـ مصطفى زيادة وعبدالفتاح عاشور ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ١٩٣٩ •

— سيبويه امام النحاة ـ علي النجدي ناصف ، مطـ لجنة البيان العربي ، القاهرة •

— شذرات الذهب في أخبار من ذهب ـ ابن العماد الحنبلي ، أبو الفلاح عبدالحي بن احمد (ت ١٠٩٩هـ) ، مكتبة القدسي ، القاهرة ١٣٥٠هـ •

— شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ـ بهاءالدين عبدالله بن عقيل (ت ٦٦٩هـ) ، تحـ محمد محي الدين عبدالحميد ، ط١٣ ، مط السعادة ، القاهرة ١٩٦٢ •

— شرح ابن الناظم على ألفية ابن مالك ـ بدرالدين محمد بن محمد بن مالك ، مط القديس جيورجيوس ، بيروت ١٣١٢هـ •

— شرح ابن الناظم على لامية الافعال لابن مالك ـ تحـ فولك ، ليبزك ١٨٦٦ •

— شرح الاشموني على ألفية ابن مالك ـ علي بن محمد (ت ٩٢٩هـ)

١ ـ طبعة الاستقامة ، ط١ ، القاهرة ١٩٤٧ •

٢ ـ طبعة الحلبي ، تحـ محمد محي الدين عبدالحميد ، ط٢ ، القاهرة ١٩٣٩ •

— شرح بحرق على لامية الافعال ـ المطبعة الميمنية ، مصر ١٣٠٦هـ •

— شرح التصريح على التوضيح ـ الازهري ، دار الفكر ، بيروت ، د•ت (اوفسيت) •

— شرح الرضي على الشافية ـ الرضي ، محمد بن حسن الاستربادي (ت ٦٨٨هـ) تحـ محمد نورالحسن ومحمد الزفزاف ومحمد محي الدين عبدالحميد ، مط حجازي ، القاهرة ١٣٥٦ـ١٣٥٨هـ •

— شرح الرضي على الكافية ـ الرضي ، مط مجمع الرضي ، الاستانة ١٢٧٥هـ •

— شرح ركن الدين على الشافية ـ ركن الدين الاستربادي ، استنبول ، درسعادت ، د٠ت٠

— شرح السيرافي على الكتاب (تقريرات منه بحاشية الكتاب) ،
أ ـ طبعة الاميرية ببولاق ، القاهرة ١٣١٦ـ١٣١٨هـ ٠
ب ـ طبعة عبدالسلام هارون ـ جـ١ ، دار القلم ، ١٩٦٦ـجـ٢ ، دار الكاتب العربي ، القاهرة ١٩٦٨ ٠

— شرح شذور الذهب ـ ابن هشام ، تحـ٠ محمد محي‌الدين عبدالحميد ، ط١٠ ، القاهرة ١٩٦٥ ٠

— شرح شواهد ابن الناظم ـ العاملي ، محمد آل السيد علي الموسوي ، مط العلوية ، النجف الاشرف ١٣٤٤هـ ٠

— شرح شواهد الكتاب (تحصيل عين الذهب من معدن جواهر الادب ٠٠) ـ الاعلم ، يوسف بن سليمان الشنتمري (ت ٤٧٦هـ) (بحاشية الكتاب ٠ ط بولاق) ٠

— شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات ـ أبو بكر بن الانباري ، تحـ٠ عبدالسلام هارون ، ط٢ ، دار المعارف بمصر ، ١٩٦٩ ٠

— شرح المفصل ـ ابن يعيش ، موفق‌الدين يعيش بن علي بن يعيش (ت ٦٤٣هـ) ، مط الطباعة المنيرية ، القاهرة ، د٠ت٠

— شرح المكودي على ألفية ابن مالك ـ أبو زيد عبدالرحمن بن علي بن صالح (ت ٨٠٧هـ) ، مطـ٠ مصطفى محمد ، دار العهد الجديد ، القاهرة ١٩٥٩ ٠

— شرح ملحة الاعراب ـ الحريري ، القاسم بن علي (ت ٥١٦هـ) ،المطبعة الميمنية ، القاهرة ١٨٨٨ ٠

— شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح ـ ابن مالك ، تحـ٠ محمد فؤاد عبدالباقي ، مط لجنة البيان العربي ، القاهرة ١٩٥٧ ٠

— الصاحبي في فقه اللغة وسنن العربية ـ ابن فارس ، ابو الحسين احمد

ابن فارس بن زكريا (ت ٣٩٥هـ) ، تحـ مصطفى الشويمي ، مؤسسه بدران للطباعه والنشر ، بيروت ١٩٦٤ .

— صبح الاعشى في صناعه الانشا ـ القلقشندي ، أبو العباس احمد بن علي (ت ٨٢١هـ) (نسخة مصورة عن الطبعة الاميريه) ، القاهرة ١٩٦٣ .

— الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربيه) ـ الجوهري ، اسماعيل بن حماد (ت ٣٩٣هـ) ، دار الكاتب العربي ، مصر ١٩٥٦ .

— صلاح الدين الايوبي (دراسات في التاريخ الاسلامي) ـ جب ، هملتون الاسندر ، حررها يوسف ايبش ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ١٩٧٣ .

— الضرائر ومايسوغ للشاعردون الناثر ـ الالوسي، محمود شكري (ت ١٩٢٤م) ، تحـ محمد بهجة الاثري ، المكتبة العربية ، بغداد ١٩٤١ .

— الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ـ السخاوى ، شمس الدين محمد بن عبدالرحمن (ت٩٠٢هـ) ، مكتبة القدسي ، ١٣٥٣هـ .

— طبقات الشافعية ـ الاسنوى ، جمال الدين عبدالرحيم بن الحسن (ت٧٧٢هـ) تحـ عبدالله الجبوري ، ط ١ ، مط الارشاد ، بغداد ١٩٧٠ .

— طبقات الشافعية الكبرى ـ السبكي ، عبدالوهاب تقي الدين (ت٧٧١هـ) ، ط ١ ، مط الحسينية ، ١٣٢٤ هـ .

— طبقات النحاة واللغويين (قسم المحمدين) ـ ابن قاضي شهبة ، أبو بكر ابن احمد بن محمد الاسدي الشافعي (ت ٨٥١هـ) ، تحـ محسن غياض، مط النعمان ، النجف الاشرف ١٩٧٣-١٩٧٤ .

— الطراز ـ العلوي ، يحيى بن حمزة (ت ٧٤٩هـ) ، دار الكتب الخديوية، القاهرة ١٩١٤ .

— العبر في خبر من غبر ـ الذهبي ، أبو عبدالله شمس الدين (ت ٧٤٨هـ) ، تحـ محمد رشاد عبدالمطلب ، مط حكومة الكويت .

— العربية الفصحى ـ اليسوعي ، هنري فليش ، ط١ ، مط الكاثولكية ،

بيروت ١٩٦٦ •

— عروس الافراح ـ السبكي ، بهاءالدين احمد بن علي بن عبدالكافي (ت ٧٩٣هـ) ، ط٢ ، مط السعادة بمصر ، فرج‌الله ذكي الكردي ، القاهرة ١٣٤٢هـ •

— عصر سلاطين المماليك ـ محمد رزق سليم ، ط٢ ، مط الآداب ، القاهرة ١٩٦٢ •

— علم اللغة ـ محمود السعران ، دار المعارف بمصر ١٩٦٢ •

— غاية النهاية في طبقات القراء ـ ابن الجزري ، شمس‌الدين ابو الخير محمد بن محمد ، مط الخانجي ، مصر ١٩٣٢ـ١٩٣٣ •

— فصيح ثعلب ـ أبو العباس ، احمد بن يحيى (ت ٢٩١هـ) ،تحـ محمد عبدالمنعم خفاجي ، ط١ ، مط النموذجية ، القاهرة ١٩٤٩ •

— الفعل زمانه وابنيته ـ ابراهيم السامرائي ، مط العاني ، بغداد ١٩٦٦ •

— فهرس مخطوطات الاسكوريال (مصورة في مكتبة المجمع العلمي العراقي بالفرنسية) •

— فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية (اللغة ، البلاغة ، العروض ، الصرف) ، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ١٩٧٣ •

— فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية (النحو) ـ اسماء الحمصي ، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ١٩٧٣ •

— فهرس مخطوطات دار الكتب المصرية ، مط دار الكتب ، ١٩٦٢ •

— فوات الوفيات ـ الكتبي ، محمد بن شاكر (ت ٧٦٤هـ) ، تحـ محمد محي‌الدين عبدالحميد ، مط السعادة ، القاهرة ١٩٥٧ •

— في النحو العربي (قواعد وتطبيق) ـ مهدي المخزومي ، ط١ ، مط مصطفى البابي الحلبي ، مصر ١٩٦٦ •

— في النحو العربي (نقد وتوجيه) ـ مهدي المخزومي ، ط١ ، المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت ١٩٦٤ •

— القاموس المحيط ـ الفيروزآبادي ، مجدالدين ، أبو طاهر يعقوب بن ابراهيم بن عمر (ت ٨١٧هـ) ، المكتبة التجارية الكبرى ، القاهرة ، د٠ت٠

— القزويني وشروح التلخيص ـ احمد مطلوب،مكتبة النهضة،بغداد١٩٦٧ ٠

— القوافي ـ الأخفش ، سعيد بن مسعدة (ت ٢١٥هـ) ، تحه عزة حسن ، مديرية احياء التراث القديم ، دمشق ١٩٧٠ ٠

— الكافية ـ ابن الحاجب ، عثمان بن عمر (ت ٦٤٦هـ) ، (طبعت ضمن مجموع مهمات المتون) ، ط٤ ، مط مصطفى البابي الحلبي ،مصر١٩٤٩ ٠

— الكامل ـ المبرد ، تحه محمد أبو الفضل ابراهيم والسيد شحاته ، مطه نهضة مصر ، د٠ت ٠

— الكامل في التاريخ ـ ابن الاثير ، عزالدين ، علي بن أبي الكرم (ت ٦٣٠هـ) ، دار صادر ـ دار بيروت ، بيروت ١٩٦٥ ٠

— الكتاب ـ سيبويه ، أبو بشر عمر بن عثمان (ت ١٨٠هـ) ٠

أ ـ طبعة باريس ، نشر هرتويغ درنبرج ، المطبع العلمي الاشرف، باريس ١٨٨١ ٠

ب ـ طبعة الاميرية ببولاق ـ تصحيح مصطفى محمود ، القاهرة ١٣١٦ ـ ١٣١٨هـ ٠

جـ ـ طبعة هارون ، تحه عبدالسلام محمد هارون ، جـ/١ ، مط دار القلم ، القاهرة ١٩٦٦ـجـ٢ ، دار الكاتب العربي ، القاهرة ١٩٦٨ ٠

— الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ـ الزمخشري ، أبو القاسم محمود ابن عمر (ت ٥٣٨هـ) ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، د٠ت (اوفسيت)٠

— الكشاف عن مخطوطات خزائن كتب الاوقاف ـ أسعد طلس ، مط العاني، بغداد ١٩٥٣ ٠

— كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ـ حاجي خليفة ، مصطفى عبدالله (ت ١٠٦٧هـ) ، ط٣ ، طهران ١٩٤٧ (اوفسيت) ٠

— لحفظ الالفاظ بذيل طبقات الحفاظ ـ المكي ، تقي الدين محمد بن فهد (ت ٨٧١هـ) (مع ذيل تذكرة الحفاظ للحسيني) ، القدسي ، دمشق ١٣٤٨هـ .

— لسان العرب ـ ابن منظور ، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ، دار صادر ـ دار بيروت ، بيروت ١٩٥٥ .

— اللغة والنحو بين القديم والحديث ـ عباس حسن ، مط المعارف بمصر ١٩٦٦ .

— لمع الادلة في أصول النحو ـ أبو البركات الانباري ، تحه سعيد الافغاني ، مط الجامعة السورية ، ١٩٥٧ .

— مأمون بني أيوب ـ احمد احمد بدوي ، مط لجنة البيان العربي ، القاهرة ١٩٥٣ .

— ماينصرف وما لاينصرف ـ الزجاج ، أبو اسحاق ابراهيم بن السري بن سهل (ت ٣١١هـ) تحه هدى محمود قراعة ،مط الاهرام التجارية ، القاهرة ١٩٧١ .

— مجالس ثعلب ـ ثعلب ، أبو العباس احمد بن يحيى (ت ٢٩١هـ) ، تحه عبدالسلام هارون ، النشرة الثانية ، دار المعارف ، مصر ١٩٦٠ .

— مجالس العلماء ـ الزجاجي ، تحه عبدالسلام هارون ، مط الحكومة ، الكويت ١٩٦٢ .

— مجلة كلية الدراسات الاسلامية بغداد (العدد الرابع لسنة ١٩٧٢) .

— مجلة كلية الشريعة بغداد (العدد الثاني ، السنة ١٩٦٥–١٩٦٦) .

— مجلة مجمع اللغة العربية القاهرة (العدد ٨ ، والعدد ٢٥ لسنة ١٩٦٩) .

— مجمع البيان ـ الطبرسي ، أبو علي الفضل بن الحسن (ت ٥٤٨هـ) ، منشورات شركة المعارف الاسلامية ، طهران ١٣٧٩هـ (اوفسيت) .

— مجموع البحوث والمحاضرات (مؤتمر مجمع اللغة العربية ـ الدورة السادسة والعشرون ١٩٥٩–١٩٦٠) .

ـــ المخطوطات اللغوية في مكتبة المتحف العراقي ـ اسامة النقشبندي ، مط دار الجمهورية ، بغداد ١٩٦٩ .
ـــ المدارس النحوية ـ شوقي ضيف ، دار المعارف بمصر ١٩٦٨ .
ـــ مدرسة البصرة النحوية (نشأتها وتطورها) ـ عبدالرحمن السيد ، ط١ ، مط سجل العرب ، القاهرة ١٩٦٨ .
ـــ مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو ـ مهدي المخزومي ، ط٢ ، مط مصطفى البابي الحلبي ، القاهرة ١٩٥٨ .
ـــ المذكر والمؤنث ـ المبرد ، تح، رمضان عبدالتواب وصلاح‌الدين الهادي ، دار الكتب ، القاهرة ١٩٧٠ .
ـــ مرآة الجنان وعبرة اليقظان ـ اليافعي ، عفيف‌الدين ، أبو محمد عبدالله ابن اسعد (ت ٧٦٨هـ) ، مط دائرة المعارف النظامية ، حيدر آباد الدكن ١٣٣٩هـ .
ـــ مسائل خلافية في النحو ـ العكبري ، أبو البقاء عبدالله بن الحسين (ت ٦١٦هـ) تح، محمد خير الحلواني ، منشورات مكتبة الشهباء بحلب ، د.ت .
ـــ المستدرك على الكشاف عن مخطوطات خزائن كتب الاوقاف ـ عبدالله الجبوري ، مط المعارف ، بغداد ١٩٦٥ .
ـــ المستشرقون ـ نجيب العقيقي ط٣ ، دار المعارف بمصر ، ١٩٦٤-١٩٦٥ .
ـــ المصباح في علم المعاني والبيان والبديع ـ بدرالدين بن مالك ، ط١ ، مط الخيرية ، د.ت .
ـــ معاني القرآن ـ الفراء ، أبو زكريا يحيى بن زياد (ت ٢٠٧هـ) .
ج/١ تح احمد يوسف نجاتي ومحمدعلي النجار ، مط دار الكتب المصرية ، القاهرة ١٩٥٥ .
ج/٢ تح، محمدعلي النجار ، مط سجل العرب ، القاهرة ، د.ت .
ـــ معترك الاقران في اعجاز القرآن ـ السيوطي ، تح، علي محمد البجاوي ، دار الفكر العربي ، القاهرة ١٩٦٩ .

ـــ معجم المؤلفين ـ عمر كحالة ، مط الترقي ، دمشق ١٩٥٧ .
ـــ معجم المطبوعات العربية والمعربة ـ يوسف اليان سركيس ، مط سركيس، القاهرة ١٩٢٨ .
ـــ المعجم المفهرس لالفاظ القرآن الكريم ـ محمد فؤاد عبدالباقي ، مط دار الكتب المصرية ، القاهرة ١٣٦٤هـ .
ـــ مغني اللبيب ـ ابن هشام :
١ ـ طبعة محمد محيي‌الدين عبدالحميد ، مط المدني ، القاهرة د.ت.
٢ ـ طبع دار احياء الكتب العربية ، مط عيسى البابي الحلبي ، مصر د.ت (مع حاشية الامير) .
ـــ مفاتيح العلوم ـ الخوارزمي ، أبو عبدالله محمد بن احمد بن يوسف الكاتب (ت ٣٨٧هـ) ، مط المنيرية ، القاهرة ١٣٤٢هـ .
ـــ مفتاح السعادة ومصباح السيادة ـ طاش كبرى زادة (ت ٩٦٢هـ) ، ط١، مط دائرة المعارف النظامية ، حيدر آباد الدكن ١٩٣٧م.
ـــ مفتاح العلوم ـ السكاكي ، أبو يعقوب يوسف بن ابي بكر (ت ٦٢٦هـ)، ط١ ، مط مصطفى البابي الحلبي ، مصر ١٩٣٧ .
ـــ المفصل في علم العربية ـ الزمخشري ، ط١ ، مط التقدم ، القاهرة ١٣٢٣هـ .
ـــ المقاصد النحوية في شرح شواهد الالفية (شرح الشواهد الكبرى) ـ العيني ، بدرالدين محمود بن احمد (ت ٨٥٥هـ) ، مط الاميرية ببولاق، القاهرة ١٢٩٩هـ (بهامش الخزانة) .
ـــ المقتضب ـ المبرد ، تح محمد عبدالخالق عضيمة ، دار التحرير للطبع والنشر ، القاهرة ١٣٨٥هـ .
ـــ المقرب ـ ابن عصفور ، علي بن مؤمن (ت ٦٦٩هـ) ، تح عبدالستار الجواري وعبدالله الجبوري ، مط العاني ، بغداد ١٩٧١ .
ـــ مقدمة ابن خلدون ـ عبدالرحمن بن محمد (ت ٨٠٨هـ) ، مط مصطفى محمد ، مصر ، د.ت.

ـــ مقدمة احمد خطاب العمر لشـــرح القصائد التسع المشـهورات ، مط الحكومة ، بغداد ١٩٧٣ ٠
ـــ مقدمة شوقي ضيف للايضاح في علل النحو ، ط١ ، مط المدني ، دار العروبة ، القاهرة ١٩٥٩ ٠
ـــ مقدمة عبدالخالق عضيمة للمقتضب ـ دار التحرير والنشر ، القاهـرة ١٣٨٥هـ ٠
ـــ مقدمة عبدالسلام هارون للكتاب ، مط دار القلم ، القاهرة ١٩٦٦ ٠
ـــ مقدمة عبدالصبور شاهين لكتاب « العـــربية الفصحى » ، ط١ ، مط الكاثوليكية ، بيروت ١٩٦٦ ٠
ـــ مقدمة عبدالكريم الدجيلي للفتح على أبي الفتح ـ مط الجمهوريـة ، بغداد ١٩٧٤ ٠
ـــ مقدمة في النحو ـ خلف الاحمر (ت ١٨٠هـ) ، تحـ عزالدين التنوخي، دمشق ١٩٦١ ٠
ـــ مقدمة فولك لشرح لامية الافعال ـ ليبزك ١٨٦٦ (بالالمانية) ٠
ـــ مقدمة المحققين (مصطفى السقا وجماعته) لشرح سقط الزند ـ الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة د٠ت٠
ـــ ملحة الأعراب ـ الحريري ، المكتبة الشرقية الامريكية ، باريس د٠ت٠
ـــ المنتخب من مخطوطات المدينـة المنورة ـ عمر كحالة ، مط الحجـاز ، دمشق ١٩٧٣ ٠
ـــ المنصف ـ ابن جني ، تحـ ابراهيم مصطفى وعبدالله امين ، ط١ ، مط مصطفى البابي الحلبي ، القاهرة ١٩٥٤ ٠
ـــ منهج البحث في تاريخ الآداب ـ لانسون ، ترجمة محمد مندور ، دار نهضة مصر ، د٠ت٠ (مع النقد المنهجي عند العرب) ٠
ـــ منهج السالك في الكلام على ألفية ابن مالك ـ ابو حيان ، تحـ سدني كلازر ، نيوهافن (امريكا) ١٩٤٧ ٠

— المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار (الخطط المقريزية) ـ تقي الدين المقريزي (ت ٨٤٥هـ) ، دار الطباعة المصرية ، القاهرة ١٢٧٠هـ (اوفسيت) .
— الناصر صلاح الدين ـ سعيد عبدالفتاح عاشور ، أعلام العرب ، القاهرة .
— الناصر محمد بن قلاوون ـ محمد عبدالعزيز مرزوق ـ أعلام العرب ، القاهرة ١٩٦٤ .
— النجوم الزاهرة ـ الاتابكي ، جمال الدين يوسف بن تغري بردى (ت ٨٧٤هـ) .
(نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب ...) ، القاهرة د.ت.
— النحو العربي ـ العلة النحوية ـ مازن المبارك ، ط١ ، المكتبة الحديثة ١٩٦٥ .
— النحو العربي ـ نقد وبناء ـ ابراهيم السامرائي ، دار الصادق ، بيروت ١٩٦٨ .
— النحو الوافي ـ عباس حسن ، ط٢ ، دار المعارف بمصر ١٩٦٣ .
— نزهة الالباء في طبقات الادباء ـ أبو البركات الانباري ، تح. ابراهيم السامرائي ، ط٢ ، مكتبة الاندلس ، بغداد ١٩٦٨ .
— نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة ـ محمد الطنطاوي ، ط٤ ، مط وادي الملوك ، القاهرة ١٩٥٤ .
— نظرات في اللغة والنحو ـ طه الراوي ، ط١ ، المكتبة الاهلية ، بيروت ١٩٦٢ .
— نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ـ المقري ، أبو العباس احمد بن محمد التلمساني (ت ١٠٤١هـ) ، تح. محمد محي الدين عبدالحميد ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، د.ت. (اوفسيت) .
— نكت الهميان في نكت العميان ـ الصفدي ، صلاح الدين خليل بن ايبك (ت ٨٦٤هـ) ، مط الجمالية ، القاهرة ١٩١١ .

— النهر الماد ـ ابو حيان الاندلسي ، مط النصر الحديثة ، الرياض(اوفسيت)، (بهامش البحر المحيط) .

— النوادر في اللغة ـ ابو زيد ، سعيد بن أوس بن ثابت الانصاري (ت ٢١٥هـ) ، تحـ سعيد الخوري الشرتوني ، دار الكتاب العربي ، بيروت ١٩٦٧ (اوفسيت) .

— هدية العارفين في أسماء المؤلفين وآثار المصنفين ـ اسماعيل باشا البغدادي (ت ١٣٣٩هـ) ، ط٣ ، طهران ١٩٦٧ .

— همع الهوامع شرح جمع الجوامع ـ السيوطي ، ط١ ، مط السعادة ، مصر ١٣٢٧هـ .

— الوافي بالوفيات ـ الصفدي ، تحـ هلموت ريتر ، طهران ١٩٦١ (اوفسيت) .

فهرس الآيات القرآنية

(البقرة)

(آل عمران)

(النســاء)

(المــائدة)

(الانعــام)

الاحـاديث

أ ـ الاحاديث النبوية الشريفة :

ب ـ أحاديث الصحابة (رضوان الله عليهم) :

فهرس الاشعار

(أ)

الصفحة

(ب)

(ت)

(ج)

(ح)

(د)

(ر)

(ظ)

(ع)

(ف)

(ق)

(ل)

(م)

فهرس انصاف الابيات

فهرس الارجاز

(ب)

(ت)

(ح)

(د)

(ر)

(س)

﴿ ض ﴾

وعند سيبويه حـاشا تخفض ومن سـواه الجر لا يفترض ٢٦٦

﴿ ع ﴾

يا اقـرع بن حـابس يا أقرع إنك إن يصرع أخوك تصـرع ٢٣٥
إنا إذا خطـافنا تقعقعـا قد صـرّت البكـرة يوماً أجمعـا ١٠٤
وحذف عامـل المـؤكد امتنـع وفي سـواه الدليل متسـع ١٤٦
واجمعهما بأفعـل إن تبعـا ما ليس واحـداً تكن متّبعـا ١٨٩

﴿ ف ﴾

وقد أتت (مهما) و(ما) ظـرفين في شواهد من يعتضـد بهـا كفـي ٢٠٣

﴿ ل ﴾

وعود خـافض لـدى عطف على ضمير خفض لازماً قـد جعـلا ٩٧
وذاك في اسم الجنس والمشار لـه قلّ ومَن يمنعه فانصـر عـاذله ١٠٠
لسوى سوى سـواء أجعـلا عـلى الاصـح ما لغير جعلا ١٤٢هـ
لو حرف شرط في مضـي ويقـل ايلاؤها مستقبلاً لـكن قبـل ١٥٠
صـفة استحسن جر فاعـل معنى بها المشبهة اسم فاعل ١٨٢
ووصل ما بذي الحروف مبطـل أعمالها وقد يبقّـى العمـل ١٨٧
كفعله اسم فاعل في العمـل إن كان عن مضيّه بمعـزل ١٩٦
ولا تجـز حـالاً من المضـاف له الا إذا اقتضى المضـاف عمله ٢٢٧
بالجر والتنوين والنـدا وأل ومسـند للاسم تمييز حصل ٢٣٨

﴿ م ﴾

ووصل ذى الهاء أجز بكل ما حرّك تحريك بنـاء لزمـا ٧٤هـ
وغير مندوب ومضـمر ومـا جا مستغاثاً قد يعرّ فاعلمـا ٩٩
إني إذا ما حـدث ألمّـا أقول يا اللهـمّ يا اللهمّـا ١١٩

﴿ ن ﴾

يا صاح ما هاج العيون الذرفـن من طلل كالأحتمـي انهجـن ٨٦ ، ٢٢٩
وقاتم الاعماق خـاوي المخترقن مشتبه الاعلام لمّاع الخفقـن ٨٦
والاسم منـه معرب ومبنـي لشـبه من الحروف مـدني ١٦٣
كالشبه الوضعي في اسمي جئتنـا والمعنـوي في متى وفي هنـا

(ي)

(الألف اللينة)

فهرس انصاف الارجاز

(ب)

(ر)

(ع)

(ف)

(ق)

(ل)

(م)

فهرس الاعلام

ـ أ ـ

- ب -

– ن –

- هـ -

- و -

- ي -

فهرس الجماعات

فهرس الموضوعات

جدول تصويب الخطأ

وقعت أثناء الطبع طائفة من الهنات، وفي الجدول التالي تصحيح المهم منها:

ص	س	الخطأ	الصواب
٩	٢٧ الاخير	فطر كل منهما	قطر منهما
١٠	٩	القرن	القرنين
١١	٢٢	بالهندسة	الهند
١٨	١٤	دارسه	دارسيه
١٩	١	اذين	الذين
٢٣	٦	اليفتا	الفيتا
٣٣	٨	الشاملة	الشامية
٣٤	٢٠	الهامش رقم ٤١ موقعه أسفل الصفحة ٣٣	
٣٧	١٦	المنه طقه	المناطقة
٣٩	٦	إنْ	إنً
٣٩	١٨	إن	إبن
٥٠	٢٢	مات (سنة ٧٠٧هـ)	مات (سنة ٧٧٧هـ)
٦٠	١٩	والتي	التي
٦٠هـ	٢١	النساء	آل عمران
٦٨	٢	ألتف	أ'لتف
٨٩	٥	سقطت عبارة : « وماقيل في الامور المســـتقبلة المتعلقة باخبار الله تعالى · ومكانها قبل « يقال في الامور المستقبلة ···	
٩٠	١٨	والواقع ان البصريين	والواقع ان
		ابن الناظم	ابن الناظم
٩٢	٥	كو-كب	كوْكب
		بسحرّة	بسحرْة
٩٦	١٠	من نتمته	لكان من تتمته
١٠٦	٦	وللام	واللام
١٠٦	١١	عَتيًا	عِتيًا
		بالابتدء	بالابتداء
١١٤	٧	بقِنا	بَقينا
١١٨	٢	فعليتها	فعليتهما
١٣٤	١٥	و	لو

		الخطأ	الصواب
١٣٥	٦	ليس	لسني
١٣٥	٩	وذك	وذلك
١٤٩	١٧	هي : أن « لو «..	هي : هل أنّ «لو»..
١٥٣	٦	المختار جوازه	المختار جوازه
		إن يكن ..	إن لم يكن
١٥٤	١٥	الهامش رقم ٢٢ موقعه أسفل الصفحة١٥٣	
١٥٨	٧	الفظية	اللفظية
١٦٥هـ	١٦	الرسمي	الرضي
١٧٠	١٤	التكاتف	التكلف
١٧٤،١٧٥هـ	٢٤	يوسف	ابراهيم
٢٦٠	٩	المستثيات	المستثنيات
٢٧٢	٨	بلاد	بلادي
٢٧٢	٩	غيرها	غيرهما
٢٧٨	٧	محبى	محيي
٢٧٨	١٨	حمدان	حمادي
٢٧٩	١	٦٦٣٢	رقمها ٦٦٣٢
٦٨٨	٢	بالاّ	بالا
٣١٨	١٥	يتسع	يتوسع
٣١٨هـ	١٨	لات	لات حينا
٣٢٠	١	——	نعت المفعول الثاني باسم الفاعل بمعنى المضي
٣٣٤	٣	ة	لغة
٣٣٤	١٥	كخطبة	كخبطة

رقم الايداع في المكتبة الوطنية ببغداد ٥٧٦ لسنة ١٩٧٧